A.U.B. LIBRARY

LIBRARY OF BEIRUT
89274
B299iA

الخالدات

سِفر القلوب الحية والعقول الناضجة والأيدي العاملة

لصاحبها

الأرشمندريت انطونيوس بشير

حق النقل مباح للجميع ، على شرط أن يذكر الناقل المصدر الذي نقل عنه

في هذا المجلد

اقرأ وفكر

ثمن المجلد الواحد دولار ونصف في أميركا و ٢٠ قرشاً مصريا في البلاد العربية

PRINTED IN EGYPT

38872

مطبعة العرب للبستاني بالخالدات بمصر

أيها المشترك الكريم

هل سددت ما عليك للخالدات ؟

اذا كنت قد فعلت فلك الشكر ـ وان كنت لم تفعل فلماذا ؟؟ الخالدات تنفق عليها الكثير من الجهود والنقود قبل أن نرسلها اليك فان كنت راضياً عن مواضيعها فلماذا لا تسدد حسابك ؟ وان كنت لاتريد أن تدفع بدل الاشتراك الزهيد فلماذا لاتخبرنا لكي نحجب الخالدات عنك ؟

نحن لا نريد أن نرسل الخالدات الا لمن يعتقد أنها تساوي ٥ دولارات في السنة فان كنت لاتوافقنا في هذا الاعتقاد فالمرجو أن تسدد حسابك الماضي وتخبرنا لكي نقطع الخالدات عنك . أما اذا واظبت على السكوت فاننا بحكم الشرع الأدبي نطالبك ثلاث مرات فاذا لم تجب اضطررنا أن نشهر اسمك بقائمة هاضمي حقوق الادب التي نعدها لكي نطبعها في أجزاء الخالدات المقبلة تخليداً لعمل أصحابها معنا .

وثق باننا لك باخلاص وصراحة

ادارة الخالدات

الى المؤلفين
واصحاب المجلات والجرائد العربية
في كل مكان

نلفت أنظار الرصفاء الكرام أصحاب المؤلفات العصرية والصحف العربية الزاهرة الى عنواننا الجديد الدائم كما أدناه راجين ممن يبادلنا منهم أن يواصلنا بمطبوعاته الجديدة ونحن بكل سرور نواصله بمطبوعاتنا وباجزاء الخالدات تباعا ونؤمل من كل مؤلف أن يرسل الينا كتبه الجديدة والقديمة لندرسها ونفرد لتقريظها فصلا خاصاً في آخر كل مجلد من الخالدات ان شاء الله

عنواننا دائماً : الخالدات

Rt. Rev. Antony Bashir
1201 First East Street
Vicksburg Miss
U. S. A.

بدون ثمن

ثلاثة كتب — خمسة كتب — سبعة كتب

* كل من يرسل الى ادارة الخالدات ثلاثة مشتركين جدد مع حوالة ببدل اشتراكهم نقدم اليه بدون ثمن الكتب الآتية :

(١) تاريخ فينيقية ـ (٢) اعتراف تولستوي (٣) كلمات جبران

* وكل من يرسل خمسة مشتركين نقدم اليه بدون ثمن الكتب الآتية :

(١) ثلاثة مفكرين في الدين (٢) السابق والمجنون لجبران (٣) اعتراف تولستوي (٤) رمل وزبد (٥) لماذا أنا مسيحي لكراين

* وكل من يرسل سبعة مشتركين نقدم اليه الكتب الاتية :

(١) تاريخ فينيقية للاستاذ صباغ (٢) لماذا أنا مسيحي (٣) كلمات جبران (٤) رمل وزبد (٥) السابق والمجنون (٦) اعتراف تولستوي (٧) ثلاثة مفكرين

فاغتنم الفرصة واقطع الرسالة التابعة بعد أن تملىء الفراغ فيها وتضع عليها عنوانك واضحاً بالحبر وارسلها الينا :

ادارة الخالدات

اقدم لكم في طيه ٣ أو ٥ أو ٧ مشتركين جدد لمجلتكم مع حوالة ببدل اشتراكهم راجياً أن ترسلوا الكتب التي اعلنتم عنها بدون ثمن الى عنواني هكذا :

الاسم .....

العنوان .....

من الادارة
الى القراء

الملاحظات الاتية يهم كل قاريء أن يطلع عليها ، فالمرجو أن تبدأ بها قبل قراءة هذا المجلد ، لانها تساعدك وتساعدنا على الدقة في أعمالنا .

١ – عنوان المراسلات

قضت عليّ الضرورات المتعددة ان أنقل ادارة الخالدات ثلاث مرات منذ انشائها حتى الآن . لأن واجب الرسالة الروحية ، الذي خدمته حتى أوائل هذه السنة ، كان يقضي عليّ بالسفر المتواصل في سائر انحاء اميركا الشمالية ، ولذلك اضطررت أن أنقل الادارة من تريهوت انديانا ، الى ديترويت مشيغن ، الى تشواوا المكسيك ، حيث كان لي من يقوم باستلام المراسلات وتحويلها اليّ في أوقاتها .

ولكنني عزمت في فجر هذا العام أن أقيم في مدينة فكسبرغ من أعمال الولايات المتحدة الاميركية ، بصورة دائمة ان شاء الله ولذلك رأيت أن أنقل بيتي واجعل ادارة الخالدات في هذه المدينة ، بحيث اتولى القيام باعمالي بدقة وسرعة ، فاجيب عن الرسائل في أوقاتها وأصدر مجلدات الخالدات في مواعيدها ،

وهكذا اتخلص ، والقراء الادباء ، من التأخير الذي كان يحدث قبلا في المجاوبة على رسائلهم وارسال الكتب اليهم .

لذلك أرجوا من كل راغب في مراسلتي ، ومن كل مشترك بالخالدات أن يعتمد في جميع مخابراته معي هذا العنوان بصورة دائمة

الارشمندريت انطونيوس بشير
Rt. Rev. Antony Bashir
Vicksburg, Miss. U. S. A.

٢ : رجاء الى ادارة المجلات والجرائد العربية

انني بكل سرور أرسل الخالدات الى كل مجلة أو جريدة عربية تحب أن تقرأ المجلدات التي اصدرها في كل عام وتقول في كل منها كلمتها الحرة . وأنا اليوم أبادل نحو ٧٠ مجلة وجريدة ، فالمرجو من حضرات الزملاء أن يغيروا عنواني في سجلاتهم ويعتمدوا العنوان الجديد في فكسبرغ مسيسبي بارسال مجلاتهم وجرائدهم الغراء

ولي رجاء اخر الى الذين لا أستلم جرائدهم ومجلاتهم ، وهو أن يتلطفوا بارسال نسخة واحدة على الاقل من العدد الذي ينتقدون فيه مطبوعاتي لكي أطلع عليه واتعلم منه درساً جديداً يساعدني على التدقيق في كتابة المجلدات الجديدة ، واصلاح ما في القديمة من الخطأ عند اعادة طبعها . وأنا لجميعهم من الشاكرين

٣ : الخالدات والتاريخ الجاري

التاريخ خير المواضيع العاملة على التهذيب ، وخصوصاً التاريخ الذي يدون للقراء أهم حوادث العالم التي جرت في حياتهم . لذلك عزمت على جعل المجلد الاول من كل سنة من الخالدات تاريخاً دقيقاً لأهم الحوادث التي جرت في العالم في السنة التي سبقت صدوره . وسأبدأ هذه الخطة الجديدة بالمجلد الأول ، من السنة المقبلة « الثالثة » الذي يستلمه المشتركون في أوائل تشرين الثاني ١٩٢٩ ، وسينقل اليهم أعظم الحوادث التاريخية التي حدثت في سنة ١٩٢٨ في جميع انحاء الارض ، شهراً فشهراً وسيكون عنوانه

((١٩٢٨))

« أشهر حوادثها التاريخية »

---

٤ : هدية الخالدات ومواعيد صدورها

تبدأ سنة الخالدات في أول تشرين الثاني من كل سنة . فيستلم المشترك المجلد الاول في تشرين الثاني ، والمجلد الثاني في شباط ، والثالث في ايار ، والرابع في آب . ولكل مشترك ، يسدد بدل اشتراكه قبل نهاية كانون الأول من كل سنة ، الحق الكامل بأن ينال هدية الخالدات ـ كتاباً بدون ثمن ، يختاره من الكتب

الاتية ، فيرسل اليه خالص اجرة البريد :

١ : ثلاثة مفكرين في الدين

والمفكرون الثلاثة هم ودرو ولسن وهنري فنديك ووليم برين

٢ : اعتراف الفيلسوف تولستوي .

٣ : « السابق » و « المجنون » بكتاب واحد لجبران

٤ : « تاريخ فينيقية » للاستاذ الياس صباغ .

فالهدية اذن لا نقدمها بعد اليوم الا لمن يدفع بدل اشتراكه قبل اليوم الحادي والثلاثين من شهر كانون الاول كل سنة .

---

٥ : الخالدات وجريدة السائح

السائح جريدة يومية تصدر في نيويورك ، ويحررها نخبة من خيرة ادباء المهجر ، وهي لسان حال « الرابطة القلمية » التي بين اعضائها امثال جبران ونعيمه وعريضه وكستفليس وحداد وابي ماضي وغيرهم من الادباء الذين خلدوا اسم الشرق في الغرب . اشتراك السائح عشرة دولارات في السنة واشتراك الخالدات خمسة دولارات في السنة . ولكننا باتفاق خاص مع اصحاب « السائح » الادباء نقدم السائح والخالدات معاً باثني عشر ريالا فقط — وهذا الحسم لا يتمتع به الا الذين هم غير مشتركين بالسائح من مشتركي الخالدات ، او غير المشتركين بالصحيفتين معاً . والمخابرة في هذا الموضوع الى عنواننا .

٦ : الخالدات وجريدة النسر

لا نخال ان بين قراء الخالدات من لم يسمع بجريدة النسر اليومية ، التي يصدرها في بروكلن نيويورك الاديب الكبير ، والوطني الشديد الغيرة على المباديء الوطنية، السيد نجيب جرجي بدران . اشتراك النسر عشرة دولارات في السنة، ولكننا باتفاق خاص مع صاحبه الاديب نقدم النسر والخالدات لسنة كاملة باثني عشر ريالا فقط بنفس الشروط التي نقدم بها « السائح »

٧ : مكتبة الخالدات

المطالعة بين قراء العربية في المهجر قليلة جداً . ولكن كل انسان يعرف ان المطالعة خير غذاء لفكره .

قد يكون لاعراض ابناء العربية عن المطالعة في ديار المهجر اسباب عديدة ، ولكننا نرجح ان أولها واهمها غلاء اثمان الكتب في اميركا .

لذلك رأينا ، رغبة منا في خدمة قرائنا وحملهم على اقتناء الكتب النافعة ومطالعتها ، ان نعقد اتفاقاً مع اكبر المكاتب العربية في المواطن القديمة ، نحصل بموجبه على كل كتاب عربي مطبوع باسعار بخسة جداً ، فنساعد بذلك قراء الخالدات واصدقاءهم على مطالعة اشهر كتب التاريخ ، والادب ، والدين

والروايات ، والعلوم ، والفنون ، والشعر ، والفلسفة وغير ذلك من فروع المعرفة الانسانية .

وكل ما نطلبه من القاري الراغب في مقتنى اي كتاب اراد — رواية كان أو تاريخاً أو غير ذلك ، من الكتب المقدسة ، الى كتب ابن رشد ، الى كتب عنتر ، الى كتب زيدان ، الى كتب طانيوس عبده ، الى كتب الزير وبني هلال ، الى التوراة الى الانجيل الخ ، كل ما نطلبه ان يكتب الينا القاريء عن الكتب التي يريدها فنرسل اليه في الحال قائمة باثمانها الخصوصية عندنا فاذا نالت رضاه ، وهي ولا شك ستنال رضاه لانها اقل مما يعرفه في اميركا بخمسين بالمئة ، — اذا نالت رضاه يرسل الينا طلبه مرفوقاً بالثمن فنرسل اليه الكتب في الحال ، والا فلا يخسر شيئاً

فاكتب الينا ايها القاريء عن كل كتاب تريده قبل أن تشتريه وأنت الرابح . وثق بان اسعارنا دائماً هي اقل مما تدفعه في اميركا باربعين وخمسين في المئة .

---

٨ : الخالدات والمؤلفون

نرجو من حضرات المؤلفين ان يرسلوا الينا نسخة من كل كتاب يطبعونه جديداً ، مع بيان بثمنه ، ونحن نعد بدرسه وتقريظه على صفحات الخالدات ، بما يمليه علينا الواجب الادبي ونؤمل أن يعتمد الجميع عنواننا الجديد في كل مخابراتهم ولهم شكرنا الجزيل مقدماً

الارشمندريت

انطونيوس بشير

فكسبرغ مسيسبي

Rt . Rev . Antony Bashir

Vicksburg, Miss. U . S . A

محتويات هذا المجلد

صفحة		صفحة	
١	مقدمة	٥٤	قوة البغل
٣	صعب عليك	٥٦	كن لين العريكة
٥	لا توقظوا الكلاب النائمة	٥٩	الرجل العظيم
٨	المحافظة على النفس	٦١	الاساس الثابت
١٠	متى تثور	٦٣	في كتابتى قبري
١٣	نحن والموسيقى	٦٥	هل يجوز الكذب
١٦	طريق الخلاص	٧١	الطلاق : أسبابه الطبيعية
١٨	لايحسن القراءة	٧٤	الشرق يخاطب الغرب
٢١	دكان النجار	٧٦	١٦ وصية جديدة
٢٤	التناسب	٧٩	الامومة تجدد الشباب
٢٥	النفس والبحر	٨٢	الضرائب على الكلام
٢٦	الهاربون	٨٦	الجسد والسيارة
٢٩	رأي الاميركي في البريطاني	٨٨	الكليات والسيارات
٣٢	الفضاء الطليق	٩٢	هنالك رجل يتبعك
٣٥	الكآبة تكبر القلب	٩٥	الثقة والشك
٣٧	الاريستوقراطية الجديدة	٩٦	بقية الوثنية
٣٩	مدن الملجأ	٩٩	الجريمة والعقاب
٤١	الرجل الحقيقي	١٠٢	افضل مافي الحياة
٤٥	مرض الشيخوخة	١٠٥	الاقوال المأثورة
٤٩	من أجل صحتك	١٠٨	فائدة الرياضة
٥١	تدبير المنزل		

محتويات هذا المجلد

صفحة		صفحة	
١١١	تحقيق الاحلام	١٧٠	الثناء
١١٣	أعظم ما في العالم	١٧٤	لا تكذب على نفسك
١١٦	الحاجة الى الوعظ	١٧٨	أساس السعادة
١٢٠	ماذا أخذنا لقاء أموالنا	١٨١	الندامة
١٢٣	الخطر الأبكم	١٨٣	الخطيئة
١٢٥	المعرفة	١٨٥	اربع قواعد للحياة
١٢٧	الحق الصراح	١٨٩	الخوف من العظمة
١٣٠	الشركات الديموقراطية	١٩١	السطوح
١٣٣	فاجعة الدم	١٩٣	المحبة والخدمة
١٣٦	التدخين	١٩٦	الظاهر مرآة الباطن
١٣٩	المقدرة على النسيان	١٩٨	القديس فرنسيس
١٤٢	الهضم الروحي	٢٠٠	اطفال في السجن
١٤٥	افكار	٢٠٣	الرأى العام في اليابان
١٤٧	لينكن الرجل الحقيقي	٢٠٦	اعمل ليومك يعمل ابنك لغده
١٥١	شذرات في التعريف	٢٠٨	ارفع رأسك
١٥٤	الصبي واصدقاؤه	٢١٠	وسائل المدنية
١٥٦	سبع شرارات	٢١٣	طوائف الخالدات
١٥٩	دواء الفضاء	٢١٦	احفظ فمك مطبوقاً
١٦١	حقوق الانسان	٢١٩	الدواء لداء العالم
١٦٥	الامومة الرديئة	٢٢٣	ماذا يحب
١٦٧	غرس البساتين	٢٢٦	السكين الدامية
١٦٩	موضوع صعب	٢٢٨	كيف تحتفظ باصدقائك

صفحة		صفحة	
٢٣١	فضيلة المال	٢٥٤	الحاجة الى التغيير في الحكومة
٢٣٤	الهدوء	٢٥٥	الرأي العام
٢٣٦	العهد الجديد	٢٥٧	العادات الرديئة
٢٣٩	الرجل السمين	٢٦٠	مخلوق أم خالق
٢٤٢	فترات اليقظة	٢٦٣	نحن اقرباء في الضعف
٢٤٥	ماذا أعمل	٢٦٥	بضعة اسطر
٢٤٨	كن منسياً	٢٦٧	كيف تقرأ الكتاب المقدس
٢٥١	المعمل والمدرسة	٢٧٠	قصري

مقدمة

ايها القاريء الاديب

اقدم لك في هذا المجلد الاخير من السنة الثانية للخالدات ، افضل ما كتبته من المقالات الصغيرة ، التي كنت اقرأها في السنوات الاخيرة لاشهر كتاب اميركا واوربا ، فاترجم بعضها ، واحتفظ بالبعض الاخر فابني عليه مقالا جديداً .

انني لا اطمع في تعليم الذين يقرأونني دروساً جديدة لم يعرفوها من قبل ، ولكن لي رغبة واحدة من جميع كتاباتي ، التي اقف عليها ايامي ولياليّ ، وهي تنحصر بما يأتي :

في حياة كل انسان حقائق جميلة ، خالدة ، يتعلمها من حوادث حياته اليومية ، ولكنه لا يبرح ان ينساها ، او يعرض عن تذكرها ، والتفكير في جزيل منافعها . وغاية ما ارمي اليه ، من جميع كتاباتي ، أن اوقظ فكره لكي يرى ، بملء الوضوح ، جمال الحقيقة التي اقدمها له بكل مقال من هذه المقالات الصغيرة — ليعيد نظره فيها ويمعن في استثمارها في حياته العملية .

ليس الذين يملاون رؤوسنا بحقائق علومهم ومعارفهم بانفع الكتاب في عقيدتي ، بل انما الكاتب النافع ، ذلك الذي يحملك الى التفكير العميق في كل ما يكتبه . ولذلك فلا يهمني ان املا رأسك بما في دائرة المعارف من الحقائق المختلفة بل اريد ان

اثير ما كمن في اعماق دماغك من عوامل القوة على التفكير والتأمل .

ومع ان الافكار التي يحملها اليك هذا المجلد الجديد من الخالدات كانت مختبئة في زوايا ذاكرتك ، مهملة لا يعتد بها ، فاذا لم يكن لهذه المقالات التي اضعها الان بين يديك غير أنها ستذكرك بما عرفته ونسيت ان تنتفع فذلك حسبي وبه اكتفي .

واني لك باخلاص كثير

الارشندريت

فكسبرغ مسيسبي في ايار سنة ١٩٢٩ انطونيوس بشير

صعب عليك

صعب عليك أن تقوم باي عمل يستحق الاعتبار في الحياة . لان كل الاعمال الصالحة صعبة .

ان جميع الا كاليل الحقيقية ، ـ اكاليل النفس ، اكاليل النجاح دون أكاليل الذهب ـ هي مكافاة على الجهاد .

صعب عليك

أن تكون صبوراً ،

ان تملك عنان اهوائك ،

ان تقدم الغذاء الكافي لفكرك ،

ان تواظب على الرياضة للمحافظة على سلامة جسدك ،

ان تأكل لتعيش ولا تعيش لتأكل ،

ان توفّر المال الذي لا تحتاج اليه ،

ان تدفع عملك الى الامام بقوة ساعديك وفكرك ،

ان تقول الحقيقة ،

ان تحفظ فكرك نقيا ، وفمك نقيا ، وقلبك نقيا ،

ان تقول « لا » ،

ان تفعل ما لا تريد أن تفعله وفي هذا منتهى النظام ،

ان تدفع ديونك ،

ان تكون امينا ـ لمبادئك ، ولزوجتك ، وصديقك ، وبلادك

ان تقول ، « لا أعرف » ،
ان تفكر لنفسك وتعتمد على ذاتك ،
ان تقاوم الجمهور ،
ان تكون شريفاً ، بسيطاً ، مستقيماً ، وألا ترزح تحت اثقال الهموم

* * *

ولكن على العكس من كل ما ذكر سابقاً ، سهل عليك ـ
ان تكون لجوجاً ملحاحاً ،
ان تستسلم لرغباتك وشهوات قلبك ،
ان تقول ، « ماذا أعمل ؟ انني لا اقدر ان اقاوم نفسي ، »
ولذلك لا تبذل جهداً للتسلط على ذاتك الناشزة ،
ان تكون خامل الفكر كسولا فلا تقرأ سوى التافهات ولا تعرف كيف تستفيد مما تقرأ ،
ان تتطوف في الشوارع مهملا شأن الرياضة ،
ان تأكل ما طاب لك ،
ان ترقب حلول العجائب اكراماً لسواد عينيك ،
ان تكذب وان تكون خائناً قذراً غداراً ،
ان توافق من تعتقد بضلاله للتخلص من الانزعاج الذي قد يحصل لك من مقاومته ،
ان تدخل البيوت من نوافذها ،
ان تستدين وتقول ، « قيد على الحساب ! »

ان تدخل جمعية للتحزب والتعصب وليس لخدمة الانسانية ،
ان تسير مع الجمهور وتنعق مع كل ناعق ،
ان تتعلم عادة قبيحة وتعمل على انمائها في حياتك ،
ان تتبع أهواءك وشهواتك دون عقلك ،
ان تملأ جسدك بالامراض ، وعقلك بالضلال ، ونفسك بالشرور
ان تغرق في أوحال نفسك ثم تنبري مشفقاً عليها تنتحل لها الاعذار لتعظيم انانيتك والقضاء على اخلاقك ،
واخيراً سهل عليك جداً أن تقتل نفسك ! لأن التدهور في هاوية الشقاء سهل ،
ولكن الصعود صعب جداً ، ومثله التقدم في سبل الفضيلة والنجاح.

لا توقظوا الكلاب النائمة

كثيراً ما تمر بي أيام اشعر فيها انني اضعف من ان اقدم نصحية لغيري . فقد سبقني كثيرون من الحكماء الذين لستُ عند التحقيق حبة رمل في شواطئهم ، فاغنوا العالم بالمواعظ والتعاليم . بيد اني أحب الحياة ، وأحب أن افتش في كتب الحكماء عن كل ما يزيد رغبة الناس في الحياة .

وفيما أنا أقلب صفحات كتاب ، كثيراً ما أنشد الحكمة في سطوره الخالدة ، وجدت هذه الكلمات لمرقص اوريليوس وهي

تفيض معرفة ونصحاً ، فاحببت أن اقدمها للقارىء بحروفها ، قال الفيلسوف :

« لاتكن بدون ارادة في ما تعمله . ولا تكن أنانيا متصلباً . ولا تعرض عن قبول النصح والتعليم . لاتغرّنك المظاهر ، لا في القول ولا في العمل ، ولا تفسح المجال للرفاهية فتقتل أفكارك . واياك اياك ان تعلق بحب المجادلة والمماحكة . »

أفلا تشعر وانت تقرأ هذه الكلمات كأنها كُتبت في الامس ؟ أفليس في كل عبارة منها نصيحة حكيمة توافق حياتنا نحن العائشين في القرن العشرين ؟

« لاتكن بدون ارادة في ما تعمله » كائناً ما كان العمل الذي تقوم به ، حقيراً أم عظيما ، فاننا لن نجني منه ثمرة ولن نقدم بواسطته لذة لغيرنا ـ كلا ، ولن نحسن القيام به كما ينبغي ويليق ما لم نودعه جزءاً من ارادتنا ومن رغبتنا ومحبتنا .

« لاتكن انانياً متصلباً . ولا تُعرض عن قبول النصح والتعليم »

« هل في هذا القرن العشرين أفضل من هذه النصيحة لنا نحن الشديدي الحاجة اليها ؟ لاننا اذا كنا انانيين فنحن عالة على ذواتنا وعلى غيرنا . فالمرأة المتعصبة المتصلبة التي ترفض النصح والتعليم هي فاقدة الرشد في الغالب ، ومثلها الرجل الاناني المتعصب لارائه فهو لا يفسح المجال لغيره ليشاطره همومه ويشاركه في احزانه ، ولا يصغي للبرهان العقلي لأنه يفضل أن يتصرف بجنون وحماقة من

أن يعمل بنصح من هو أحكم منه .

« لا تغرّنك المظاهر ، لا في القول ولا في العمل ، ولا تفسح المجال للرفاهية فتقتل أفكارك . »

حكمة بليغة . ولعله يرمي من ورائها أنه يجب على الانسان أن يتكلم ببساطة ويتجنب التقعر في أقواله والتلبس في أعماله لئلا تكون حياته عقبة كأداء في سبيل الحقيقة .

« لا تعلق بحب المجادلة والمماحكة »

نصيحة رشيدة قد طالما قدمتها للناس ولكن بغير هذه الالفاظ. فكم هنالك من الذين يهرفون بما لا يعرفون ويخلقون من لا شيء ما يتخذونه موضوعاً لمجادلة عنيفة تزعج الناس وتقتل اوقاتهم ولا ثمرة من ورائها سوى الخصام والشر .

الكلام مجلبة العثرات في اكثر الاحيان. وما أجدر التسعين بالمئة من المتكلمين ان يقلعوا عن فتح افواههم، وفي ذلك خير وسيلة لراحة العالم وسعادته . لان امراض العالم الحاضرة كانت تكون اقل خطراً مما هي اليوم لو انها لم تظهر بالالفاظ والعبارات الى الوجود.»

فاتركوا الكلاب النائمة ولا توقظوها ايها الناس . لانكم اذا ايقظتموها فان نباحها يعطل عليكم نومكم ولانها اذا شرعت في النباح صعب عليكم ان تسكتوها .

انني استحي من نفسي عندما أرى مرقص اوريليوس يقدم لي حكمة عظيمة بكلمات قليلة هادئة .

المحافظة على النفس

لماري ملكة رومانيا

يقولون ان المحافظة على النفس أول شريعة من شرائع الطبيعة . وجميع الشرائع الحديثة تعترف بحق الانسان في التمتع بالحياة وحفظها صحيحة سالمة بالطريقة الملائمة .

وهذه الغريزة نستطيع ان نستخدمها في جميع حاجاتنا اليومية .

انني اعرف امرأة تشغل مركزاً عظيماً والاخطار تحيق بها من كل جهة . وهي لم تذق طعم الراحة في حياتها . فقد كانت الصعوبات امواجاً طاغية في بحر شبابها ، بيد انها لم تقف هنيهة قط عن الابحار ، وما برح النجاح حليفها في جميع اعمالها . لانها تخلق افراحها لنفسها وهي في الغالب تجدها بين الاحزان والمصائب .

وقد حملتني معرفتي لحياتها المريرة وكآبتها الكثيرة على التطفل بسؤالها مرة قائلة :

« كيف تتغلبين على عقبات حياتك ايتها الصديقة ؟ »

فاجابت قائلة : « ان غلبتي على تعس حياتي نتيجة لازمة للمحافظة على الذات ! أفهل أدع احمال عمري تسحقني سحقاً ؟ ام هل يليق بي ان أظهر ضعفي بالاستسلام للهموم فتقودني الى حتفي ؟ ان شعوري بالواجب عظيم جداً . ولكن هذا الشعور له حد ينتهي عنده فأنا اكره القبيح والحقير والدنيء ، واذا اهملت القيام بواجباتي

ساد التشويش والاضطراب على حياتي بأسرها .

« بيد اني لن اترك مجالا لشعوري بالواجب أن يقضي على نفسي . فان لي ملء الحق بالحياة وبان أكون سعيدة جهد طاقتي . انني لا أحب ان أضر احداً من الناس . ولا أود ان يؤذيني أحد البتة .

« ان قيامي بواجباتي يخولني الحق بنيل بعض المكافأة العادلة . فانني أنال من الحياة كل ما استطيع عليه . فاذا وضعت الحياة على كتفي احمالا ثقيلة لا قدرة لي على حملها فانني ارميها عن عاتقي وأسير في طريقي مرتفعة الرأس باسمة للناس ، ولا يخطر لي البتة ان ارغم نفسي على حملها متذمرة شاكية باكية . »

جميل جوابك أيتها الصديقة الحكيمة . فان الحكمة الالهية قد وهبت كل انسان عقلا صحيحاً يستطيع به ان يميز بين ما يقدر ان يقوم به من الاعمال وما يعجز عن القيام به لتظل حياته سعيدة راضية . ولكن هذه المعرفة لا يعمل على استثمارها والانتفاع بها الا الاقوياء . فكم هنالك من الضعفاء الذين على رغم معرفتهم لعجزهم عن القيام بما يفرض عليهم من الاعمال يجاهدون ويضحون في القيام باعمالهم متوجعين مسترحمين !

ولذلك فقد اتخذت لنفسي هذه القاعدة وجعلتها دستوراً لحياتي وها انا أقدمها للقراء الادباء بما يأتي :—

ان كثيراً مما نسميه واجباً هو عند التحقيق عمل بسيط قدسته التقاليد البلهاء وحوطته بهالة من نور الواجب الظاهري . فاذا

فرض عليَّ ان أقوم بواجب يقضي على اخلاقي ، ويمتص دماء قوتي ، ويغلّ ارادتي ، فان مثل هذا ليس بالواجب المقدس الذي يجب القيام به بل هو استبداد ظالم يجدر بالعاقل ان يثور عليه ويزعزع أركانه . وفي عقيدتي ان شريعة المحافظة على النفس تأمر بأن مثل هذا الواجب حماقة وجنون .

متى تثور

جميل ان تكون قنوعا فتستسلم لما يعرض لك في حياتك ولا تتذمر ولا تتضجر ، ولكن هنالك اموراً لا نقدر ان نقبلها برضى وابتسامة ، بل يجب ان نثور عليها بكل قوانا .

قال حكيم : « اذا أمطرت السماء فالمطر شهوة قلبي : » وفي هذا مثال حكيم للقناعة بذكاء وفطنة . لان الانسان يجب ان يطبق حياته على ميزان الحرارة وتقلبات الطقس . فاذا حدث ان عثرت فكسرت رجلك ، فلا شيء ينفعك اذ ذاك غير ان تكون صبوراً فرحاً بان ما حدث انما كان لاجل خيرك وتعليمك .

واذا فصلنا الموت عن احبائنا ، واذا سقطت الاسعار في الدقيقة التي كنا نفكر في صعودها ، واذا دنت الشيخوخة وضعفها ، واذ تحركت عقارب الساعات على غير ما نريد ، واذا غربت الشمس على العكس مما نشتهي — فنحن في جميع هذا نواجه ما لا مهرب منه من حوادث الحياة .

ولكن في الحياة حالات اخرى عديدة تعرض لنا وربما كان اقتبالها بالصبر والشكر جريمة لا مغفرة لها . فكم هنالك من الحوادث التي لو شئنا ان نقول فيها « فلتكن ارادة الرب » لكان قولنا بحسب تجديفاً ، ان لم نقل جبانة ، لان الشجاعة والشهامة تقضيان علينا ان نقول في مثل هذه الظروف ، « فلتكن ارادة الشيطان ! »

وللتمثيل على ذلك نبدأ في البيت ، فهنالك الولد المتمرد ، الرديء ، الاناني ، الذي لا يعرف معنى الاحترام فيتحكم باهله جميعاً باستبداده وعناده وعدم انقياده . مثل هذه الحالة لا تكفيها القناعة والطمأنينة !

وهنالك الزوج الغليظ ، والزوجة الفظّة الاخلاق ، والجار النمام المغتاب . وكل ما نحتاج اليه في معاملاتنا مع امثال هؤلاء هو الثورة والقسوة وليس اللطف والوداعة .

واذا كانت المدينة التي تعيش فيها يملكها ويسود عليها النفعيون الطماعون من ارباب الاموال المستبدين . فان الوقت ادعى الى العصيان والحرب منه الى الطاعة والقناعة .

وإذا احتكر اللصوص الاذكياء عالم التجارة الذي تعيش فيه ، وجعلوا الاسهم ، التي ليست عند التحقيق شيئاً مذكوراً ، تقدم لاصحابها الربح الجزيل على معدل ١٦ بالمئة ، في حين أن أجور العمال سقطت عن المعدل الطبيعي ، فليس مثل هذا الوقت

للصلاة والشكر على الحالة التي وضعتك فيها العزة الالهية كما يقولون لك . لأنك لم توضع في تلك الحالة من العزة الالهية ولكن اللصوص الاوغاد وضعوك في ما انت عليه من الشقاء .

واذا كانت الشوارع غير مكنوسة ، واذا كانت ساحات المدينة قذرة والاوساخ مكردسة امام البيوت والحشرات تتصاعد منها وتنقل جراثيم الامراض لعيلتك وعيلتي فان مثل هذا الوقت ليس للصوم والصلاة ولا لتقبيل خيال العصا على الحائط ، بل هو وقت النفخ في النفير العام لدعوة جميع المتمردين والمزعجين للحرب والعصيان .

ان الخضوع لما لا مهرب منه جميل ، ولكن الخضوع لاستبداد الاشرار الطماعين والطغاة الكسالى الظالمين قبيح يدعو الى الاحتقار .

قال سوذي : « نحن نصنع الجزء الاكبر من الظروف الشريرة التي نعيش فيها ، وبعد ان نصنعها لانفسنا نسعى لتطبيق حياتنا عليها بالدناءة والانحطاط . »

ان الرجل الذي لاتفارقه القناعة والرضى بكل ما يناله — الرجل الذي لا عمل له سوى الابتسام والابتسام ثانية وعاشرة في هذا العالم الذي ما برحت الدناءة متحكمة فيه ، هو بالحقيقة واحد اثنين : إما مجنون أو دنيء . لان كل رجل عاقل يجب ان يثور لما يصيبه من السوء بين المرة والمرة لكي يظهر بذلك انه يحترم نفسه ويتألم اذ يراها محتقرة ممتهنة .

نحن والموسيقى

اميركي ينتقد شعبه فما اجدرنا بالتعلم منه

ان الشعب الاميركي هو في مؤخرة موكب المغنين والموسيقيين في العالم .

والاميركيون يخسرون باعراضهم عن الموسيقى اعظم لذة في الحياة . يخيل اليهم انهم يلعبون ويقبلون على الرياضة اكثر من الاوربيين ولكنهم عند التحقيق لفي ضلال مبين .

خذ الالعاب مثلا ، فنحن لا نلعب « باسبول » ، بل نذهب الى حيث يلعب الغرباء او صغار ابناءنا لنتمتع برؤيتهم وهم يلعبون هذه اللعبة . وما يصح في هذه يصح في غيرها

يلعب ابناؤنا وبناتنا ، ولكن الاميركي اذا اجتاز السن التي يلعب فيها بالدوامة والطابة الصغيرة وغيرها من العاب الصغار ينتقل الى دائرة المتفرجين .

فهو لا يمثل الروايات ، ولكنه يتفرج على ممثليها . ولا يرنم الترانيم الروحية في الكنيسة كما يفعل الانكليز والالمان ، ولكنه يستأجر جوقاً ينشدها له . ولا يتقن الضرب على آلات الطرب ، ولكنه يحب ان يذهب ويصغي الى من يضربون عليها للحصول على المعاش وليس لما في ذلك من اللذة !

ولا يخصص القليل من الوقت لدرس القطع الموسيقية الخالدة

التي تكفل له لذة بالغة ، وتنعش فؤاده ، وتساعده على ادراك ما في الموسيقى من القوة العاملة على رفعة الحياة وبهجتها ، وتفتح امامه كنوزاً من الغبطة لا تنفد ولا تفرغ ، ولكنه يذهب الى الغرباء الذين ينشدون هذه القطع لاجل الحصول على الاجرة .

انني اشك في النفع التهذيبي الذي ينسبه البعض الى الشركات الكبرى التي تستأجر الموسيقيين الغرباء لينشدوا ويلعبوا على اوتار آلات الطرب في المسارح العامة . جميعنا نذهب الى هذه المحافل واكثر شباننا وشاباتنا يودون البلوغ الى المراكز التي يشغلها هؤلاء الموسيقيين .

اجل ، ان كل مدينة كبيرة في اميركا ممتلئة بالفتيان والفتيات المساكين الذين يدرسون الموسيقى . وقد قلت المساكين ، لانهم يسعون وراء معاشهم عن طريق الموسيقى . وشر من هذا ان كلا منهم يحلم بالشهرة ويتوق الى ان يكون اعظم من كارسو او فرّار . ولكن ليس في كل ماية الف رجل واحد يبلغ قنة الشهرة . بل ليس في العشرة الاف شخص واحد يحصل على معاشه من الموسيقى

ولو اننا ، بدلا من هذا التعليم العقيم ، نعلم اولادنا ان يحبوا الموسيقى لما فيها من اللذة والافتنان ، وان ينشدوا ويترنموا ويرقصوا وهم لا يرجون من وراء اعمالهم نفعاً مادياً البتة ، لو اننا نفعل هذا لكانت الموسيقى بركة لنا تحيينا عوضاً عن ان تكون حمى قاتلة افضل ما فينا .

وماذا يمنعنا عن ان ننظر الى الموسيقى نظرتنا الى وسيلة للتسلية والتلهية ؟ نحن لا نستأجر الراقصين ، بل نقوم « بالفوكس تروت» بانفسنا . فلماذا لا نتعلم الموسيقى ونعلمها لاولادنا كما نتعلم الرقص وغيره من لذاتنا الخصوصية ؟

قال افلاطون : « ان درس الموسيقى قوة فعالة في تهذيب الانسان اكثر من جميع الدروس ، لان اتفاق الانغام ووحدة الالحان تجدان الطريق الحقيقية الى اسرار النفس وتقطنان فيها ابداً . »

انك لا تستطيع ان تستفيد من الموسيقى مالم تتعلمها بذاتك . فان قطعة واحدة تدرسها بنفسك وتنشدها لوحدك ترتفع بروحك الى مستوى لا تبلغه ولو سمعت الف قطعة من غيرك .

فكل من يقنع ابناء بلاده بوجوب درس الموسيقى انما يقدم خدمة صالحة للامة باسرها . وانتم ايها الجموع الخرساء في الكنائس والاحداث في المسارح ، والجنود في ساحات الحرب ، والجماعات في الشوارع ، الا فاعلموا ان الحرية والقوة والحياة ملك حلال لكم تتمتعون به كيفما شئتم اذا عكفتم على درس الموسيقى والعمل بما توحيه اليكم من الاسرار والعجائب الباهرات

طريق الخلاص

انني لاستطيع أن أحترم نفسي ما لم افعل الاشياء التي يوافق عليها ضميري

وضميري لا يوافق الا على الاعمال التي اشعر بان القيام بها واجب محتوم عليّ .

لذلك اعتقد ان احترام النفس هو الطريق الحقيقي للاداب الصحيحة . فاذا كنت اديباً فانا احترم نفسي . واذا لم اكن اديباً فانا احتقر نفسي .

واذا سألتني عما ربحته من الصلاح ومن فعل ما تقضي به العدالة ويمليه الضمير السليم . لأجبتك على الفور قائلا : انني ربحت احترامي لنفسي ، وفي هذا سعادتي بل سعادة كل الناس . لان اللذة ، مهما كان نوعها ، باطلة عند التحقيق ترافقها الكآبة الصماء اذا لم يصحبها احترام الذات .

كثير هم الناس الذين لا تفارق سماء حياتهم غيوم الحزن والكآبة والاضطراب والتشاؤم والشقاء العظيم ، وهم لا يعرفون سبباً لذلك . ولكن هذا جميعه ناتج بالحقيقة عن عدم احترامهم لنفوسهم .

انني رفيق خالد لنفسي . والذات الخفية الكائنة في أعماقي التي أدعوها « أنا » هي الشخص الوحيد الذي لا أستطيع ان

اتخلص منه في هذا العالم . فاذا احتقرتها ، وهي الرفيقة التي قدر لي ان اعيش معها سحابة أيامي ، فكيف استطيع ان أكون مطمئناً سعيداً ؟

ام كيف أقدر اذ ذاك ان احظى باحترامي لنفسي ؟

الجواب بسيط . ففي كل لحظة من حياتي تتنازعني عوامل كثيرة لان افعل هذا او ذاك من الاعمال . لان الحياة اختيار متواصل لا نهاية له . فاذا اتخذت لنفسي قاعدة دائمة — أن افعل كل ما أشعر بانه يجب عليّ فعله فانني ولا شك أسير الى طريق السلام والخلاص .

فان قيامك بما يجب أن تفعله هو طريقك الحق الى السعادة . واذا اعملت فكرك في هذه القضية لرأيت أنها ليست « وعظاً بسيطاً » فقط ، بل هي حقيقة نفسية واضحة . لانه ما من وسيلة تقدر أن تجعلك سعيداً مع الناس ما لم تكن سعيداً مع ذاتك تحترمها وتحترمك .

فلنفرض اذن أنك وقفت في وسط احزان نفسك ، واضطرابات فكرك ، وأسرار عقائدك ، ومعميات شكوكك وظلمة أهوائك واطوارك وثورة روحك — لنفرض انك وقفت هنيهة تقول :

« في العالم مليون حقيقة لا أعرفها . ولكن فيه حقيقة ثابتة اعرفها كل المعرفة : وخلاصتها انني اعرف كيف اصنع الخير

وسأصنعه . الحياة سر عميق ، ولكن الشعور بانه يجب عليّ أن افعل هذا الامر وان لا افعل ذاك ، ليس بالسر العميق بل هو أمر بسيط جداً . لذلك سأشرع للحال في القيام بما اعرف أنه يجب عليّ فعله . »

هذه هي طريق الخلاص

انني لأعرف الجهة التي تسير فيها هذه الطريق ، ولكنني اعرف المحجة التي تؤدي بك اليها — وهي محجة احترام النفس

وحيث يكون احترام النفس فهنالك نستطيع أن نجد الجوهرتين الفريدتين في عقد رغبات القلب البشري — وهما السلامة والطمانينة

لايحسن القراءة

قص علي أحد اصدقائي التجار القصة التالية . انني لا اعرف كيف حصل عليها . ولا ادري اذا كان قد سبق لاول فنشرها في إحدى الجرائد أو اذا كانت حقيقية أم مثلا خيالياً . اما اذا كانت مثلا فانني استميح صاحبه عذراً في نشره لقرائي . فان في هذه القصة حكمة سامية وتعليماً ادبياً جميلا . فهي توضح كم هو مهم للراغب في الثروة أن يكون واسع الاطلاع بالغ المعرفة ! واليك القصة كما رواها صديقي قال :

كان في قريتنا رجل امّي لم تُتَح له الفرصة لان يتعلم القراءة

أو الكتابة . فقد ولد في بلاد اجنبية ولم يدخل مدرسة قط . ولكنه كان فصيح اللسان زكي الجنان.

وقد سمع مرة أن مركز القندلفت في الكنيسة فرغ ، وإذ كان في حاجة الى العمل ذهب الى الكنيسة يطلب الاستخدام في المركز الجديد . وبعد أن قدم شهاداته المنبئة بصدقه وأمانته واجتهاده قبلته عمدة الكنيسة باجماع الاراء . غير أنه قبل أن يستلم وظيفته الجديدة سأله أحد أمناء الكنيسة اذا كان يحسن القراءة والكتابة . فاجاب بالنفي . فقررت عمدة الكنيسة في الحال رفضه من عمله . لان مصلحة الكنيسة تأبى أن يكون خادمها امّيا

وكان لهذا المسكين صديق يتعاطى بيع السيكار . فجاء اليه وقص قصته عليه .

فقال له صديقه ، « إن لي رأيا أود أن أعرضه عليك . خذ صندوق السيكار هذا واذهب الى الشوارع وبع ما فيه . اذهب في الحال وكن رجلا ! »

فاجابه وقال : « انني على ما تريد ياسيدي ! »

باع الشاب صندوق السيكار . ثم اشترى بثمنه غيره ثم باع ما اشتراه واشترى غيره وهكذا دواليك الى أن اهتدى أنه بياع ماهر .

ولم يمر على ذلك الكثير من الزمن حتى اقتنى محلا خاصاً به لبيع السيكار على أنواعه . وظل يسير في اعماله الى الامام والنجاح

حليفه حتى صار يملك غير واحد من مخازن التبغ في بلدته وفي المدن المجاورة

ثم اشترى أرضاً وبنى عليها بناء كبيراً لم يلبث أن باعه بعد بضعة أسابيع بربح جزيل . وهكذا تعلم المتاجرة بالاملاك والعقارات فربح ارباحاً طائلة .

وحدث مرة أنه جاء الى المصرف الذي كان يتعامل معه وقال لامين الصندوق ، « انني احتاج الى مئة الف ريال في هذه الدقيقة ، فهل تستطيع ان تقرضني اياها ؟ انني انتظر ارباحاً كثيرة اذا حصلت عليها قبل الساعة الثالثة بعد الظهر فالمرجوا أن تقرضني هذه القيمة في الحال . »

فنظر اليه أمين الصندوق بملء الدهشة وقال له ، « ولماذا تريد أن تستدين ايها الصديق ؟ افهل تعلم كم لك من المال في هذا المصرف ؟ »

فاجاب ، « كلا ، انني لا اعلم . »

فقال له امين الصندوق ، ان رصيد حسابك يزيد عن ٢٥٠ الف ريال . »

فقال الرجل ، « يا للعجب ! »

فسأله أمين الصندوق ، « ألم تعلم هذا قبلا ؟ »

فقال ، « كلا . فانني لا اعرف شيئاً عن الارقام ولا احسن القراءة والكتابة . »

فصرخ أمين الصندوق باعلى صوته قائلا . « عجيب امرك ياصاح ! انت لا تقرأ ولا تكتب وقد بلغت هذه الثروة الطائلة ولكن ماذا كان يكون لك لو انك تعلمت وتخرجت من احدى الكليات الكبرى ؟ »

فاجاب الرجل بسذاجة وقال : « لو كنت متعلماً كما اشرت لكنت اليوم قندلفت في الكنيسة ! »

دكان النجار

في القرب من بيتي دكان نجار أمر به في كل يوم . وكثيراً ما أدخله فيأذن لي رئيس النجارين بالجلوس على شرط ان لا اقعد في طريق العملة .

انني احب رائحة الاخشاب التي ينزعون عنها قشورها للمرة الاولى ، واحب أن أرى النجارين وهم يستقطرون العطر المحبوس طويلا في أعماق الصنوبر والسنديان والجوز والخيزران وينشرونه في الهواء .

احب أن اسمع حركة « الفارة » وهي تمر فوق الاخشاب واحب أن أرى النجارة تتساقط من تحت شفرتها حبالا طويلة على الارض .

احب صوت المنشار ، واحب أن أرى النشارة تتساقط تحت طاولة النجار .

احب طرقات المطرقة ايضاً . ففي المطرقة قوة صالحة ثابتة . وحبذا لو أن لفكري ما للمطرقة من العزم والثقة .

ما أسعد النجارين ؟ وما أسعد الغبطة المرافقة لحياتهم . فان البهجة واللذة لا تفارقان هؤلاء العملة الذين أمامي الان . ويلوح لي أن في الاعمال المتعلقة بالاخشاب وغيرها من المواد الطبيعية قوة تعمل على غبطة الحياة وسعادتها .

ان العملة في دكان النجار يعيشون كالاخوة بعضهم مع بعض . ولكنهم لاتجد أثراً للمجاملة في احاديثهم . فهم ينادون احدهم الاخر بالقاب خصوصية . فهنالك « ابو دقن » و« الاشقر » و « الاعرج » و . . . . و . . . . أما الخواجا والسيد والافندي فلا وجود لها بينهم

اللطف والمعاملة الرسمية لا أثر لهما بين هؤلاء النجارين . فهم يمزحون ويهزلون ويتضاربون بالكلام وبالايدي وبالعوارض والاخشاب ولا تسمع في أثناء ذلك سوى الضحك والتهليل من الضارب والمضروب بالسوية . وكل من يراهم على هذا الحال يثق الثقة كلها بشدة تعلقهم بعضهم ببعض . لان هذا كله نتيجة لازمة لروح الشباب السعيد . والعمل اليدوي يحفظ للشباب نضارته لانه ليس كالاعمال الفكرية تأثيراً في هدم الشباب وجر المرء الى سجون الشيخوخة المظلمة .

أما الرئيس فانه مقطب الحاجبين ابداً ، يتكلم بسرعة وحدّة

وكثيراً ما يوبخ هذا أو ذاك من العمال بكلمات قاسية . أما الذي يقع عليه التوبيخ فانه يتذمر في الغالب من استبداد الرئيس ولكنه يخضع لاوامره دائماً .

كثيراً ما يدعوني الاصدقاء الى حفلات وولائم رسمية فألبي الدعوة ولو على رغم ارادتي . ولكنني أجد نفسي في اليوم التالي محمولا برغبة خفية الى دكان النجار حيث انفض عن ذاتي ما علق علي من غبار « الرسميات » في الليلة الماضية .

انني أحب من اعماق قلبي ان انظر الى النجار وهو يستعمل الزاوية والزئبق والبيكار . لان هذه الالات تقود المتأمل فيها الى الاعتقاد بان العمل الصالح يجب أن يكون حقيقياً صائباً وليس قريباً من الحقيقة والصواب فقط

والنجارون على ما أرى ثابتون في عقائدهم أحرار في أرائهم كجميع الناس . فسواء كان النجار معمدانياً أو اشتراكيا أو كاثوليكياً أو بوذياً فهو لا يعرف غير العقل حكماً في أعماله

وأعظم من كل هذا ان النجارين لا يتعلقون بالاراء القديمة والتقاليد البلهاء العقيمة بل ينظرون في جميع اعمالهم الى المفيد والنافع من مدرسة القديم كان هذا أم من مدرسة الجديد . وقد يكون هذا نتيجة لازمة لاعتمادهم الزوايا المحددة والخطوط المستقيمة في مهنتهم .

اما نحن العالقين بحب الاراء والنظريات الناعمة المتعرجة ، افهل لنا من الثقة بحكومة هذا العالم الذي نعيش فيه او بمكان العالم الذي نسير اليه نفس ما للنجار من الثقة باخشابه وآلاته ؟

التناسب

اوضح هربرت سبنسر في فصل جميل من كتابه « المبادىء الاولى » ان التناسب كائن في كل حركة . فللريح نسماتها وللمياه امواجها . وللفصول تعاقبها ، ولليل والنهار دورانهما ، وللرئتين انتفاخهما وتقلصهما ، وللدم نبضاته وللناس يقظتهم ومنامهم . وفي قوات الحياة الادبية والاجتماعية نفس ما في الطبيعة من سلطان شريعة التناسب هذه . فالهوى يرتفع ويسقط ، والاصلاح الادبي يتقدم بادوار متتابعة ، والازياء تروح وتجيء والاعمال التجارية تتموج بين النجاح والفشل

هذه شريعة ثابتة اذا وضعناها نصب عيوننا عملت على وقايتنا من اضرار كثيرة . فكم هنالك من زوجة تعسة ما كانت لتكون هكذا لو أنها تعطي فرصة ، ولو قليلة ، لتعيش بعيدة عن زوجها ! وكم من صديق تخسره لانك تراه أمامك في كل ساعة ! وكم من عروس يهجرها عريسها لانها لا تأذن له بان يكون بعيداً عنها ولو هنيهة ليفكر في اللذة التي يلاقيها في قربه منها ؟

ان ابعد رغبات القلب البشري هي الرغبة في الممنوع من

الجديد أو غير الموجود . لان العامل في قطع الاخشاب يزداد رغبة في عمله اذا كان يقف بين الاونة والاخرى ليبصق على كفيه ويجدد ما يموت من همته بمتابعة عمله

الثبات في العمل يقود الى النجاح — ولكنه كثيراً ما يقود الى الضجر والسأم . ولذلك قال أحد الحكماء : « ان الصلاح المتناهي لا ينفع صاحبه بل كثيراً ما يكون صنواً للشر المتناهي ! » وقال أحد اطهار القديسين : « قد هربت من الله لكي أجد الله »

النفس والبحر

يقول علماء اللغات الاوربية ان كلمة نفس مشتقة من كلمة بحر . وحجتهم في قولهم هذا أن الكلمتين خرجتا من أصل واحد عند ما كانت اليونانية لغة العلم والمدنّية .

انني أؤمن بهذه العقيدة . فليس في الطبيعة أشبه بالنفس من البحر أو سطح البحيرة اللامع البهيّ .

فان المنظر الطبيعي بدون الماء ، سواء كان هذا الماء بركة أو جدولا صغيراً ، هو عند التحقيق جسد بلا روح ووجه بلا عينين .

أكتب هذه السطور وأنا على شاطيء بحيرة مشيغن التي أحب أن أتمشى على شواطئها في كل يوم فاقرأ الفصول اليومية في كتاب الوحي الكائن بين أمواجها الهادئة .

هنا أرى المياه تتصل بالافق البعيد فتعانق الجَلَد الصافي وراء مواكب الغيوم الجميلة .

هنا أرى اللانهاية وأشعر بها . هنا أدنو من سر الوجود خاشعاً متأملا . هنا أجد نفس مافي أعماقي من الخفقان الدائم والاضطراب المتواصل . هنا انظر الطبيعة راقصة في أشعة الشمس ساعة ، ثم لا البث أن أراها مظلمة عابسة بالغيوم ، مضطربة دامعة العين بالعواصف والامطار . هنا أرى البحيرة تارة زرقاء جميلة كالمحبة ، وطوراً ثائرة هائجة كالغيرة القاسية .

أجل ، انني اعرف أن وجه الماء مرآة كبيرة بالغة الاتساع ، ولا عمل لها الا أن تعكس لنا حالات الجَلَد العظيم . وأعرف أيضاً أن نفسي بطرائقها وتغييراتها تعكس لي وللعالم أجمع ماوراءها من الانسانية والوجود الغير المتناهي .

الهاربون

التاريخ ممتلىء بأخبار الهاربين . فهم يملأون مسارح العالم بالمشاهد الغريبة المدهشة .

فنهالك ايليا ، ويونان ، وبيلاطس ، ورمولا ، وشارل الخامس وهملت . . . وماذا نقول عنك ؟

ان فريقاً من هؤلاء هربوا ولكنهم ندموا بعد هربهم ورجعوا

ثانية الى أعمالهم . ولكن الفريق الاخر هربوا ولم يرجعوا قط الى عملهم .

ولكن الهرب من الواجب مهما كان نوعه ليس بالعمل الشريف

خُيِّل للانسان في قديم الزمان أن أوجاع العالم تزول بالهرب من العالم . ولذلك هجر العالم ومن في العالم واعتصم بالكهوف المظلمة والبراري المقفرة ، واعرض عن الانسانية بعد أن خابت آماله فيها فوقف حياته على أن يطفيء نيران الحياة بالاعراض عن مقاومتها والهرب من محاربتها .

قد صوّر المسيحي في كتاب « سياحة المسيحي » بقلم بُنيان كرجل يهجر مدينته وامرأته وأسرته ويسير واضعاً أصبعيه في أذنيه وهو لا يلوي على أحد في طريقه الى السماء .

ولكن العالم قد تخلص من امثال هذه المذاهب العقيمة . فالكنيسة ترسل اليوم المرسلين ، والمعلمين الى سائر أقطار العالم . والمصلحون الاجتماعيون يهجرون صوامعهم ويأتون الى المدن حيث يعيشون بين جماهير الخطأة والاشرار ، وفي هذه العقيدة اضعاف مافي تلك من الصحة والمحبة والرحمة .

فما من أحد اليوم يشك في أن العالم يتقدم ويزداد عمراناً بعملنا فيه أكثر مما بهربنا عنه واعتزالنا في مناسك انانيتنا وجبانتنا . لأن الانسانية سائرة الى الامام في تقدمها وهي لا تهتم شاركتها في عملها أم لم تشاركها . فللحياة نُظمها الثابتة الغير المتغيرة في تمثيل

فصولها على مسارح الوجود : فاذا هرب رجل واعرض عن تمثيل دوره المختص به ، فالحياة قادرة أن تجد رجلا غيره ليقوم بنفس العمل الذي كان عليه أن يقوم به .

لاجل هذا لا تقل في قلبك ، « ماذا يحدث في الوجود اذا كنت أرفض القيام بعملي ؟ » بل قل بالاحرى ، « ماذا يحدث لي اذا أقدمت على مثل هذا العمل ؟ »

فكما قال مردخاي لاستير عند ما ترددت في التوسط لدى الملك من أجل شعبها هكذا يقال لك ولي : « لانك ان سكت سكوتا في هذا الوقت يكون الفرج والنجاة من مكان آخر وأما أنت وبيت أبيك فتبيدون . »

فاعلم وكن واثقاً بأن سعادة الحياة الكاملة هي في الحرب الدائمة في الميدان الضيق الذي تضعك فيه الحياة . لانه ما من رجل بلغ بالهرب الى الطمأنينة أو السعادة .

الهرب دليل الضعف والجبانة .

فسر الى الامام ، وانس جراحك واوجاعك . لا تفكر في قروح نفسك بل احتقر الاخطار وخل عنك التنهد والتحسر . لا ترزح تحت أثقال الواجب ، ولا تكثر الشكوك والتحفظ ، بل واظب على القيام بعملك لتمتتع بما فيه من اللذة البالغة التي لن يعرف الهاربون طعمها .

ان الجبانة لا تعرف السبيل الى قلب الفرح بعمله ، والخوف

بعيد عن الثابت في عزمه السائر الى قنة النجاح بقدمين ثابتتين .

واجمل ما يحمل الانسان على التعزية الحقيقية في ساعاته الاخيرة ألا يفتر عن ترداد الاية : « قد جاهدت الجهاد الحسن . . . » من الرابحين كان أم من الخاسرين .

رأي الاميركي في البريطاني

في عقيدة الاميركي ان البريطاني مزيج لايدرك من اخلاق ومزايا يندر اتفاقها أو اجتماعها في شخص واحد .

قال لي صديق أميركي بعد أن عاش سنوات عديدة في لندن « انني لا أفهم الانكليز . انني لا أفهم رجال الاعمال في بلادهم ولا نساءهم ولا زعماء سياستهم ، ولا ابالغ اذا قلت لك انني لا أفهم الخادمة الانكليزية التي تخدمني ولا الرجل الذي يسوق سيارتي . قد جربت هذا كثيراً ، ولكن عبثا حاولت بلوغ مالا يبلغ اليه مثلي »

وهذا نفس ما وجدته في حياتي . فكما انني لم استطع أن اتعود تدخين مزيج التبغ الانكليزي كذلك لم أقدر أن أفهم مزيج الانسانية الانكليزية .

فالانكليزي حيي ، وافر الاحساس ، يضطرب لاقل الامور . وهو ليس على شيء من صراحة الاميركي ، بيد انه عريض الدعوى جريء شجاع .

وهو محافظ ، عنيد ، متعصب لآرائه وافكاره ، شديد التمسك بتقاليده وعاداته القديمة ، غير أنني لم أجد في جميع أسفاري الكثيرة بلاداً تتمتع فيها الصحافة والخطابة بما تتمتعان به في بلاد الانكليز من الحرية الكاملة .

يحب الانكليزي كل ما جرت عليه العادة وأيدته التقاليد ، ويكره الخروج عن المعروف والتمرد على المألوف ، ومع كل ذلك فهو يُعجب ببرنار شو !

ليس في العالم أمة تحب الملكية كالانكليز ، وليس في العالم أمة تتعبد للديموقراطية الحرة كالانكليز !

من أشهر صفات الانكليزي البارزة أنه يرغب في الترصن ويكره الضحك والمجون ، بيد أن اكثر القصص والروايات المجونية انما كتبها جيلبرت وسليفان !

الانكليز أكثر أمم الأرض محبة وتعلقاً ببيوتهم واولادهم ، ولكن ما من انسان يسافر في العالم كالرجل الانكليزي .

ان الطبقات الحقيرة في بلاد الانكليز قاسية عنيدة شديدة التعصب لحقوقها ، ولكنها مع ذلك اكثر خضوعاً للنظام من الطبقات الحقيرة في فرنسا أو في أميركا .

ما من امة تأصلت فيها الروح الفردية كالانكليز : وما من أمة كالانكليز تنظر الى الجماعة بروح المحبة والاخاء والمساواة .

يقول الافرنسي معيراً الانكليزي بانه فريسي مرائي يتظاهر

بالآداب ويتبجح بالمحافظة على فروض الدين ، ولكن الرجل الانكليزي يخفي عاطفته الدينية ولا يقيم لآدابه قيمة أو وزناً . ومع ان الشعوب اللاتينية تصلي جهاراً وفي كل مكان فان البريطاني أسهل أن تقبض عليه وهو يسرق سرقته من أن تراه وهو يردد صلواته

عرف الانكليز منذ القديم بانهم أساطين التجارة في العالم ، ولكن التجارة ميدان قلما فاز فيه بريطاني ، فهو يصنع بضائع ممتازة ولكنه لا يعرف كيف يبيعها كالاميركي والالماني .

يحب الانكليزي الهواء الطليق ، ولكنك عبثاً تحاول ان تجد « قهوة » في الهواء الطليق في مدينة لندن كما تجد في أكثر مدن اوروبا .

المشروبات الروحية غير ممنوعة في انكلترا ، والبريطاني يستطيع أن يشربها حيث شاء ، ولكن الخمارات الكبرى في لندن تقسم الى غرف صغيرة يشرب فيها الناس سراً !

الانكليزي اكثر الناس حباً لبلاده وتعلقا بمواطن اجداده ، ولكن حكومته أقدر امم الارض في الاستعمار وتدبير مصالح البلدان الغريبة التي تحكمها .

في الشريعة الانكليزية من النصوص القديمة اكثر مما في اية شريعة على الارض ، ولكن ليس على الارض بلاد يحق فيها الحق ويزهق الباطل بمثل السرعة والدقة اللتين في محاكم الانكليز .

انني أحب الشعب الانكليزي ، ولكنني لا أعرف السبب

الذي يحملني الى محبتي . ومن يدري فلعل محبتي هذه نتيجة لكون هذا الشعب احجية لا تحل اسرارها ؟

الفضاء الطليق

ان جرعة جيدة من الفضاء الطليق تكفي لشفاء أي ضعف او مرض من امراضك .

فدع عنك لبس القبعة وعرّض رأسك للفضاء الطليق ليتم لك التخلص من الصلعة المرغوب عنها من عامة الناس

امش بقدمين عاريتين ترجع بحياة قدميك وصحتهما عشر سنوات الى الشباب .

اخلع ثيابك ونم على الرمال في الشمس ولا تخف قبلات ذكاء الحارة فهي وان قرصتك ولدغتك تزيدك صحة وحياة .

اذهب الى الفضاء الطليق وهنالك تجد القابلية فهى تكره عبودية الجدران وتعشق حرية الفضاء

سر الى الفضاء الطليق وانج من سويداء الاعصاب القاطنة ضمن المنازل المحدودة . فكم في البيوت من فيران الامراض القذرة واهمها عسر الهضم ، واوجاع الكبد والرئتين والصداع وغير ذلك مما لا نجاة منه الا في الهواء المطلق .

ولا تنحصر اضرار البيوت المقفلة النوافذ والابواب

بالامراض الجسدية فقط بل تتعداها الى جميع العاهات الروحية والاوبئة الفكرية .

ان جميع النظريات الكلامية والعقائد الخيالية انما وُضعت في البيوت الضيقة ، ولكن الدين ، والايمان ، والرجا ، والمحبة والشجاعة تقطن في الاحراج والمروج وتسير في عرض البحار وطولها وهي تسعى ابداً وراء الشمس والريح .

ان المعلم الاكبر يسوع قد علم أفضل تعاليمه في الفضاء الطليق. ولكن المجامع الطائفية التي فرقت الناس بعضهم عن بعض انما عُقدت وتعقد ضمن جدران موصدة . وما تاريخ تقهقر الدين بسوى الفسحة الممتدة من العظة على الجبل الى العظة التي تتلى في مكان الاجتماع الضيق الفاسد الهواء .

والتهذيب نفسه يجب ان يتم في الهواء الطليق . فان أبعد احلامي وألذها على قلبي الحلم بجامعة الفضاء الطليق حيث يسير الطلبة حفاة مكشوفي الرؤوس يتعلمون تحت السماوات الصافية المرصعة بالنجوم .

هذه الجامعة تستطيع ان تعلم الطالب كيف يكون صحيحاً كجبابرة القدماء . والاجساد الصحيحة تقضي على جميع ضعفات الافكار السقيمة لان العقل السليم في الجسم السليم .

وهل في غير الفضاء الطليق يستطيع الانسان ان يتقن علوم النبات وطبقات الارض والفلك وامثالها من فروع المعرفة النافعة ؟

لان العلوم الحقيقية لا تقيم في المنازل الموصدة الابواب بل تعيش في منزل الفضاء الطليق .

فالعب في الهواء الطليق . ففي الفضاء قوة تضاعف اللذة والتسلية اللتين تجدهما في اية لعبة ضمن الجدران والبيوت .

كل في الفضاء الطليق اذا قدرت . فالحصان أوفر صحة من الانسان لان الحصان يمشي قليلا بعد كل اكلة يتناولها .

الفضاء الطليق يحل قضية السجون . لان الفرق بين السجن واشعة الشمس هو كالفرق بين القضاء على الانسان واعادة الحياة الى مفاصله الذابلة .

والسجين المجنون والشرير في ظلمة سجنه وتحت ثقل قيوده يتحول الى رجل عاقل محب للسلام اذا وضعته في الفضاء الطليق .

الاولاد في البيوت يسقمون ويمرضون ولكنهم في الهواء الطليق ينمون ويتكاملون .

الفضاء الطليق رخيص الثمن ، وفي طوق الجميع أن يتمتعوا به

الفضاء الطليق من صنع الله ، ولكن البيوت من صنع الناس . والله يعيش في الفضاء الطليق ، اما القصور الشاهقة التي يشيدها الانسان فليس فيها سوى الاصنام .

الكآبة تكبر القلب

جميعنا نركض وراء اللذة ونهرب من الكآبة ، ومع ذلك فان اللذة تضعفنا ولكن الكآبة ، تزيدنا قوة .

شر ما يحل بالانسان من قضاء الاقدار أن تهبه الحياة كل مايريد ويشتهي. أعطه ثروة بالغة ، وأشبع جميع غرائزه ورغباته الجسدية ، واملأ ايامه باللذات والمسرات، فلا يمر عليه القليل من الوقت حتى يتحول الى نمر ثائر في قفصه ويشرع في التهام قلبه . ان تنهوزر سم اخيراً من حضن فنيس ، ومن اعماق فردوسه الجسدي صرخ يستغيث بمن يقرب له قليلا من آلام اخوانه البؤساء كما صرخ الغنى من الجحيم طالبا نقطة من الماء ليبرد ظمأه في لهيب النار .

ان الكآبة هي الاساس الراسخ للفرح . لان الحياة بدون كآبة هي باردة مظلمة ، والفرح لا طعم له في افواه الذين يجهلون الترح ، كما ان الرجل الذي يتمتع بالمأكولات الطيبة كل يوم لا يستلذ طعاماً مهما كان نوعه ، ولكنه يقدر اللذة العظيمة التي في الخبز اليابس بعد صوم طويل

اذا نزلنا الى هوة لا لذة فيها وخبرنا الكآبة التي تسود جميع زواياها فحينئذ نستطيع ان نصعد منها وفي اعماقنا قوة عظيمة قادرة

على الاهتداء الى ما لا يحصى عديده من انواع اللذة الحقيقية التي لن يعرفها الا ابناء الكآبة .

ان الجندي في ساحة الحرب يفصل نفسه عن نعيم الحياة ويعرض نفسه لاخطار واهوال ما كان ليصادف مثلها لو ظل آمنا في بيته . بيد ان حياته غنية سعيدة بالحقيقة اكثر من كل رجل سواه من البعيدين عن ساحات الحرب. ففي الخنادق وميادين القتال افراح للجندي لا يتمتع بمثلها في حقله أو تجارته . لان الاخطار تحسر له القناع عن عالم جديد ذي جمال بسام سعيد ، عالم يدخله الانسان باختياره ، أو تقوده اليه الضرورات التي لا مهرب منها ، فتسمو به نفسه الى حيث تجترح المعجزات الخالدة

لجميع الاعمال الانسانية وجهان . فهنالك وجه الحرب وهو قاتم دامٍ ، وهنالك وجه السلام وهو لامع منير . وهذا الزمن الراعب الذي نعيش فيه يشبه الموسيقى المحزنة التي لا تحب سماعها الاذن العادية لأول مرة تسمعها ولكن بعد ان تتعودها قلوبنا وتتفهم أسرارها تظهر لنا عظمة ما تبلغه العواطف في الاحزان مما لا مجال للافراح ان تصل اليه .

قال حكيم : « ان اللذة التي في الكآبة هي احب على قلبي من اللذة الكائنة في اللذة نفسها ، ولذلك قالت الحكماء خير للانسان ان يذهب الى الجنازة من ان يذهب الى العرس »

الاريستوقراطية الجديدة

جاء في احدى خطب المستر تشارلزم . شواب ، احد اصحاب الملايين وملوك الحديد في العالم الجديد ، ما يأتي :

«اننا نكاد ندخل ، (اذا لم نكن قد دخلنا) في عهد اجتماعي جديد قل من حلم به من ابناء العصر الحاضر . وسيقضي هذا العصر بان تكون اريستوقراطية المستقبل حرة من قيود الثروة والوجاهة منحصرة بالرجل الذي يقوم بقسطه من الواجب نحو اخوته في الانسانية ونحو البلاد التي يعيش فيها . وسيكون هذا العهد اقرب الى الديموقراطية الحقيقية من كل عهد سبقه . وستزول فيه جميع الفروق الجنسية والحواجز العديدة بين الاغنياء والفقراء والعامة والنبلاء

« انني لا أحب أن يحسبني الناس اشتراكياً ، لانني أود ان احتفظ بكل ما يخصني مما حصلت عليه بحق وعدل . وانما اعني أن الغني في هذا الجيل لا تكفيه ثروته للحصول على مركز جليل في البيئة التي يعيش فيها ما لم يكن ذا فائدة ظاهرة للناس .

اجل ، ان لكل نظام اجتماعي اريستوقراطية مختصة به . فقد كانت للمصريين القدماء وظائفهم الكهنوتية ، وكان للرومان نبلاؤهم ، وللجرمان قوادهم ، وللانكليز اشرافهم وللاميركيين اصحاب ملايينهم .

ومن نيران الحرب العظمى وما أحدثته من الويلات في جميع انحاء العالم قد اشرق نور أمل جديد بنظام أفضل من جميع ماتقدمه من النظم الاجتماعية .

فقد أدرك العالم بعد اختبارات دموية ، وتجارب متواصلة ان في كل انسان قوة انسانية تفسح له المجال لمساواة غيره في جميع اعمال الحياة . اننا لا نستطيع أن نضع حداً لعبادة الابطال ، لان هذه العبادة غريزة فطرية في جميع الناس . فالابطال ، في جميع فروع الاعمال ، لابد من وجودهم في الحياة . بيد أننا في المستقبل لن نحوّطهم بتماثيل الملوك والامراء الذين حصلوا على شهرتهم بطريق الوراثة والتقليد ، ولا بانصاب ارباب الملايين الذين بدهائهم ومهارتهم غلبوا اخوانهم وتفوقوا عليهم في الجهاد وراء الثروة والمقتنيات المادية ، ولا المغامرين العسكريين الذين ارتفعوا الى ذروة الشهرة على اكتاف الضعفاء والفقراء ، ولا المتظاهرين بالقداسة الذين ليس لهم من التقوى سوى مظاهرها ، ولكن اعجابنا سينحصر في المستقبل باولئك الابطال الحقيقيين الذين سيقتفون خطوات ذلك المعلم الصالح الذي على رغم الالقاب التي قدمها له اتباعه . مثل ملك الملوك ، ورب الارباب ، وملء الالوهية المتجسدة على الارض ، فهو لم يعبأ بكل هذا بل قضى حياته يعمل صالحاً ولم يتخذ لنفسه لقباً سوى :

(خادم الجميع)

مدن الملجأ

كان عند اليهود القدماء مدن دعوها مدن الملجأ . وكان القاتل في الغالب يهرب اليها ليحتمي من انتقام خصومه . وقد اظهر اليهود بعملهم هذا حكمة بالغة ، اذ عرفوا كيف يُعدون الطريق الى حيث يأمنون ضعف الانسان

وأنا ايضاً لديّ غير واحدة من مدن الملجأ . واليها اهرب في كل يوم من أمام غضب ذاتي . لان هذه الذات المحترمة التي ادعوها (انا) . هذه الذات التي ألبسها أثمن الملابس التي اقدر على شرائها . وأرغب في أن يعتقد الناس جميعاً بصلاحها وفضلها وذكائها ونبلها ، هذه الذات التي كثيراً ما وقفت بها على المنابر في الكنائس والمحافل الكبرى اعظ الناس وآمرهم بما يجب ان يفعلوا وما يجب أن يهملوا ، هذه الذات الكائنة في اعماقي هي كما اعرفها جيداً ، وكما وصفها مُنتغيو غلاس ، « حياة دنيئة ، » وانا أعني بهذا أنها تتعلق بما لا طائل تحته من سخيفات الامور ، وتعشق الملذات الباطلة كالكسل والتنعم والرفاهية والملاهي وجميع الاجتماعات الشريرة التافهة ، وتبغض الواجب وجميع الفضائل الصالحة

من كل هذه الرذائل المرافقة لذاتي التي لا تفتر لحظة عن اضطهادي وتعذيبي اهرب الى ما لدي من مدن الملجأ . واول

هذه المدن النظام . فاذا لم اتخذ نظاماً لاعمالي وجدت نفسي عاجزاً عن القيام باي عمل كان . لانني اذا كنت لا اشتغل حتى يخطر لي فاحب ان اشتغل فانني لن احصل على ثمرة واحدة من أعمالي . لان الوحي الذي يترقب الكسالى حلوله عليهم ليقوموا باعمالهم هو في مقدمة العوائق التي تحول دون نجاح الكثيرين من الناس . فان أفضل أعمال العالم يقوم بها الذين لهم نظام يتبعونه في أعمالهم ولا يحيدون عنه قيد شعرة .

والمدينة الثانية هي البيت . وانني اعجز عن أن أصف لك العواطف الشريرة والافكار الشيطانية التي اهرب منها كل يوم وأنا في حماية مدينة بيتي

والمدينة الثالثة هي الكنيسة . انني استطيع ان أنتقد الكنيسة اضعاف ما ينتقدها سواي من ابنائها ولكنني أحب الكنيسة محبتي لكل نظام صالح لا نعرف كيف نستعمله في حياتنا ليعود علينا بالفائدة . ولذلك أحب الذهاب الى الكنيسة . فهي تخلصني ، ليس كما يفهم الناس من الخلاص ، بل انما تخلصني من ذاتي .

وأفضل جميع مدن الملجأ في عقيدتي هو العمل ففي العمل وحده أجد حريتي التامة من قيود ذاتي ، فاضحك منها جهد طاقتي .

الرجل الحقيقي

قد لا يتاح لك أن تكون رئيساً للولايات المتحدة ياصاح ، قد لا تبلغ قنة النجاح فى الاعمال التجارية لتكون رئيس شركة عظيمة تجلس الى مكتبك الثمين ومن حولك الكتاب والمؤتمرون باوامرك ، قد لا تفسح لك ميادين القتال وصفحات الكتب مجالا لتكون بطلا فى الحرب أو أميراً من أمراء البيان ، بيد أنك تستطيع أن تكون اعظم من جميع هؤلاء — تستطيع أن تكون رجلا حقيقياً .

والجمال البالغ في هذه الحقيقة ، الجمال المتناهي في البلوغ الى هذه العظمة الحق فى العالم كائن فى أن الامر كله بيديك . فانت تقدر أن تكون رجلا حقيقيا متى أردت ما من أحد يستطيع أن يوقفك . الوراثة لا تقف فى سبيلك . والظروف التي تحيط بك أعجز من ان تحولك عن عزمك.

اذا رغبت فى حاكمية بلادك ، فانت تعيش بين امرين : النجاح أو الفشل . واذا رغبت فى النجاح بتجارتك فانت لا تقدر أن تثق بفوزك ، لانك قد تكون صحيحاً قوياً للقيام بعملك ، وقد تفاجئك الامراض والمصائب فتقف عقبات كأداء فى سبيلك واذا أحببت امرأة وسعيت وراء امتلاك قلبها لتكون رفيقة لحياتك ، فمن يدري اذا كنت تربحها أو تخسرها ؟

(الحظ والبخت) كائنان فى كل شيء ، ولـكن لا أثر لهما في صيرورتك رجلا حقيقياً . فانت قادر أن تـكون رجلا حقيقياً اذا كنت تتجه بكل ارادتك الى هذا العمل العظيم ، وكل قوات الجحيم ، والوراثة ، والحظ ، والنصيب ، لا تقدر ان تتغلب عليك بل تدوسها بقدميك

أفلا يعزيك اذن ويشرح لك قلبك ان فى الحياة امراً واحداً تستطيع أن تثق بالحصول عليه ؟ افلا تتضاعف افراح روحك اذ تعلم أن هذا الامر الواحد هو أعظم وأثمن ما فى العالم !

من هو الرجل الحقيقي ؟

الرجل الحقيقي هو ذلك الذي يجرّب بمنتهى الاخلاص ان يعيش بمقتضى أفضل النظم التي يعرفها .

هذا كل ما يُطلب منه . أفلا ترى انه بسيط ؟ وهل فى الحياة من أمر عظيم وغير بسيط ؟

ولـكن المعرفة وحدها لا تـكفي ، فـكم هنالك من الادنياء والجبناء الذين يعرفون ولـكنهم لا يعملون بما يعرفون

وشعورك بالنظم الفضلى ، وادراكك اياها وتقديرها قدرها ومحبتها — كل هذا لا يجعلك رجلا حقيقياً . فـكم من سكير فاسق يفوقك شعوراً ومحبة

أن الرجل الحقيقي هو الذي يلبي نداء الحياة بأمانة ويحمل أحمالها برغبة وحمية ، هو ذلك الذي لا تثنيه العقبات مهما علت ،

ولا تثبط همته امواج بحار المصائب مهما طغت بل تزيده همة فوق همة

الرجل الحقيقي يحترم نفسه ، واحترام النفس يرافق خشية الله .

الرجل الحقيقي له مقدساته الخصوصية في جسده وفي فكره وفي قلبه فهو مكتنف بهالة من نور الجلال والوقار أبدا .

الرجل الحقيقي هو الثابت الخطى والحكيم الفكر في ميدان المسؤولية والشهرة والنجاح .

الرجل الحقيقي لا يزيده الفشل الا قوة ، ولا الغلبة الا همة . فهو يعرف كيف يغلب كما يعرف كيف ينغلب ، ولذلك لا يشكو ولا يتوجع لأن السقوط سلم الصعود في عقيدته .

الرجل الحقيقي لا يتحدث بما يدين له العالم به ، ولا يذكر السعادة التي يستحقها . ولم تأتي اليه صاغرة أو الظروف التي كان يجب أن تفتح له أبوابها فاوصدتها الاقدار في وجهه . وهو لا يطلب سوى حقه في الحياة وفي تمثيل دور الرجل الرجل على مسارحها .

الرجل الحقيقي امين في خلوته ، امين في الخفاء كما هو في العلانية

الرجل الحقيقي لا يحتاج الى من يجره الى عمله او يرشده أو يحسن اليه . فهو يطلب العمل الصالح والاجرة العادلة .

الرجل الحقيقي مقيم على وفاء صديقه ، يغار على شرفه كما يغار على نفسه وأقرب المقربين اليه .

الرجل الحقيقي تستطيع أن تعتمد عليه . فكلمته البسيطة وأقسامه على كتبه المقدسة مقبولة في محكمة الصدق والاستقامة بالسوية

الرجل الحقيقي يفعل أكثر مما يعد .

الرجل الحقيقي لا يطلب شيئاً لقاء لاشيء . ولذلك لا شأن للنفعيين — والراغبين في البلوغ الى الثروة السريعة على اكتاف الناس — معه .

الرجل الحقيقي يحترم المرأة — كل امرأة . فهو لا يؤذيها البتة لابجسدها ولا بروحها . يلزم امرأته ويحافظ على واجبات الامانة الزوجية ولو فترت حرارة المحبة في قلبه .

الرجل الحقيقي يعرف حقوقه وواجباته ولذلك لايدين غيره .

الرجل الحقيقي يجد عذراً لجميع الناس ، ولكنه لايجد لنفسه عذراً ، فهو صبور ، متساهل مع غيره ، ولكنه صارم في ما يخص ذاته .

الرجل الحقيقي يفرح بالحياة ولا يخاف من الموت .

الرجل الحقيقي لا يسعى وراء الاخطار ، ولكنها اذا حلت فهو لاينسحق تحت أهوالها .

الرجل الحقيقي هو بعدل كامل الرجل كل الرجل ، هو أفضل وأنبل وألطف وأجمل وأشرف وأكمل ما في الوجود من المخلوقات ولا يخرج عن هذه القاعدة الا المرأة الحقيقية .

مرض الشيخوخة

قال أحد المجونيين ، « ليست بوسطن محلة معينة ، بل هي صورة فكرية .» وكل من سبق له أن عرف بوسطن تمام المعرفة يثق بهذه الحقيقة التي لاتحتاج الى برهان .

وبمثل هذه الدقة نستطيع أن نقول أن الشيخوخة ليست عدداً محدوداً من السنين بل هي « صورة فكرية »

قد جرى على الالسنة أن المرأة يتوقف عمرها على منظرها ، والرجل يتوقف عمره على شعوره : ونضيف الى هذا حقيقة ثابتة وهي أن الرجل والمرأة معاً يتوقف عمر كل منهما على فكره وعقائده في الحياة .

فالشيخوخة اذن صورة فكرية لايحتاج اليها أحد وفي منال كل انسان أن يهرب منها اذا أراد . فهي مرض من أمراض النفس ، وضعف يطرأ على صحة الانسان ولكنه يزول بالقليل من العناية والوقاية . وقد ساد الوهم في ان الشيخوخة مرض ضروري لكل انسان . ولكن العلم الصحيح اظهر فساد هذا الوهم .

يبدأ الانسان وجوده على الارض كحيوان قوي ، ثم لايلبث ان يضعف جسده ، وتتضاءل قوته ، فينحل انحلالا طبيعياً الى العناصر التي تركب منها . فالجسم ينمو وينضج ويسقط ويذبل

ويموت كالتفاحة او اية ثمرة كانت من اثمار المادة . على هذا المنوال يتسرب الضعف الى الهيكل الجسدي .

ولـكن هذا لا ينطبق على الفكر . فان جميع الـكائنات الحية في الوجود : من الفطر الى السنديان ، من الحشرات الى الفيلة والجواميس ، من الجبال والانهار الى الشموس والأقمار لها ادوار نموها وبلوغها واحتضارها ولـكن الفكر ليس له مثل هذه الشريعة فهو الشواذ الوحيد لقاعدة الطبيعة .

فالفكر في كيان الانسان هو الرجل الحقيقي دون اللحم والعظام والفكر يكون حدثاً في التسعين كما يكون في الحادية والعشرين .

ورب سائل يقول : « فما هي الدعائم التي يرتكز عليها هيكل الشباب الدائم اذن ؟ » فنجيبه انها تنحصر بما يأتي :

العمل . والنمو . والايمان .

فاذا سارت الحياة على هذه الطرق الثلاثة تظل فتية بعيدة عن الشيخوخة . واذا خرجت عن واحدة منها ، او عنها جميعاً ، سقطت في هاوية الشيخوخة والموت .

ونحن نعني بالعمل الاشتراك الفعلي في مصالح الجنس البشري تأمل كيف ان الولد لا يستطيع ان يكون كسولا . فهو يريد ان يعمل شيئاً ولذلك يحترق شوقاً للاشتراك بأية لعبة يراها امامه .

اما الـكسل فهو حجر الزاوية في بناء الشيخوخة . والعامل او التاجر الذي يهجر عمله او تجارته ويقف حياته على الراحة

والتخلص من اثقال الاعمال هو بالحقيقة قاتل ينحر حياته فى كبدها حاسباً انه يعمل على طمأنينتها وسعادتها .

مات جون بيجلو مؤخراً في الخامسة والتسعين من العمر وقد ظل حتى النسمة الاخيرة ملازماً أعماله ولا لذة له في شيء سواها .

فالعمل دون اللهو يحفظ لك شبابك . فالزم عملك ولا تتركه حتى تجد عملاً غيره يكون لك من ورائه لذة أوفر وثمرة أشهى وأطيب من ثمار عملك الاول .

انني اعرف امرأة في الثمانين من عمرها تعيش مع ابنائها الاحد عشر وهي لا تقل شباباً عن اصغرهم سنا لانها لا تريد ان (توضع على الرف) !

فالعمل اذن هو السبيل الاول للشباب الدائم .

ثانياً النمو . وانا اعني به النمو الفكري . فاحفظ فكرك مفتوحاً للتعليم راغباً في درس الحقائق الحديثة تواقاً للاطلاع على الاعمال الجديدة

لان الفكر اذا أغلق ابوابه دون الدرس والاستفادة فهو يفسح المجال للشيخوخة فتدخل وتسود فيه . فكم هنالك من الشيوخ الذين لا تستطيع ان تعلمهم حقيقة واحدة ! فقد أوصدوا ابواب افكارهم واعتصموا بما يعرفون ، لا فرق في الفلسفة كأن هذا ام في الدين والسياسة .

في الامثال الاميركية قولهم ، لا تستطيع ان تعلم كلباً عجوزاً

حيلا جديدة. » ولكن رغبة الكلب عن درس الأخاديع الجديدة هي دون غيرها تجعله عجوزاً .

لان الرجل الذي يُقبل على درس اليونانية وهو في السبعين من العمر أو التعمق في المباحث النفسية وهو في الثمانين انما يظهر بالحقيقة ان فكره يتنشق هواء ربيع الحياة وليس خريفها.

فالفكر الراغب في الدرس المحب للبحث هو حدث في العشرين فتيّ في التسعين. ولذلك يجدر بالحكومات الراقية ان تفتح مدارس خاصة بابناء الستين فما فوق لان كل من يذهب الى المدرسة هو شاب ثالثاً واخيراً الايمان . وأنا لا أعني بالايمان التسليم الاعمى بكل عقيدة أو رأي ، بل انما اعني الايمان العام بالانسان وبأعمال الانسان والثقة بالحياة وبما في الحياة من شجاعة ثابتة وسعادة باقية .

اعني ايمان الانسان بنفسه وبقسمته في الوجود. ايمانه بالانسانية وبالعلم وبالحكمة التي تسوس العالم وتسهر على نظامه الخالد : الايمان الذي هو بحق وعدل ينبوع الشباب ومعينه النقي الباقي . لان الشك موطن الشيوخة، والكفر والشؤم واليأس غبار لا يتصاعد الا من النفس الجافة البعيدة عن انهار الايمان السعيدة .

والجمال البالغ في الايمان هو انه ليس بالقوة الخارقة للطبيعة بل في طوق كل انسان ان يستثمره ويتخذه عادة لنفسه .

فاذا واظبت على العمل ولم تنقطع عن الدرس والتعلم وكان لك ايمان كاف في قلبك فأنت لن تعرف الشيخوخة .

أما الذي لا يعمل ولا يتعلم ولا يؤمن فهو شيخ ولو كان في الثلاثين من عمره . لان الشيخوخة لا تقاس بعدد السنين ولكنها صورة فكرية .

من اجل صحتك

من اجل صحتك تكتب هذه السطور .

« الصحة تاج على رؤوس الاصحاء لا يعرف قيمته سوى المريض »

عندما نجتمع في الصباح ونحيي بعضنا بعضاً بالتحية المعتادة « كيف حالك » فانما نسأل اعظم سؤال في العالم . فنحن نسألك كيف حالتك الجسدية الطبيعية اليوم ؟ لان هذا اهم شيء يتعلق بوجودك على الارض

كان الناس في قديم الزمان يجلدون الجسد ويعذبونه بالجوع وأصناف التعذيبات البربرية ليجنوا افضل ما في النفس من الثمرات. ولكنه عهد مظلم مضى ولن يعود . فنحن نعتقد اليوم ان اسمى القوى الانسانية كائنة في الفكر السليم الذي يحل في الجسد الصحيح

قال افلاطون ، « احترموا الجسد اكراماً للنفس : »

نحن لا نعرف كل التأثير الذي للجسد على الفكر ، ولذلك قال الحكيم الشهير سبينوزا ، « لم يستطع احد حتى الآن ان يقرر

درجة التأثير الذي للجسد على النفس ، وما برحنا اليوم كما كان الناس في أيام سبينوزا عاجزين عن ادراك هذه الحقيقة .

على ان واجب الوالدين ينحصر فى الدرجة الاولى ببذل كل ما تبلغه قواهم لتأمين صحة اولادهم قبل كل شيء . لان ديانة الولد وآدابه واخلاقه بأسرها تتوقف على صحته .

كم في العالم من الاوجاع والامراض الاجتماعية التي نشأت عن ضعف الجسد ؟ فهنالك المرأة الشرسة النكدة الملولة ، والولد الجامح المتمرد العنيد ، والرجل الظالم الملتوي السيرة ، وغيرهم من البؤساء الذين يحصدون في شقائهم ما زرعوه من بذور الاهمال لصحتهم.

ليس الشيطان الذي يجعلنا سقماء معتلين لا نرى الا الظلام في الحياة بل التخمة تفعل كل هذا في حياتنا

وجميع الميزات الروحية التي تتفرد بها النفوس النبيلة هي نتيجة لازمة للصحة الجيدة : « لان الحكمة رفيقة الصحة والحقيقة رفيقة البساطة والمسرات . »

قال جون مكون في كتابه « صنع الاخلاق » : « ان ملح الارض نفسه يفسد في بعض الظروف من اهمال العناية بالجسد وتسليمه لرغباته الحيوانية الامارة بالسوء وليس في العالم من قوة تستطيع ان تسود على العقل وتسير به في مناهج الفضل والنبل كالصحة الجيدة . لان العقل السليم في الجسم السليم . »

ان الوقت والعناية برياضة الاجساد في المدارس والكليات

الحديثة هما ناقصان جداً . لأن بضع ساعات في الاسبوع لا تكفي لرياضة الولد بل يجدر بالمهذبين أن يقدموا للجسد من العناية نفس مايقدمون للفكر والا اختل التوازن بينهما وكانت حياة ذلك الولد وبالا عليه وعلى الامة التي يعيش فيها . فعلى المدارس والكليات أن تقسم أوقات التهذيب بين الجسد والفكر بالسوية من غير تمييز ما وحينئذ تقدم للعالم جنوداً حقيقيين يسيرون به الى اوج الراحة والنجاح الحقيقي أما المبالغة في العناية بالواحد واهمال الاخر فانها تقدم للعالم جنوداً سقماء ينشرون الضعف في سائر انحائه ويعملون على شقائه وبلائه .

فاذا أردت أن تكون حراً من الجسد ورغباته فليس كالصحة من قوة تكفل حريتك . قال روسو ، « كلما ضعف الجسد ازدادت سيادته وثقلت وطأته . »

تدبير المنزل

حدثتني آنسة أديبة قالت :

انني لا أحب السكن في الفنادق والبيوت العمومية . بل أحب أن يكون لي بيت خاص بي أعتني بتدبيره على وفق رغبتي . ولذلك أقطن في منزل صغير يتألف من أربع غرف ، وهو ممتلىء بالاثاث الذي اشتريته بيدي : أثاث حقير ، ولكنه ثمين في نظري لانه يخصني

وكل قطعة من هذا الاثاث صديقة حميمة لي . أحب طاولة مطبخي وأحب صحوني وسكاكيني وملاعقي وفناجيني وكل ما في مطبخي .

ليس في بيتي قطعة واحدة لم اشترها بذاتي . فانني أحب النزول الى السوق مرة أو أكثر في الشهر لاشتري حاجات منزلي من المخازن المختلفة . انني اشتغل بالاجرة ولا أحب على قلبي من انفاق كل بارة أحصل عليها في شراء أثاث بيتي .

تأمل في غطاء هذه الطاولة الكتاني البديع ، فقد اشتريته الاسبوع الماضي بستة ريالات وثلاثة أرباع . الا تعتقد انه جميل تساوي قيمته أضعاف الثمن الذي انفقته ؟ قد مشيت أميالا من الشوارع وقلبت جبالا من الثياب والقماش المتنوع الاشكال حتى اهتديت اليه . فقد كان ينتظرني منذ انشاء العالم وظل يترقب اهتدائي اليه حتى وجدني ووجدته ففرح بي وفرحت به . انني أحب الاثاث الذي في بيتي أضعاف ما تحب أكثر النساء كلابهن وهررتهن !

نعم ، أحب بيتي الحب كله ياصديقي العزيز . ولا أحب أن يكون لي زوج . ولعل هذا هو السبب الاولي لعدم تقدم أحد من الرجال لزواجي . ولذلك انا فرحة سعيدة ببعدهم عني وبعدي عنهم ولا أريد ان يكون لي أولاد . بل أحب أن يكون لي بيت يخصني ولا يشاركني أحد فيه . أحب كرسيّ الهزاز ، وقنديلي الجميل الذي أجلس الى جانبه ، ومرآتي المذهبة ، وسجادتي الصينية وكل مافي بيتي

« أحب أن أنظف هذه القطع المحبوبة من أثاث منزلي وأحب أن أرتبها في كل شهر في مواضع مختلفة . وبعد ذلك أحب أن أجلس وامتع عيني برؤيتها .

« ان في تدبير المنزل قوة عجيبة على شفاء نفس المرأة من أمراضها الكثيرة . فانت لا تستطيع أن تتصور الراحة التي أجدها في بيتي عند ما آتي اليه في المساء تعبة فان نظرة واحدة من هذه المكتبة الجميلة تزيل جميع أتعابي .

« ثم اذهب الى مطبخي فاجد كل شيء فيه ينتظر عودتي ، فانسى جميع أتعابي واعد لذاتي الطعام الذي تحبه نفسي واتناوله بلذة بالغة ، ثم انظف صحوني وملاعقي واضع كلا منها في موضعه واجلس سعيدة راضية كأني عصفور جاهد سحابة النهار أمام الصيادين الذين كانوا يطاردونه فافلت منهم عند المساء وجاء الى حيث تمتع بالراحة والطمأنينة الى جانب فراخه واصدقائه .

« ان الاشياء التي نحبها بركة لنا . اليها نلتجيء في ساعات اضطرابنا مع أفكارنا ومع العالم الذي نعيش فيه . ونحن قادرون أن نعتمد عليها لثباتها وهدوئها .

« انني أحب سريري وسريري يحبني ويتشوق لرؤيتي . وماذا احدثك عن حمامي ؟ فهو حلمي الجميل المنير . وحول هذا البيانو العزيز تجتمع في عقيدتي جميع أرواح الموسيقيين !

« أجل ، ان في تدبير المنزل قوة عجيبة على شفاء نفس المرأة

من أوجاعها الكثيرة . فاذا تعبت من عمل أعمله اذهب الى المطبخ فاطبخ واستريح . واذا اثقلت كاهلي الهموم أكنس بيتي فتذهب الهموم مع الغبار المتطاير من الارض . »

هكذا قالت لي الانسة صديقتي .

قوة البغل

يكثر الوعاظ المشفقون على هذه الانسانية الضعيفة من التحدث بقوة الارادة ووجوب التربية على ايجادها وتقويتها . فهنالك الكتب العديدة في انماء الارادة والاعلانات المتكررة في كل يوم عن هذه الكتب التي يقرأها مئات الألوف بل الملايين من أبناء الانسان وهنالك مئات الكتب الاخرى في داء الارادة العضال ودوائه .

ولكن النجاح الحقيقي يحتاج الى أهم مما نسميه قوة الارادة .

ونحن نعني بهذا القوة على عدم الارادة !

والى القارىء سرّ هذه القوة :

قوة الارادة من محتكرات ذوي الاخلاق الفريدة بمتانتها وعظمتها . وقليلون هم الناس الذين اسعدوا بهذا الاحتكار . ولكن لكل منا قسطاً كافياً من القوة على عدم الارادة .

جميع الضعفاء والمتسرعين السائرين مع كل ريح ، الناعقين مع كل ناعق يستطيعون أن يكونوا اقوياء في عدم الارادة كما ان ذوي

الاخلاق النابغة يقدرون أن يكونوا أقوياء وبالارادة .

وهذا هو الجمال في هذه القضية . فان الخالق الصالح قد برأ المخلوقات بطريقة أن الاضعف والاحقر فينا يستطيع أن يخلص نفسه كالاقدر والاعظم . لان كل ما يجب أن نعمله هو عند التحقيق ألا نعمل شيئاً .

فكل ما يجدر بك أن تفعله لكي تتجنب السقوط في الفخاخ والاشراك التي تعرقل سيرك في الحياة هو أن لا تسير اليها بارادتك هذا كل ما تحتاج اليه .

أمر بسيط بالحقيقة !

فهو لا يحتاج الى الجهاد ، والصلاة ، والشجاعة ، والخلق المتين وقوة الارادة . لان الانسان يمكن أن يتحلى بجميع هذه الصفات الممتازة ولكنه يقع بدون انتباه في أوحال المشروبات السامة كالمسكرات وغيرها .

ولكن ترك الشرب ، والثبات على عدم الشرب ، يتطلب القوة على عدم الارادة .

قوة العناد البسيط ، وان شئت فقل قوة البغل !

تأمل في البغل فهو في عدم الارادة لا مثيل له الا المرأة في بعض المرات . خذه مثلا لك واحرن مثله عن كل ما يضرك أو يؤذيك !

قل ، « ان في طوق الناس أن يقودوني الى الخمارة ، ولكنهم لا يستطيعون أن يحملوني على الشرب . انني مستعد للالام ، مستعد

للعذاب ، مستعد للموت ، ولكن ليس في السماء ، ولا في الارض ، ولا تحت الارض قوة تقدر أن تجعلني أبلع شيئاً لا اريد بلعه . »

مهما كنت متردداً ، مهما كنت ضعيفاً مترجرجاً في اخلاقك وآدابك ، فهنالك أمر تستطيع أن تفعله بملء الدقة كما فعله يوليوس قيصر ونابوليون قبلك وهو أن لا تريد أن تفعله !

فاذا ادركت هذه الحقيقة وعملت بها فهي تساوي مليون ريال في نظرك . لأن كل ما تحتاج اليه لكي تخرج من نسيج العناكب الضعيف وتحرر قدميك من الرمال المحيطة بك من كل جهة ينحصر في أن تستعمل حقك من القوة على عدم الارادة .

فاستعمل ما فيك من قوة البغل وأنت الفائز بكل نبل وفضل

كن لين العريكة

إذا كنت ترغب في الحصول على عمل أو وظيفة ما فانه يهمك ولا شك أن تعرف ما هي الصفة الوحيدة التي يحتاج اليها كل العمال في سائر انحاء العالم .

هي لين العريكة .

فأن لين العريكة هو الماسة الفضائل الفريدة ، لانه أثمن الفضائل وأندرها .

لين العريكة لا تقدر قيمته بالمال ، لانك بواسطته تنجح

على اقرانك في بيع الارض ، والسكاير ، والاثمار ، والمأكولات والبضائع ، والسيارات ، والآلات المختلفة ، والاثاث واوراق الضمان وغيرها من حاجات الانسان .

كن بشوشاً في معاملتك للناس ، موافقاً لهم في رغباتهم التي لا تضرك يعملوا هم في الوقت الملائم على نفعك وازدياد ثروتك .

تبسم ! ولكن لا تجعل هذا بيضة الديك في حياتك . بل تعود الابتسام دائماً . ابتسم لذاتك في الصباح وأنت تسرح شعرك وتحلق وجهك فترافقك الابتسامة النهار كله في جميع أعمالك .

كن موافقاً لغيرك مطواعا فيقبل الناس على معاشرتك . لان العالم ينشد اللين العريكة في جميع مسالك الحياة .

فكل امرأة تريد مثل هذا الرجل زوجا لها . وكل رجل يريد أن يكون لزوجته مثل هذه الاخلاق . الاولاد يريدون آباء ليني العريكة ، والعامل يريد هذه الصفة في رب المال الذي يشتغل له ، ورب المال يريدها في العامل وكلنا يريدها في اقربائه واصدقائه .

جميعنا نريد لين العريكة والموافقة في خادماتنا ، في كتابنا ، في خدامنا ، في رجال الشرطة الذين يحرسوننا ، وفي وعاظنا ، في حكامنا وفي صيارفتنا .

كن لين العريكة يحبك مزاحموك في الاعمال فتتمتع بالشهي من ثمرات النجاح . لان اللين العريكة نور موضوع على المنارة في وسط البيت .

بل هو ظل شجرة كبيرة في وسط الصحراء في يوم محرق .
بل هو ماء قراح ينبع من عين نقية أمامك وأنت تحترق عطشاً .

هو لك كالمحبة اذا كنت وحيداً منفرداً ، وكالسرير اذا كنت تعباً قد أخذ النعاس منك مأخذه ، وكالنسيم المنعش اذا كنت تختنق ، وكالطعام الشهي اذا كنت تنام على الطوى ، وكالمال الطائل اذا كنت قد خسرت مالك ولا فلس بيدك

فكن لين العريكة ، وادرس كيف تكسب محبة الناس . اجعل العالم كله يحبك ويقدرك قدرك .

وأعلم ان الحياة مزيج غريب قلّ فينا من يدرك السر في تركيبه . فهنالك جميع الفواجع والنوازل والمصائب والضربات التي لا تستطيع ان تدرك أسبابها ، وكثيراً ما تحمل الناس على الحزن واليأس ، ولذلك تصعب معاشرتهم

أما أنت فدع عنك هموم الحياة ، ولا تقتل حياتك في حل غوامضها ورموزها ، بل كن لين العريكة مطواعاً موافقاً لغيرك . جرب هذا وانظر نتائجه وتمتع بثمراته وانك من الرابحين .

الرجل العظيم

يشعر الرجل العظيم مع الشعب ولكنه لا يتبعهم .

ويتمتع باستقلاله الفكري في بلاد الحرية عاش امي في بلاد العبودية.

الرجل العظيم هادىء بطبيعته . فهو لا يتحرق على ما ليس له ولا يندب ما فاته .

يعرف القوات الروحية العاملة في الوجود ، ويثق بها ويصبر على ما يصيبه من نتائجها .

يفكر بنقاء ، ويتكلم بذكاء ، ويعيش ببساطة كما يشاء .

رائده المستقبل في فلسفته الادبية ، فلا تقاليد الماضي تقيده ولا قوانين الحاضر تستعبده .

الوقت متسع لديه .

لا يحتقر انساناً ولا يستخف بمخلوق على الارض .

شخصيته تؤثر فيك كما يؤثر فيك صمت الطبيعة ، ونقاء السماوات ، وعظمة الاوقيانوس واتساع الصحراء .

بعيد عن الصلف والغرور . لا يطلب مدحاً ولا اطراء ، ولذلك لا يشعر بما يوجه اليه من النقد والمذمة . وهو يعتقد دائماً بأنه يتمتع باكثر مما يستحق في الحياة .

يعترف بما لا يعرفه ، ويتعلم من كل انسان حتى من الاولاد الصغار . وهو لا يفاخر برغبته في تعليم الاخرين بل يعلم برغبة واتضاع .

لا ترحب به طائفة ولا جمعية ولا حزب ، لانه ينظر في جميع اعماله الى الحقيقة العامة اكثر مما يهمه مقاومة الذين في غير جمعيته أو من غير حزبه وطائفته .

يندر ان يقبل وظيفة مهما سمت وتعالت .

يشتغل لما في العمل من اللذة وليس لما يترتب عليه من الاجرة .

الانتقام بعيد عن طبيعته ، لانه لا يستطيع ان ينزل الى درجة الذين يصنعون الشر .

يعيش في وحدة بعيدة سعيدة ولذلك لا يصل اليه لا مديحك ولا مذمتك .

غير ان وحدته حارة بالمحبة بعيدة عن جليد البغض الممقوت . وفي دماء قلبه محبة حقيقية لجميع الناس . فهو يحب ، ويعتني ، ويتألم ويضحك .

اذا وجدته فقد وجدت انساناً حقيقياً بين ربوات من الحيوانات . وجميع الاخلاق الفريدة التي تتميز بها النفوس الكبيرة هي اخلاقه الملازمة التي لا تفارقه .

واذ تقف في حضرته تشعر ان كل ما تملكه من مال او مركز أو وجاهة ليس بالشيء المذكور أمامه ، بل كل ما يهمه منك هو شخصيتك ، فاذا احبك ، فهو لا يحبك لاجل ما تملك أو تقول او تنفق ، بل لاجل نفسك التي في اعماقك يحبك .

لا يخدعه ما في امجاد النجاح وفاجعات الفشل من الزهو والغرور .

فهو يغير رأيه بسهولة عندما يرى خطأه ، فلا يهمه الثبات على رأي واحد أو حالة واحدة كما هو الحال مع ذوي العقول الصغيرة الذين يشبهون بتصلبهم الصخور الثابتة على حالها ، لان الحقيقة التي هي ضالة النفوس الكبيرة هي رائده الاوحد في جميع أعماله .

يعتقد بصلاح الانسان وبانه مهما تاه وضل في صحاري الشر والضلال فهو راجع الى رشده عاجلا او آجلا .

البغض والالحاد ، والتشاؤم ، التي هي شياطين النفوس الصغيرة ، لا تعرف السبيل الى قلبه ، لان المحبة ، والايمان ، والرجاء ، التي هي ملائكة العظمة الحقيقية ، تملأ حياته كلها .

واذا احببته من اعماق قلبك ، — اذا احببت هذا الرجل العظيم ، فانت نفسك تشعر بروح العظمة تتمشى في عروقك ، لانه ليس في الوجود من عظمة حقيقية لا تكون سبباً بل طريقاً للعظمة في الاخرين .

الاساس الثابت

إن وراء كل فكر أساساً ثابتاً

إن وراء كل عمل عمومي ، وكل كلمة كبيرة مجموعة احساسات وشواعر ومباديء هي أساس ثابت لذلك العمل أو تلك الكلمة .

يُشنق الانسان ويعاقب بالعقوبات المتنوعة قصاصاً له على

جرائمه ، الظاهرة ولكن العقاب الحقيقي يجب أن يكون على العوامل الرئيسية التي أوصلت الانسان الى جرائمه الظاهرة . ولا يستطيع أن يقوم بهذه المهمة الشاقة الا فاحص القلوب وعلام الغيوب الذي برأ الناس ولذلك قيل أن أفكاره غير افكارهم .

لاجل هذا لن توجد العدالة الحقيقية الا في اليوم الاخير يوم الدينونة العادلة .

عجيب هذا الاساس الثابت الذي ترتكز عليه شخصية كل انسان على الارض !

منه تخرج جميع الاعمال الخالدة في العالم !

ومن ينابيعه تنفجر انهار العواطف والاميال والرغبات العاملة في بنيان صرح الانسانية !

أن مايعرفه العالم فينا هو جزء صغير من كياننا المحدود ونحن نسميه ذواتنا ، ولكن وراءه جزءاً أهم وأعظم منه وهو المصدر الذي يستمد منه وجوده .

فالشهوات الخفية ، والتشوقات الطاهرة ، ووخزات الضمير الحادة ، وروابط الواجبات المتينة ، وتذكارات الماضي المؤلمة ، والطموح للمستقبل الممزوج بالانانية ، — كل هذه تعمل في تأليف هذا الجزء الخفي من نفس الانسان الذي هو أساسها الثابت المكين

فالموسيقى التي كتبها وغنار لم تكن شيئاً مذكوراً تجاه الموسيقى الخالدة التي هبط وحيها على روحه ولم يستطع أن يعبر عنها بالاشارات

والعلامات . والخطب العظيمة التي القاها أعظم خطباء الارض لم تكن عند التحقيق الا نسخاً مزورة عن الخطب العظيمة التي فكروا فيها ولكنهم لم يجدوا السبيل للتعبير عنها بالالفاظ .

لذلك اذا شئنا أن نعرف رجلا ما فالاليق بنا الا نقصر درسنا على ما يظهر لنا منه بل يجب أن نغطس في اعماق بحر عواطفه وأمياله التي لا تخرج البتة الى الشاطيء

لانه من يدري اذا كان الاساس الذي يبني عليه القديس (في نظرنا) شخصيته هو أكثر شراً من الاساس الذي يبني عليه الخاطي (في نظرنا) شخصيته ؟ واساس القاتل ، من يدري اذا لم يكن انقى من أساس المقتول ؟ بل ومن أساس القاضي ايضاً ؟

في كتابتي قبري

ان ما أكتبه هو قبري الحقيقي . فقد زرت منذ أعوام مدينة رومية وتجولت في ضواحيها فاذا هي بالحقيقة مدينة القبور . وهي لو شاءت أن تغير اسمها لما كان يجب أن تختار لنفسها غير هذا الاسم الذي اتخذته لذاتها احدى مدن اريزونا . فحيثما سرت في رومية تجد القبور ، فالقبور في أرض الكنائس ، وفي الجدران وتحت المذابح . هنالك تجد قبور الملوك وقبور الامبراطرة العظماء والقواد والكبراء كلها باطلة زائلة ، كلها فارغة كنقر العيون المقلوعة

لان تراب العظماء الذين قبروا فيها طالما تغربل ونخلته المناخل للحصول على ما فيه من الاثار الذهبية .

لاجل هذا اعتقد بكلية فكري ان القبر الحقيقي هو الكتاب فهو يحتفظ بين دفتيه برجل العلم الذي وضعه فيقيه طواريء الازمان وتقلباتها ويحفظه من الفناء . اما الملوك وعروشهم وأعمالهم فلا يبقى منهم شيء ولا يحفظ لهم التاريخ من أثر إلا ما يكتبه عنهم المؤرخون في كتبهم وأسفارهم . وقد قيل أن أفضل ما يذكر به نابليون الاول هو ما يأتي :

« أنه كان معاصراً للفيلسوف والكاتب الالماني الشهير غوته . »

Goethe

ان مجد يوليوس قيصر وأوغسطوس تراب ورماد ، وقصر نيرون الذهبي تراب مظلمة رطبة قذرة ، وقوات الجبابرة القدماء احلام مبعثرة ، ولكن هوراس Horace بنى لنفسه بعباراته اللطيفة وأشعاره الخالدة وافكاره الرصينة ، تمثالا أبقى من النحاس ، وهوميروس ودانتي وشكسبير يعيشون باشعارهم الخالدة الى الابد .

أما أنا فليحرق لحمي وعظمي ، وليرم رمادي في المياه الجارية ، وإذا كان لاسمي أن يظل في هذا الوجود ، فليكن بين الكتب التي هي وحدها البستان الباقي من زهور « لا تنسني » والاختراع الانساني الوحيد لخلود الشخصية الانسانية

هل يجوز الكذب ؟

من شر ما استنبط رجال القضاء في محاكماتهم المضطربة — انه ليس بالكذب أن ينكر المجرم جرمه ولو كانت جريمته افظع من جريمة قايين . ولكن هل ينطبق هذا على ما ترغب فيه النفس الانسانية في أعماقها ؟

طرح هذا السؤال على مفكري أوروبا فاجاب عليه أحد أدباء الانكليز بالسلب . وقد جعل رده بقالب قصة أوردها كما يأتي :

شاب في التاسعة والعشرين من العمر ، متزوج ، يدخل السجن لانه قتل فتاة في الثالثة والعشرين وقد أفادت التحقيقات ان القتل تسبب عن الغيرة

وعندما سئل القاتل اذا كان مجرماً أم لا ، أجاب بكل صراحة معترفاً بجريمته . ثم سأله القاضي اذا كان قد قتل الفتاة عمداً فاجاب رابط الجأش وبدون أقل خوف أنه فعل ذلك بعد أن فكر فيه طويلا وازمع عليه ؟

فقال له القاضي ، « الا تعلم أن اعترافك بجريمتك لا يؤثر البتة في الحكم الذي تفرضه عليك الشريعة ؟ »

فاجابه الشاب ، « انني أعرف ذلك . »

فقال القاضي ، « قد عرضت عليك النصيحة لكي تنكر جرمك وأنت ترفضها ؟ »

فاجاب السجين ، نعم قد رفضتها وأرفضها ! »

ثم سأله كاتب المحكمة إذا كان له ما يعترض به على الحكم بموته. فاجاب أنه لا يعترض أبداً على هذا الحكم .

حينئذ صدر حكم القاضي بقتله ، فلم تظهر على وجهه ادنى امارات الخوف ، بل ظل محافظاً على الهدوء والتفت الى صديق له كان حاضراً في المحاكمة وأشار اليه مودعاً ، ثم توارى عن ابصار الجمهور حيث نفذ فيه حكم الاعدام وهكذا انتهت هذه الفاجعة باقل من خمس دقائق !

فهل كان وراء الاكمة ما وراءها ! لماذا أصر هذا السجين على الاعتراف بجرمه ولم يشأ انكاره ؟ لماذا لم يعترض بكلمة قط ولم يدّع البراءة التي يتمسك بها جميع المجرمين متهمين خصومهم انهم قادوهم بسوء تصرفهم وتعديهم الى ارتكاب الجرم ؟

تجد الجواب على هذه الاسئلة في حاشية أضيفت الى سجل هذه المحاكمة القصيرة وهذا نصها :

« وقد اقتبل السجين ، وهو في سجنه سر التثبيت من سيادة اسقف منشستر . »

***

ما أدعى هذه الحادثة الى التفكير العميق ! مجرم قتل فتاة في مقتبل العمر ، تشرق على قلبه المظلم أنوار الدين فتغمره تأثيراتها الصالحة . وأول هذه العوامل النافذة الحؤول دون اقدامه على

الكذب . فالمحامون يجهدون النفس ليوضحوا له ان ادعاءه ببراءته ليس بالكذبة المحظورة ، وان هذا الادعاء ضروري جداً للحصول على تخفيف الجرم وبالنتيجة البلوغ الى تلطيف الحكم .

ولكن السجين قد اجتاز عهد التذبذب والتردد ووقف وجهاً لوجه امام الحقيقة العارية الراعبة ـ حقيقة الموت ـ واثقاً بانه سينتقل من عالم المنظور الى عالم الغير المنظور . ولذلك لم يشأ ان يتم انتقاله هذا والكذب على شفتيه .

وهنا يوضح الكاتب انه يعرف السيد وليم تمبل اسقف منشستر ، وانه يستطيع بهذه المعرفة ان يتصور عظم التأثير الذي يمكن ان يحدثه هذا الاسقف الامين في الشاب السجين . لان هذا الاسقف في عقيدته أعلم علماء الكنيسة الانكليزية في هذا العصر . فهو مفكر بالغ الحكمة وشجاع مقدام تنحصر رغبته في الحياة بالسعي المتواصل لجعل الدين حقيقة نافذة في حياة الانسان الملتوية في هذا العالم الشقي .

وهو لا يعتقد بان الدين نظام من النظم القديمة العقيمة أو نظرية من النظريات الخيالية السقيمة ، بل يؤمن من اعماق قلبه بأن الدين أسمى قوة بلغ اليها خيال الانسان في الوجود ، لانها تربط نفس المخلوق بالخالق وتقدس مسالك الحياة وتسيّرها الى انبل الغايات واشرفها . وهو يبذل قصاراه ليجعل الدين حقيقة نافذة في كل مظهر من مظاهر عالمنا السياسي المادي .

فتصور ايها القاريء مجرماً يقف في حضرة هذا الاسقف ، الذي ليس هو بالمفكر الحكيم فقط بل هو اب عطوف لا يختلج فكره الا باسمى مباديء التضحية والشرف والصلاح ! كل شيء يظهر ، في مثل هذه الساعة حقيراً دنيئاً أمام عظمة النفس وغامض اسرارها. وما من شيء يبدد لنا واضحاً في موقف كهذا سوى تلك القوة الخالدة التي لا تفارقنا قيد شعرة — القوة التي نسميها ضميراً .

ولا شك ان هذا السجين المسكين ، وهو في وحدة سجنه المظلم ، كانت ترتسم امام عيني ضميره صورة الفتاة التي قتلها فترعبه بنظراتها الهائلة ! فتتخطر في مخيلته تذكارات الالام المريرة التي تركها لامرأته بفعلته الشنعاء ذلك أمر لا بد منه لمن كان في مثل هذه الحالة مهما كانت عواطفه متحجرة قاسية .

ولكن رجلا يأتي الى هذا المجرم الشاب وهو على هذه الحال من المرارة والاضطراب فيحدثه عن الله ، ويجعل الابدية حقيقة منظورة أمام عينيه ، فتفارقه للحال رغباته الشريرة وتستولى عليه قوة جديدة نافذة تجعل الكذب أمراً مستحيلا عليه .

لنقف هنا عن النظر الى نفسه ، ولنضرب صفحاً عن البحث الجدي في تعريف الخطيئة وطريقة الصفح عنها ، فان الاليق بنا ان نبحث اذا كانت الشريعة المحترمة على ممر الاجيال ، الشريعة التي تحملنا على الكذب ذات تأثير ردىء في حياتنا وعقبة كأداء في سبيل تقدمنا ام لا .

ان في حض المجرم على نكران جرمه والادعاء بالبراءة بعض العذر الذي يتمسك به رجال الشريعة . فالمحامون يستطيعون ان يبرهنوا لك على ان هذا ضروري لتأييد العدالة وطالما عملت به المحاكم منذ مئات السنين .

فهم يقولون ان الانسان بريء حتى ساعة الحكم عليه بالجرم. ولذلك فان له ملء الحق ان يدعي البراءة ولو القى القبض عليه ويداه مصبوغتان بدم قتيله ، وليس له بغير هذه الوسيلة من طريقة للدفاع عن نفسه .

بيد ان هذا جميعه تلاعب بالحقيقة وروغ منها في نظر المؤمن بالاداب . وهو شر من ذلك في نظر المؤمن بالله . لانني واثق بان الروح التي تطيق مثل هذا الكذب وتحتمل مثل هذه المراوغة مبررة عملها بالمنطق البراق والفطنة الفارغة انما هي بالحقيقة روح مشاغبة وشريرة . لان الحقيقة هي الاساس الراسخ لجميع صروح الاداب في العالم . وكل من يتلاعب بهذه الفضيلة الاساسية ويصانع بها انما يزعزع بنيان الحياة الانسانية وينقض أسسه .

ويلوح لي ان جميع ما نراه من الضعف في فضائل الناس انما هو نتيجة لصمم الانسان عن سماع الصوت الخفي الذي يأمره به ضميره لينطق بالحقيقة ـ الحقيقة الكاملة والا يعدل عن الحقيقة في حياته .

ان روح الكذب تتغلغل في حياتنا التجارية ، في حياتنا السياسية في حياتنا البيتية ، بل في نفس كل فرد من مجموعنا . نقول شيئاً ونعني سواه ، وفي رأي الاكثرية الساحقة فينا ان الحياة فرصة ، ليس لان يساعد احدنا الاخر فيها، بل لكي نغش ونخدع بعضنا بعضاً.

فالمنافق الغادر والمصانع الماكر الفائز ابداً بمكره وغدره وخبثه وشره هو لدى الاكثرين الحاذق الفطن والعاقل اللسين والرجل الفرد الذي يستحق الاحترام في هذا العالم الفاسق والشرير . وما افسد هذه النتيجة القبيحة التي قادنا اليها منطق تنازع البقاء !

فالشاهد الكاذب الذي يقف في دار القضاء ويكذب على رؤوس الاشهاد ليس بالغريب المزعج لارواحنا بل هو مجاهد في سبيل البقاء يفسح لنا افضل السبل لدرس النفس الانسانية وتفهم اسرارها .

والرجال الذين يقسمون الايمان الكاذبة في دعاوي الطلاق مؤكدين انهم لم يرتكبوا جريمة الخيانة هم في عقيدتنا اشراف محترمون لانهم يدافعون عن كرامة المرأة . فان الرأى العام يعلم الانسان اليوم قائلا :

« اكذب ما شئت. واكذب أيضاً وأيضا ولكن بشرف!»

فهل هذه هي طريق التقدم والتنازع على البقاء ؟

ان الخالق العظيم لا يمكن أن يهزأ به المخلوق الحقير والطبيعة البشرية لا تستطيع ان تنمو وتزهو على الرياء والنفاق .فالكذب،

مهما كان نوعه ، هو في النفس عدو لدود للصلاح ، ولذلك فهو عدو لدود للقوة والرقي الحقيقي في حياة الانسان .

وما اغزر الحكمة التي تكون لنا اذا استشمرنا في ذواتنا مثل هذا الشعور بوجود الله ، وجوهر النفس ، وقوة الضمير ، فنعرف الحق والحق يحررنا ويكون لنا شعاراً مجيداً من المهد الى اللحد .

الطلاق :

اسبابه الطبيعية

مهما اسهبنا في شرح العوامل الدافعة الى الزواج نرى انفسنا مرغمين ان نعود الى الميل الطبيعي في اعماق الرجل والمرأة . فان الرعشة التي ترافق ملامسة اليد او قبلة الشفتين لها أساس طبيعي ترتكز عليه في وجودها .

فاذا فقد الزواج غوايته ، او ما فيه من الميل الطبيعي ، ولم تشعر بحنين في قلبك لمن طالما احببت وتعشقت ، فانك تعجب مما طرأ عليك من التغيير في موقفك ومركزك .

ولكن الناس في مثل هذه الظروف لا يستطيعون ان يتسلطوا على شعورهم وعواطفهم كما انهم لا يقدرون ان يتسلطوا على مد البحر وجزره .

فغواية الزواج اختيارية ، متسلطة ، وكثيراً ما تكون بالغة

القوة . ولما كان حفظ النوع يتوقف على هذه القوة القاهرة لذلك وجب أن يكون لها مثل هذا السلطان والطرائق الطبيعية لولادة الاولاد هي في العالم الانساني كما هي في كثير من أنواع الحيوانات الدنيئة .

والزواج يحفظ ، في الغالب ، رباط الرجل والمرأة غير منفك على رغم انقطاع حبل الافتتان الطبيعي . ولكن في مثل هذه الظروف تحل الصداقة أو غيرها من الروابط العائلية محل المحبة في حفظ الرجل والمرأة معاً .

ولكن الصلة الروحية بين نفس الرجل ونفس المرأة — الصلة الناشئة عن مثلها بين الجسدين ، هي عند التحقيق العامل الاول في تكوين هيكل الزواج ودوامه . ولكن انقطاع هذه الصلة التي بقوتها تجعل الاثنين واحداً ، يفرق شمل الحبيبين ويحول دون اجتماعهما معاً مهما بالغ الناس في معالجة العوامل التي أدت اليه ،

في مثل هذه الظروف اجازت لنا الشرائع الدينية والمدنية أن نتعرف الى الطلاق . والقوة التي تنفذ هذه الشريعة الضرورية يجب أن يطلق عليها اسم محكمة العدل الالهي .

فكما أن ما جمعه الله لا يجوز للانسان أن يفرقه هكذا يجدر بنا أن نعتقد ان ما فرقه الله لا نقدر نحن أن نجمعه .

لذلك رأى المشترعون الحكماء أن انفصال الرجل والمرأة احدهما عن الاخر ، الذي يأتي نتيجة لبغض ونفور متبادل من

الفريقين انما هو عمل من أعمال الشريعة الالهية الواحدة .

فان أقدس غايات الزواج أن يؤيد الحياة العائلية ويثبت اساسات البيت المقدس : ولكن هل في العالم من يقدر أن يرحب بالوالدين المتنافرين المتباغضين الذين يقدمون من اتحادهم المتفككة روابطه أولاداً أشراراً يولدون وينشأون على رؤية البغض والشقاق في أقدس أقداس أبيهم وأمهم ؟

كثيراً ما يكون الازواج والزوجات منفصلين بالروح والقلب ولكن ظروفاً قاهرة لا يقدرون أن يتغلبوا عليها تضطرهم للحياة معاً : وكثيراً ما يولد لهم البنون والبنات في مثل هذه الظروف فيزيدون بذلك جيش المجرمين واللصوص في العالم !

ولما كانت أكثر حوادث الطلاق نتائج لازمة للجهل المطبق للمواضيع الفسيولوجية الحيوية ، وهذا الجهل يقود الزوجين الى النفور ، فالبغض ، فالاحتقار ، فالانفصال ، لذلك وجب على الحكومات أن تُعنى بدرس هذا الموضوع الحيوي فتضع حدوداً صالحة للزواج بحيث لا يسمح لاحد بالزواج ما لم تستكمل في الفريقين جميع الشروط الضرورية .

الشرق يخاطب الغرب

ورد في مطلع هذا العام كتاب سلامي من بوذيي اليابان يدعون فيه الولايات المتحدة الاميركية الى مشاركة اليابان في العمل على تأييد الصداقة بين الشرق والغرب . والكتاب مذيل بامضاء السيد سونيو أوتاني رئيس طائفة الهونغوانجي، وهي أعظم الطوائف البوذية في تلك البلاد وأوفرها نهضة وحضارة . ولكن بالرغم من أهمية الدعوة ومركز صاحبها ومقامه بين قومه ، ظلت رسالته وزيارته للولايات المتحدة مجهولة ولم تفسح لها الصحف السيارة مجالا للظهور ، لان الناس أرغب في مطالعة أخبار الجرائم والمجرمين منهم في قراءة أخبار رسل المحبة والسلام . ولكن الزعيم البوذي العظيم زار وهو في مدينة نيويورك ادارة مجلة « العمل المسيحي » فنشرت رسالته وهذا ملخصها :

« نشأت المدنية الشرقية في الهند ، ومنها انتقلت الى آسيا الوسطى ، فالصين ، فكوريا حتى وصلت الى اليابان . غير أنها وهي في طريقها الى اليابان قد امتزجت بمدنيات مختلفة . وقد نمت شيئاً فشيئاً حتى بلغت أوجها في اليابان . وهي اليوم تدير وجهها شطر الباسيفيك .

« ونشأت المدنية الغربية في اليونان فزهت على شواطي البحر المتوسط . ومن هنالك أرسلت الى رومية فامتزجت بمدنيات

اوروبا ثم عبرت الاتلانتيك وجاءت الى الولايات المتحدة حيث بلغت أوجها . وهي الان تدير وجهها شطر الباسيفيك .

« وهكذا نرى المدنيتين ، الشرقية والغربية ، تواجهان أحداهما الاخرى . ولذلك وجب علينا أن نوحد بينهما في مدنية واحدة ونستثمر ما فيهما من الثمار اليانعات لاجل خير الانسانية قاطبة .

« ففي الشرق — الصين في اضطراب داخلي ، والهند مقيدة بقيود الجهل والعبودية . فاليابان وحدها مسؤولة عن السعي وراء تأييد الصداقة وتمكين الصلة بين المدنيتين بالعمل الصالح لاجل خير المجتمع البشري وليس في الشرق اليوم غير اليابان للقيام بهذا الواجب الكبير .

« والولايات المتحدة هي اغنى الدول الغربية ، بل أغنى دول العالم ، بالمال كان هذا الغنى أم بالنوابغ من اذكياء الرجال والنساء ولذلك فان اميركا مسؤولة بالدرجة الاولى عن تأييد الصداقة بين هاتين المدنيتين ومساعدة اليابان والعمل معها على تعزيز المدنية الحقيقية المتحدة منهما لخدمة الانسانية ومصلحتها . »

فالى تحقيق هذه الفكرة يجب ان تتجه افكار ابناء هذا العصر سواء في ذلك ابناء الشرق وابناء الغرب .

١٦ وصية جديدة

دعت احدى كنائس المثوديست في نيويورك الدكتور يوجين ليمان ليكون راعياً لها . ومما جاء في عظته الاولى ، التي كان لنا حظ سماعها ، ان الانسان بعد أن يجتاز الثلاثين يجب ألا يحتفل بعيد ميلاده ، لانه قلما يفكر في عمره بعد هذا الحين . وقد أكد للناس أن اكثر مانراه من الشقاء في العالم انما هو نتيجة لاغلاط الناس وليس لاغلاط الخالق عز وجل . ثم قدم لسامعيه ست عشرة وصية للصحة ، وهي بالحقيقة قواعد صحيحة يجدر بكل راغب في الحياة السعيدة الطويلة أن يطبق عليها حياته . وها نحن ناقلوها كما هي :

١ : « جدد الهواء بانتظام في كل غرفة من منزلك . » لان اساس كل صحة جيدة انما هو الكثير من الهواء النقي .

٢ : البس ثياباً نظيفة ، خفيفة ، واسعة . »

لان الانسان كلما اكثر من لبس الثياب الثقيلة عرض نفسه لاخطار الامراض . والموضة الحديثة التي يسير عليها النساء بالتقليل من اللباس وبتعريض قسم من الجسد للهواء والشمس قد أدت الى نتائج حسنة جداً في صحة المرأة مما لم تعرف مثله أيام كانت تثقل جسدها بالاثواب وتبالغ في تغطيته .

٣ — « اسع وراء الاعمال والنزهات التي تتمها في الهواء المطلق . »

٤ : « نم في الهواء الطليق ان كنت قادراً . »

هاتان الوصيتان هما تأكيد لما سبقهما من التوصية بضرورة الهواء النقي للحياة الصحيحة .

٥ : اول ما يحتاج اليه الجسم البشري بعد الهواء النقي هو الطعام الملائم ، ولذلك قال في الوصية الخامسة :

« تجنب الاكل الكثير ، والوزن الكثير . »

فان معدل الوفيات بين السمان من الناس اكثر جداً مما هو بين المتوسطي الحجم والنحاف الاجسام . ولذلك وجب على الانسان ان يقيم حارساً على فمه متذكراً اضرار السمن كلما جاء الى المائدة .

٦ : « تجنب الافراط في المأكولات المحتوية على الكثير من البروتين كاللحم والبيض ، واياك ان تبالغ فى تناول المأكولات المالحة والمقدّدة والمجفّفة . »

٧ : « ليكن في طعامك اليومي قليل من المأكولات القاسية الضخمة النيئة

لأن أكثر الناس يقعون في الخطأ الغالب على الاذهان واهمين في أن المواد الرئيسية لتغذية الجسد منحصرة في الفروع الغذائية الثلاثة وهي: المواد النتروجينية التي تتميز بوجود النتروجين فيها كبياض البيض وعضل اللحم وجبن اللبن وغيرها ، والمواد الدهنية التي معظم تركيبها من الكربون والهيدروجين ، والمواد

النشائية والسكرية . ولكن الجسم يحتاج علاوة على هذه المواد الى الكثير من العلف أو الخشارة التي لا غذاء فيها .

٨ : « كل متمهلا وتذوق طعامك » .

فان الطعام الممزوج جيداً باللعاب والمطحون بدقة تحت الاضراس يتم نصف هضمه وهو في الفم . فكلما اكثرت من العمل في فمك وفرت من تعب معدتك .

٩ : « استعمل كمية كافية من الماء خارج جسدك وداخله »

١٠ : « ليكن اخراجك منتظما وفي وقت معين كل يوم . »

١١ : « قف ، واجلس ، وامش منتصباً . »

١٢ : « لا تفسح مجالا لجراثيم العدوى وسموم الفساد فتدخل جسدك .

١٣ : « احفظ اسنانك ولثتك ولسانك نظيفة دائماً »

١٤ : « اشتغل ، والعب ، واسترح ، ونم ، وليكن الاعتدال رائدك في جميع ذلك . » فقد قال حكماء اليونان ، « لاتعمل عملا ما بتطرف . » لأن الاعتدال اصدق أصدقاء الصحة .

١٥ : « تنشق الهواء تنشقاً عميقاً ، وافعل ذلك في أوقات خاصة كل يوم . »

١٦ : « كن هادئاً ، رصينا ، سليم القلب في جميع تصرفاتك »

فاحفظ جميع هذه الوصايا واعمل بها وانا الكفيل لك بحياة هنيئة سعيدة .

جميل أن يسمع الانسان مثل هذه التعاليم من منبر الوعظ في الكنيسة . ولعل الوعاظ ورجال الدين يغرب عن ذهنهم ان الناس يجذبون بالاكثر الى بيوت العبادة اذا كانوا يتعلمون فيها الدروس التي تزيد في غبطتهم وتعمل على راحتهم عوضاً عن أن يسمعوا تخيلات ونظريات متنوعة في مواضيع تبعد عنهم وعن حياتهم بعد السماء عن الارض .

الامومة تجدد الشباب

كثيراً ما يروج على الالسنة أن الشباب يجب أن يُضحّى على مذبح الامومة .

وكثيراً ما تعمل هذه العقيدة الضارة على حمل الام الى الاعراض عن الامومة الجزيلة المنافع

ولكن الامومة التي تستكمل شروطها الطبيعية انما تساعد المرأة على الاحتفاظ بشبابها واسترجاعه ولو كان ضائعا . والمرأة المتمتعة بسعادة الامومة الصالحة تشعر في أعماق قلبها بروح فتية تجاه لذيذ اختباراتها وتجاربها .

الامومة تبعث الميت من حاسات الكائن الحي من لحدها ، وتزيد الحياة عزماً وقوة على الجهاد أمام وجه الشمس .

ولا جرم ان غير واحدة من الامهات تهرم قبل السن الاعتيادي

ولكن ليس الذنب في ذلك على الامومة .

فان أمثال هؤلاء الامهات لا يعنين العناية الواجبة باجسادهن ولذلك فهن يسممن ذواتهن بما لا حاجة اليه من الهموم والجهود المختلفة . فلا يتسلحن ويتحصن تجاه الطوارىء التي تصحب الحمل وولادة الاولاد لوقاية انفسهن وقلما يلتفتن الى العناية بذواتهن في هذا الزمن العصيب لاجتيازه بأمن وسلامة . ولذلك فهن يدفعن ثمن اغلاطهن من دماء قلوبهن .

فولادة الاولاد وظيفة صعبة ضرورية لحياة المرأة كما ان الاثمار ضروري لحياة الاشجار . ولذلك لايحظرن لاحد أن الولادة امتياز خاص بالتسوية ، بل هي واجب مقدس وبركة سماوية .

وفي منال كل امرأة ان تخبرك أن للأمومة تأثيراً فعالا يعمل على بناء الأم جسدياً وعقلياً وأدبياً وروحياً : على شرط أن تنفذ الامومة بروح صالحة وادارة حكيمة .

فليس للمرأة والحالة هذه أقل عذر اذا خسرت شيئاً من جمالها أو صحتها في حال الحمل والولادة .

طالما اوضح ذوو الاختصاص من الاطباء وأتوا بجمّ الادلة والبينات ليبرهنوا أن المرأة تستطيع أن تحتفظ بجمال شبابها وتستعيد كل قوتها ونشاطها بعد الولادة اذا عرفت كيف تعيش في اثناء حملها وولادتها على وفق الشرائع الطبيعية الصالحة .

أجل ، ان المرأة لا تقوم بقسطها من الواجب في الحياة الا عن

طريق الامومة . ومن يستطيع ان يقول بوجوب عقابها اذا كانت تقوم بمثل هذا الواجب المقدس ؟ كثيرات من الامهات اللواتي لهن غير واحد من الاولاد وهن بكل امانة يؤيدن صحة هذه الاقوال .

وليست المسالك الطبيعية التي تتخذها الحياة للبلوغ بواسطتها الى الامومة لتقتصر على تجديد شباب الام تجديداً طبيعياً فقط ، ولكن متى نما الاولاد وبلغوا رشدهم فان وجود الشباب في البيت وما يرافق الاختلاط مع الصغار وهم يدنون من هيكل الشباب ـ كل ذلك يبعث في قلب الام حياة جديدة فتجدد شبابها بشباب أولادها ، وتطمئن روحها الى خلودها بهم .

فاذا كانت اماً حقيقية لأولادها فانها لا تتأخر في بعض الاحيان عن مشاركتهم في العابهم فتظهر أن في وسعها أن تصير بنتاً صغيرة مرة ثانية ، والامهات اللواتي يتبعن هذا المثال هن دون غيرهن يمكن أن يظهرن في عيني الغريب كانهن أكبر قليلا من بناتهن ، بل كثيراً ما يخيل الى الغريب أنهن اخوات كبيرات لبناتهن الصغيرات

فلا تتوهمي أيتها الزوجة انك قادرة على الاحتفاظ بشبابك بالتخلي عن حقك في الولادة . فانت قادرة أن تحافظي على شبابك اذا تمسكت بالمبادىء العاملة على بناء الصحة الضرورية في مثل هذه الادوار من الحياة .

فاذا واظبتِ ، بعد أزمة الولادة وهدوء عاصفتها ، على الرياضة الضرورية لسلامة الجسد وقوته ، فانك تحتفظين بكل ما في قوامك

من الاعتدال وما في جسدك من الجمال .

واذا أضفنا قيمة الاولاد ، وما في وجودهم من الغبطة والتعزية في حياة الام ، الى العوامل المذكورة أعلاه ظهر لنا بكمال الوضوح شرف الامومة وما فيها من اللذة والبهجة .

فالمحبة والسعادة والبيت والاولاد لاوجود لها الا بعضها مع بعض . وأنت لاتستطيعين أن تحيطي علماً بما تحمله الامومة المرأة ما لم تجمعي كل ما يرافق هذه الكلمات من الغبطة البالغة واللذة الكاملة والافتتان العلوي .

الضرائب على الكلام

تعين لاحدى الحفلات الكبرى في لوس انجلس كليفرينا « الولايات المتحدة » منذ مدة خمسة خطباء . واجمعت كلمة واضعوا برنامج الحفلة أن يُعطى كل واحد من المتكلمين عشرين دقيقة للخطابة : بحيث لا تتجاوز الحفلة مائة دقيقة ، وهذا كل ما يمكن أن يطلب من الجمهور الصبور الأصغاء فيه . وفي الوقت المعين نهض الخطيب الاول فتكلم اثنين وعشرين دقيقة . ثم قام الثاني فتكلم خمساً وعشرين دقيقة . أما الخطيب الثالث فانه ، بعد الحذف والاختصار الكثير من خطابه تكلم ساعة وخمسا واربعين دقيقة !

***

المتكلم امتياز غير عادل على الكاتب ، فكل مطالع لهذه المقالة يستطيع في أية لحظة أراد أن يقرر أن هذه السطور لا تستحق أن يضيع وقته بقراءتها ولذلك يرمي بها في سلة المهملات ويستريح منها ، (ولا شك ان اكثر القراء سيفعلون هذا ،) ولكن ما من رجل ينهض من وسط الجماهير ويحمل قبعته ثم يقفز الى خارج القاعة للتخلص من سماع خطاب لا يعتقد أنه يستحق السماع . فالواجب الاجتماعي يمسك بكل منا في مقعده ويضطره للبقاء الى انتهاء الحفلة رضي عن الخطباء أم لم يرض ، وكل تسعة من كل عشرة من الخطباء يبنون خطبهم على هذه العقيدة !

ومن نوادر المصادفات أن نرى خطيباً ينهض فيشرع على الفور في ايضاح ما يود أن يقدمه لنا بملء البساطة والايجاز ويجلس في الحال قبل أن يتمنى أبلدُ الحضور فهماً انقطاعه عن الكلام . مثل هذا الرجل يأخذ حبه بمجامع قلوبنا وينال اعجابنا واحترامنا ، وكل من يسمعه مرة يود بجمّاع عواطفه لو يرأس كل حفلة او اجتماع . هذا هو الخطيب الذي يحيا خالداً في قلوب الناس فيذكرون اسمه بالثناء والاطراء كلما ذُكرت الخطابة والخطباء .

* * *

الايجاز حُلية فضائل الخطابة ولا أدري ما يبعد اكثر الخطباء عن هذه الفضيلة الخالدة . فهي أول درجات الخلود وأعظمها .

خطب رجلان في مدينة غتسبرغ في اثناء الحرب الاهلية

الاميركية . وكان اسم الأول « افرت » اخطب خطباء زمانه ، فالقى خطبة بليغة استوفيت فيها جميع قواعد البيان والبلاغة ، ولكن مَن من القراء الادباء سمع رجلا يُشير الى هذه الخطبة في كتاباته (الا اذا كان ذلك من قبيل التاريخ البسيط) ، أو من يستطيع أن يردد لنا سطراً واحداً منها ؟

أما الخطيب الثاني فانه قرأ خطاباً موجزاً لم يتجاوز الثلاثماية كلمة : فكان لنا منه خطاب لنكن الخالد في غتسبرغ .

قال أحد عظماء الكتاب ، « تقوم أفضل طريقة للكتابة في أي موضوع كان بأن تكتب المقالة بكل ما تستطيع من الدقة والعناية وبعد الفراغ من كتابتها اقسمها الى قسمين وابعث بالقسم الاخير منها للنشر . »

حدث مرة أن جاء أحد الكتاب الى الصحافي الكبير المستر « دانا » متذمراً وقائلا انه لا يستطيع أن يكمل قصة طلب اليه المستر دانا ان يكتبها بستماية كلمة فقط . فأجابه المستر دانا قائلا :

« ارجع الى التوراة وهنالك تجد أن قصة الخليقة بكاملها لم تأخذ ستماية كلمة . »

***

تُفرض الضرائب اليوم على كل شيء ما عدا الكلام ، وانت لو أعملت الفكر لوجدت ان مثل هذه الضريبة انما هي انفع الضرائب للذين ينفقون خزائن صبرهم في استماع المتكلمين في وقت وفي غير

وقت والضرائب على الكلام يجب أن تفرض على نفس الطريقة التي تتبعها الحكومة في ضرائبها على الدَخل . فالخطب التي لا تتجاوز الخمس دقائق يجب أن تعفى من الضرائب : والخطب التي تأخذ من ٥ ـ ١٠ دقائق يجب أن يفرض عليها دفع عشرة بالمئة ، والتي تأخذ من ١٠ ـ ١٥ دقيقة يجب أن تدفع ١٥ بالمئة ، والتي تأخذ اكثر من ثلاثين دقيقة يجب أن تكون الضرائب عليها ٦٠ بالمئة . اما خطب النواب في مجلس الأمة فيجب أن تكون الضرائب مزدوجة عليها . بهذه الطريقة القاسية ، أو بالحري العادلة ، نستطيع أن نحفظ للخطابة مقامها ونسترعي احترام الناس واصغاءهم للمتكلمين .

لم يقم بين جميع الرجال الذين حفظ لنا التاريخ ترجماتهم من ذكر اسمه بالاعجاب والاحترام مثل اخنوخ . فقد نال من الشرف والكرامة ما لم ينله رجل سواه . ومع ذلك فان ترجمة حياته لم تأخذ عشرين كلمة وهي كما يأتي :

« ومشى اخنوخ مع الله ولم يوجد بعد : لأن الله أخذه . »

ولم نرَ في تاريخ الكتاب المقدس رجلا غير هذا تختاره العزة الألهية رفيقاً يمشي معها جنباً الى جنب . ولنا من ترجمة حياته برهان ناصع على ان كلماته كانت قليلة جداً .

الجسد والسيارة

قال أحد الشيوخ ، « لو كنت شاباً لـ . . . . ولكن يا للاسف الشديد ! فهنالك الموت ! فما الفائدة ؟ فان الانسان لا يبلغ السن الذي يجمع فيه من العقل ، والاختبار ، والحكمة ، ما يستطيع أن يعيش به سعيداً ، حتى يأتيه الموت ويخطف روحه !

« ولكنني كنت افكر منذ هنيهة في سيارتي الجميلة . فقد استأجرت للعناية بها سائقاً ماهراً ، وهو لا يفتر لحظة عن خدمتها ، فتراه يغسلها تارة ، وطوراً يمسحها ، وآونة يفككها ثم يركب آلاتها ثانية . واذا ساقها اصغي الى صوتها كما يصغي الطبيب الماهر الى ضربات قلب عليله .

« فلماذا كل هذه العناية بسيارتي ؟ لانني ولا شك اريد أن أحصل على كل ما فيها من القوة لخدمتي . فلو كنت اليوم في الحادية والعشرين من عمري لكنت اعتني بجسدي اضعاف عنايتي بسيارتي الآن ، لأنني أحب أن أحصل على كل ما في جسدي من القوة والحياة . فان الجسد هو أعظم سيارة يستطيع الانسان أن يملكها في هذا العالم . وكل من يهمل العناية به جاهل أعمى . ومع انه يسوؤني جداً أن اقول انني جاهل أعمى ! ولكنها الحقيقة بعينها .

« لو كنت في الحادية والعشرين لكنت اراقب جيداً كل ما أضعه في جسدي ، نعم ولكنت أضع للاكل نفس النظام الذي

أعمل به في وضع الغازولين في سيارتي لكي أجعلها تسير بي وليس ليكون لي من ذلك تلهية وتسلية .

« لو كنت في الحادية والعشرين لكنت أتعلم كل ما عرفته بعد الخمسين من أنواع الطعام ، وتراكيبه الكيماوية ، وكمية الغذاء التي في كل نوع منه ، ولما كنت ادخل الى معدتي الا ما يحتاج اليه جسدي ليكون قويا ، سليما ، ويساعد على نقاء فكري وصفائه .

لو كنت شابا لما كان يهمني ماذا يأكل المجانين الذين يعيشون حولي بل كنت آكل لاعيش ، ولا أعيش لآكل . لأن في الحياة ملذات كثيرة غير الأكل ، والشرب ، ويمكن لكل انسان ان يتمتع بها وينظر الى الطعام نظرته الى سر مقدس لقوام الحياة .

« لو كنت في الحادية والعشرين لكنت أفحص جسدي مرة أو مرتين في السنة ، عند أمهر الاطباء الاختصاصيين ، وليس عند الدجالين والافاكين .

« لو كنت شاباً لكنت أفحص اسناني مرتين في السنة ، فقد انتظرت حتى نخرها السوس ، وها أنا على ما ترى ! كل انسان يحتاج الى الدواء في حياته — ان لم يكن اليوم ففي الغد — ولكن أفضل انواع الدواء انما هو ما يمنع حصول الداء .

« لو كنت في الحادية والعشرين لكنت افحص قلبي ، ودمي واعضاء جسدي بكاملها ، في مطلع كل عام ، قبل ان يحل بها الضعف فيعمد الاطباء الى مداواتها عبثاً ، لاني لم اتداركها قبل فوات الفرصة

« انني لا انتظر سيارتي حتى تتعطل لاصلحها ، بل افحصها في كل يوم ، لارى أن كل ما فيها سائر على نظامه الكامل . ومثل ذلك يجدر بالشاب ان يفعله بجسده

« غريب عجيب ، كيف أن الانسان يسيء العناية بجسده ، فيحمله اثقالا هو في غنى عنها ، ويتركه عرضة للصدأ ، والوسخ ، وغير ذلك مما يعطله ويقتله ! ولكن هل يفعل هذا بسيارته التي دفع ثمنها الفين ريالا ؟ هل يترك هذه السيارة تحت المطر ، أو في الغبار ، ويهمل تنظيفها حتى يعلوها الصدأ ، والوسخ ، وتقف عن الحركة ؟ وهب أنه فعل ذلك أفلا يكون مجنوناً ؟

« وهو أكثر جنوناً اذا لم يحفظ جسده ، في نظام صالح . لان جسده سيارة تفوق قيمتها ملايين السيارات ، وهي أكثر تأثيراً في سعادته من أي مجموع كان من الفولاذ والزجاج .

« نعم ياسيدي لو كنت في الحادية والعشرين لكنت اعتني بجسدي اضعاف اضعاف عنايتي بسيارتي . »

الكليات والسيارات

دعاني صديق لي ، من كبار علماء هذه البلاد ، واغنيائها النافذي الكلمة ، الى تناول العشاء مع صديق له في بيته . فذهبت

في الوقت المعين ، فاذا كل شيء معد . وفيما نحن نتناول الطعام قال صاحب الدعوة :

« انني لا اعرف ماذا اعمل في أمر تهذيب أولادي . فقد أنهوا المدرسة الاعدادية ، وهم على أتم الاستعداد للذهاب الى الكلية . ولكنني أكاد اقرر الا ارسلهم الى الكلية . فان المدارس الحديثة ، وبنوع خاص الكليات الكبرى ، ما برحت تسير على النظم القديمة الموضوعة في العصور المظلمة . وهي في هذا العصر الحديث ، عصر التقدم والتجدد ، اكثر جميع المعاهد التهذيبية تمسكا بالقديم العقيم . ولكنها متقدمة جداً في بعض الامور ، أو بالحري فهي متقدمة في كل شيء ما عدا التهذيب .

« فهي لا تعد الولد كما ينبغي ويليق بالحياة .

« وفي منالها أن تخرج لك معلمين ، ومهندسين ، واختصاصيين في هذا الفن ، وذلك العلم ، ولكنها لا تقدر أن تخرج لك رجلا حقيقيا .

« لاجل هذا لا أرى سببا يحملني على ارسال ابني الى كلية يقضي فيها أربع سنوات في درس علوم الاجيال المتوسطة ، واربع سنوات بالانخراط في كل ما يفسد الاداب ، ويحط الاخلاق ، من التصرفات التي عرفت بها كليات هذا الزمان . ولذلك ساضع أولادي في اعمالي التجارية ، وافسح لهم المجال لدرس الفرع الذي

يريدونه من العلم ، مع أية مدرسة شاؤوا من مدارس المراسلة

« يخيل الى الكثيرين ان جامعات العلم الكبرى في هذا العصر ، الذي اجتاز خطوات واسعة في التقدم المادي ، والتدهور الادبي ، يجب أن تكون هياكل مقدسة — يتعلم فيها الشاب الاداب الرصينة ، ويعيش فيها معيشة بسيطة ترفع افكاره ، وترقي عواطفه ، وتسمو باخلاقه الى أوج العظمة والمجد .

« ولكن ماذا تجد اليوم ؟ تأمل في هذه المقالة التي نشرها الدكتور ارثر ج .وَبْستر في جامعة كلارك .

قال هذا ودفع الي مقالة الدكتور وبستر ، فاذا فيها ما يأتي :

« قد انحصرت الغاية من تقدمنا الحديث بطلب الثروة ، واقتناء السيارات ، والسعي وراء الملذات ، والتكالب على الرقص والاعراض عن كل شيء لا تقاس قيمته بالريالات .

« ان أكثر ما يهتم الناس بمعرفته اليوم هو السيارات على انواعها ، والرقص على أبوابه الكثيرة ، والصور المتحركة ، والالعاب المتنوعة ، وبنوع خاص لعبة « الباسبول »

« أرني طالبا في كلية مغرما بالرياضيات ، أو التاريخ ، أقدم لك الف طالب متعشقين السيارات ، وكيفية إيقافها ، وتسييرها .

« ومع أنه ليس في السيارات شيء ضد الاداب ، ولكنك

تكاد تجد السيارة عاملا نافذاً في كل جريمة ، من متشردي باريس الى زعاريرِ هرفرد .

« وليس بالامر الغريب ، اذا قلنا أن في جامعة هرفرد زعاريرِ (وزعران) ، ففيها سيارات كثيرة ، وأكثر طلبتها أغنياء ، يعيشون للعالم الخارجي اكثر مما يهمهم العالم الادبي ضمن جدران الجامعة . وهرفرد من هذا القبيل ليست بارداً من يايل ، وبرينستون ، وغيرهما من الجامعات الكبرى . فكل ما ينطبق على الواحدة يصح في الاخرى .

« تعرف الكليات الكبرى اليوم بما فيها من صفوف المتبارين في الالعاب ، وتبريزهم على غيرهم في ميادين السباق ، أكثر مما تعرف بما فيها من العلم والادب . والطلبة فيها تهمهم كرة القدم (الطابة) ، اكثر مما يهمهم سقراط ، او شكسبير

« تألفت مؤخراً جمعيات جديدة في هرفرد لتعارف الصفوف القديمة بالصفوف الحديثة . . وقد حضرت بضع اجتماعات من هذا النوع ، فرأيت ان الويل ، والثبور ، وعظائم الامور ، كانت تحل على رأس كل رجعي ، يريد أن يحدث القوم بموضوع ادبي ، أو اجتماعي ، فكانوا ينزلونه عن الكرسي ، ويطبلون ، ويزمرون ، لكل من يخطب فيهم خطبا من نوع « السبورت ! »

« ان أهم ما يدعو الى تثبيط الهمة والعزم في أمر التهذيب

في اميركا، هو أن القوم معرضون عنه كل الاعراض — وأكثر الناس جهلا للتهذيب هم رجال التهذيب في كلياتنا الكبرى . »

وعندما فرغت من قراءة هذه المقالة قال الضيف الثاني الذي كان معنا ، « ولكن هذا مبالغ فيه ايها الاخوان ، لان للكليات حسناتها كما ان لها سيئاتها . »

فاجابه صديقي ، صاحب الدعوة ، قائلا : « ان كل عمل تنفق عليه الملايين لا بد أن يكون له بعض الحسنات ! »

هنالك رجل يتبعك

هنالك رجل يتبعك !

هنالك رجل يرى اثار قدميك على الرمال فيسير في طريقك صامتا ، مفكراً .

هنالك رجل يرى خيالك ، وانت تمر بين احراج اسرار الحياة ، فيقتفي خطواتك — ولعله لا يعرف طريقاً غير طريقك ليمشي عليها !

قال « ثكري » أنه لم يكن في ارلندا فقير ما ، ولم يوجد فقير آخر يعيش على نفقته . وليس في العالم رجل حقير ، مجهول ، من غير أن يكون في حياته ما يتخذه غيره مثالا يقيس به حياته .

نحن نعشق ادراك اسرار ذواتنا لكي نتخلص من المسؤولية

التي يجب أن نحملها . ولكننا مهما بالغنا في جهادنا ، فنحن لا نستطيع أن نهرب من قيادة غيرنا من الناس . فهم يتبعوننا ، رضينا أم ابينا ، وكثيراً ما يشتد تعلقهم في اتباعنا برفضنا وتذمرنا لان المثال التي يتزاحم الناس على اتباعه ، اكثر من سواه ، انما هو مثال اولئك الذين لا يريدون ان يقدموا انفسهم مثالا لغيرهم .

فاذا صاح بنا رجل قائلا : « لا تفعلوا كما افعل أنا ، » فان قوله هذا يحملنا على اتباع خطواته ، اكثر مما لو قال لنا : اقتفوا اثاري . »

نحن لا نتأثر بحياة الزعماء الذين يطلبون منا العمل بنماذجهم الادبية ، وقواعدهم الاخلاقية ، ولكننا مأخوذون بحب النماذج البسيطة التي تركها لنا الرجال العاديون ، الذين عاشوا حياة ساذجة لا تعرف الكلفة او الخدعة .

تلبس الفتاة ثوبا ابيض لأن الفتاة جارتها لبست ثوباً ابيض . ويشرب الشاب المسكرات على انواعها لأن رفقاءه الشبان يشربون هذه المسكرات . ويُقبل الرجال والنساء على رؤية صورة في المراسح العامة لأن غيرهم من أهل الحي اقبل على رؤية تلك الصورة وهكذا قل عن اكثر أعمالنا .

فنحن نفعل اكثر ما نفعل ، لمجرد ان غيرنا يفعل الامر بعينه وليس لأي سبب آخر .

هذه هي قوة الجماعة العجيبة ، التي كثيراً ما تحملنا على القيام باعمال، ما كان يخطر لنا القيام بها، لواننا تُركنا الى عقولنا واحكام أفكارنا .

وفي اعماق كل منا جزؤ من هذه القوة الغريبة المدهشة . مهما كنت صغيراً في عين نفسك ، مهما كنت تحتقر آراءك ، ولا تعتد باحكامك ، فان هنالك رجلا يتبع خطواتك ، مدفوعاً بعامل القوة الخفية ، الكائنة فيك ، التي تجذبه اليك من حيث لا يدري .

ليس في الوجود نفس تسير لوحدها .

ما من تذمر ، او كآبة في نفس انسان ، ولا تأثير لها في نفس سواه . فأنت تسير أبداً على مسالك الحياة ، في طليعة موكب كبير ، وهنالك الوف من النفوس السائرة وراءك ، سيراً غريزياً مبهما انك ، بدون ارادتك ، وعلى رغم شعورك ، تجعل هذا العالم أفضل ، او اردأ ، مما هو لابناء الانسان ، وتضيف الى سعادته ، أو تزيد في شقائه ، وتشرق عليه بانوار جديدة ، او تزيده ظلمة على ظلمة . انت تفعل كل هذا ، ولو لم تعرف كيف ، او لماذا تفعله .

لاجل هذا وُجدتَ في العالم ، ولاجل هذا تعيش فيه .

فضع نصب عينيك ، انه عندما تفتح الصحف ، وتعلق الموازين للمحاسبة الاخيرة ، سيكون لاعمالك ، التي لا تتذكرها ، ولا تحسب لها حساباً ، القيمة البالغة في حياتك .

الثقة والشك

التطرف في الثقة ممقوت ، كالتطرف في الشك .

وبين هاتين النقطتين يجب أن تبني احكامك وآراءك باسرها كن حكيما باستعمال ثقتك بكل شيء ، الى حد يكفي معه أن تنتفع بذلك الشيء ، وتعيش به ، وتتخذه قاعدة أدبية لتصرفك ، وليكن لك ، في الوقت نفسه ، مجال للاعتراف بخطأك ، يوما ما ، والعدول عن الامر الذي وثقت به ، اذا قام الدليل والبرهان على قساوته وصواب سواه .

في العالم حقائق كثيرة ، تستطيع أن تعتمدها في حياتك ، وتستثمرها لما فيه خيرك ، وتغذية روحك ولكنك لا تستطيع أن تجردها من تعرضها للشك ، والريب في صحتها . وانك اذا اعملت الفكرة ، لرأيت أن أعظم الحقائق الضرورية المعمول بها في العالم هي عند التحقيق اكثرها تعرضا للشكوك والظنون .

أنت مضطر أن تأكل ، ولكنك لا تعرف اذا كان الطعام الذي تتناوله مسموما أم لا .

وانت مضطر أن تنام ، بيد انك لا تعرف اذا كانت تثور عاصفة هوجاء ، او زلزلة صماء في الليل ، وتدك بيتك على رأسك .

وأنت تحب في حياتك ، ولكنك لا تدري اذا كان من يحبه قلبك يبادلك المحبة التي تحبه .

وأنت يجب ان تطيع شرائع الله ، وتعيش للاخرى اكثر مما للدنيا ، ولكنه ما من رجل رأى الله في زمن من الازمان ولم يرجع من الابدية احد ، ليخبرك اذا كانت المعيشة فيها حسنة ام لا .

كلما ارتفعت حياة الانسان ، ونبُلت افكاره ونضجت آراؤه ازدادت الظنون ، وكثرت الشكوك حول شخصيته وحياته باسرها .

هذه حقيقة نهتدي اليها عندما نبلغ حدود الشيخوخة ، وقلما نفطن لها ، ونحن في عهد الشباب ، لان ثقة الشباب عمياء صماء .

قال احد الحكماء ، « كل رأى جديد يتحول ، في حياة صاحبه الى قوة مطلقة تقضي على جميع ما سبقها من القوات ، وتذلل كل ما يقوم في وجهها من عقبات الشك ، وتعمل على ايجاد الثقة الكاملة في قلب صاحبها بانه ليس في العالم قوة جديرة بالحياة غيرها وهي وحدها قادرة على حل جميع المشاكل والقضايا المعقدة على الارض . »

بقية الوثنية

قال القديس ايلوي ، في عظة شهيرة ألقاها في القرن الحادي عشر ، واعظاً رعيته ، ومحذراً اياها من خداع الوثنية وخرافاتها القبيحة :

« اهربوا ايها الاخوة من عادات الوثنيين المدنسة ، ولا

تقربوا الدجالين ، والمشعوذين ، والعرافين ، والسحرة الكاذبين في هياكلهم : ولا تهتموا بالمتشائمين والمتطيرين ، ولا يلفت انظاركم طائر ، أو حيوان ترونه في طرقكم ومسالككم .

« لا يهتم المسيحي بيوم معين يترك فيه منزله او يعود اليه . ولا يعبأ احد بينكم بوجوه القمر وهو يقوم باعماله . ولا توقدوا سرجا ، ولا تنذروا النذور للهياكل القديمة ، والصخور ، والغابات ، والمراعي ، ومعابر الطرق ، ولا تتخذوا يوم الخميس عيداً لكم ، ولا تحملوا العُوذ على صدوركم ولا تعلقوها في اعناق حيواناتكم ، ولا تخافوا من مثل هذه العوذ ، ولا تنسبوا اليها قوة خارقة ، بحجة على فصول ، او آيات من الكتاب المقدس . ولا تتخذوا لكم انها تحتوي طرائق معنية للتطيير ، ولا تسحروا مراعيكم ، ولا تحملوا قطعانكم على المرور في ثقوب الاشجار ، ومغاور الارض ، او غير ذلك من طرائق الوثنية لان هذا كله من عمل الشرير .

« لا تلبس امرأة منكم عقود كهرباء في عنقها ، ولا تطبلوا ، ولا تصرخوا في اوقات الكسوف والخسوف ، ولا تؤمنوا بالقضاء والقدر ، والحظ والنصيب والتنجيم العقيم .

« واذا مرض أحد منكم فلا تدعوا السحرة والمنجمين والعرافات الدجالات . ولا تنشدوا مياه ينابيع معينة ، او اوراق اشجار معينة أو حجارة جبال معينة لشفاء مرضاكم . بل اعرضوا

عن جميع هذه الخرافات لانها رجس من عمل الشرير . »

***

كان الناس في القرن الحادي عشر يؤمنون بجميع هذه السخافات ، ولذلك نزلت عليهم هذه الكلمات نزول الصاعقة . ولكن ماذا يكون وقع مثل هذه المواعظ الحكيمة في نفوسنا ، نحن ابناء القرن العشرين ، بعد ان استنرنا بانوار علوم تسعة قرون كاملة ؟

في مظاهر حياتنا مسحة قليلة من المدنية المسيحية ، ولكن بقايا المعتقدات الوثنية ، والخرافات البربرية كائنة في زوايا قلوبنا واعماق نفوسنا .

فنحن ما برحنا نخاف من يوم الجمعة ، ومن عدد ١٣ ونتطير من اصوات الغربان ، وعواء الثعالب . ومن منا يستطيع ان يملك عواطف قلبه من الخوف ، عندما يخبره احد الدجالين ان واحداً من عيلته سيموت في هذه السنة ؟

قد طردنا الجنيات والعفاريت ، واخبارها من افكارنا ، ولكنها ما برحت تحتل قلوبنا وعواطفنا جميعاً .

وعلى رغم ثمرات علومنا الناضجات، نرى ان العالم الذي نعيش فيه ، والنفس الخالدة التي تحل في كل منا، لا تزال تحيط بهما الاسرار والمعميات. قد جُبنا سهول الارض، وجبالها، وانجادها، واكتشفنا مجاهل افريقيا ، واميركا الوسطى ، والقطبين ، ولكن ما برح في

أعماقنا احراج مجهولة ، وجبال شاهقة ، وكهوف مظلمة ، وصحار قاحلة ، وبحار لم تعرف أمواجها وجه كولومبس واحد .

إن آلهة العالم القديم قد تهدمت هياكلها ، ولكنها لا تفارقنا قيد ذراع . والعلم نفسه ، الذي نفاخر به ، تكتنفه اسرار المجهول من كل جهة . وفي زوايا افكارنا تختبيء اشباح الانبياء الدجالين الذين عاشوا في قرون الجهالة والظلمة . ولذلك نرى أن الغرائز الفطرية المتأثرة بهذه الاوهام ، والخرافات تسود في الغالب على الارادة المتهذبة بالمعرفة .

كثيراً ما تتحرك الوثنية ، التي هجرها أجدادنا ، في قلوبنا ، نحن العائشين في هذا العصر ، وهي بالرغم من كل الجهود الصالحة التي بذلها القديسون لغرس صليب المعرفه في أرض غير المعلوم ، ستتحرك في قلوب احفادنا على ممر أجيال عديدة . ولعل في ذلك بعض الفائدة .

الجريمة والعقاب

في محاكم العالم المتمدن عادة إن الذي يجرم للمرة الثانية ، بعد عقابه في المرة الاولى ، يجب أن تكون مدة سجنه اطول من الذي يجرم للمرة الاولى .

قد تكون الغاية الداعية الى هذه العادة بسيطة ، يدركها

الانسان لاول وهلة . فهي تريد أن توقع الرعب من الشريعة في قلب كل مجرم يتخذ الاجرام مهنة له ، فيمتنع في المستقبل عن العودة إلى كسر الشريعة ، وتكون الصرامة في عقابه تعليما لسواه .

النتيجة صحيحة في هذه القضية ، ولكن المقدمة غير صحيحة ، لانها تفرض أن الجريمة تستأصل بالعقاب ، وهذا افتراض كاذب .

يرتكب الانسان الجريمة لاول مرة ، بسبب الضعف المستولي على الطبيعة البشرية ، ولكنه إنما يتعود الاجرام ويسجل اسمه عضواً دائماً في جمعية المجرمين — بواسطة السجون ، التي اقامتها الحكومات كليات يتخرج فيها السجناء على مبادىء الاجرام . لان السجون في عقيدتي استنباط شيطاني ، لانماء بذور الشر في قلوب المسجونين ، واعدادها لتأتي بجزيل الثمرات في العالم .

فاذا كسر إنسان شريعة الحكومة ، وأظهر نفسه بعمله هذا عدواً للمجتمع الانساني ، فان العقل الصحيح يقضي على الحكومة أن تبذل قصاراها في اصلاحه ، واستئصال عاطفة الشر من قلبه . وإن عجزت عن هذا ، يجب أن تضعه في مكان ، لا يستطيع فيه أن يستثمر محبته للاضرار والاذية .

ولكن إذا أجرم امرؤ نرى أن الحكومة ، عوضاً عن مداواة ضعفه ، أو السعي لمعالجة مرضه على الاقل لكي يتقي الناس شره ، تضعه للحال في سجن تنمو فيه محبته للجريمة ، ويموت احترامه لذاته ويقتنع ، بعد كل ما يرى من سوء المعاملة ، والاحتقار ، واعتباره

اقذر وأدنى من جميع الناس ، إنه ليس من أمل لشفائه ، ولا خير يرجى من ورائه .

وبعبارة اخرى، فان الحكومة تبذل جهدها لتقلع هذا المسكين إنه مجرم شرير ، لا رجاء فيه للانسانية ، ولذلك عندما يطلقون سراحه من السجن ، بثيابه الحقيرة ، وجيبه الفارغة ، نرى رجال الشرطة يبالغون في مراقبة حركاته وسكناته ، حتى إذا ما لاحت لهم منه زلة صغيرة ، قادوه صاغراً الى المحاكمة ، حيث ينال قصاصاً مضاعفاً بسبب أجرامه للمرة الثانية .

فالحكومة تعاقبه على ذنب اقترفته بنفسها : وهو عجزها عن اصلاحه . الحكومة تقتل الشهامة والرجولة في قلبه ، ثم تنتقم منه لانه لم يظهر أنه رجل شهم .

الحكومة تقتاده الى الجريمة ، ثم تعاقبه على الجريمة .

فكرة السجن فكرة قذرة عقيمة . لان مجرد رؤية سجون الحكومة يقود الانسان الى اليأس . ويحوله الى ذئب ضار .

في القرن العشرين كثير من الذكاء ، والعلم ، والحقيقة ، فيجب أن تستخدم الحكومة هذا الكثير في معالجة الضعفاء بادابهم وأخلاقهم .

وإنني أستطيع أن أقول ، بعد اختبارات كثيرة، إن خمسة من كل ستة ، من المجرمين الذين تزجهم الحكومة في غيابة السجن المؤبد ، يمكن اصلاحهم ، وجعلهم خداماً صالحين للمجتمع البشري ،

لو أرسلوا إلى مكان يعاملون فيه كمخلوقات بشرية ، فتعود اليهم عزة نفوسهم ، واحترامهم لذواتهم . لان الفكر المريض يحتاج الى طبيب رؤوف أكثر من الجسم المريض

أما المجرم للمرة الثانية ، فيجب أن يناله من العناية ، أضعاف ما ينال المجرم للمرة الاولى ، لان مرض فكره اشد وطأة من مرض فكر الاول .

أفضل ما في الحياة

قرأت مرة قصة هندية ، ملؤها الحكمة ، وها أنا أقدمها للقاري الاديب بما يأتي :

« وعد أحد العفاريت العظام ، فتاة في مقتبل العمر وبالغ الجمال ، أنه يعطيها جائزة ثمينة جداً ، إذا كانت تفعل ما يطلبه منها . وقد حصر طلبه بأن تسير في حقل واسع ، من غير أن تقف البتة ، وتختار في سيرها أفضل وأنضج سنبلة ، وتقطفها وتحضرها له . أما قيمة الجائزة فقد ترك تعيينها بالنسبة لحجم السنبلة التي تقطفها وتحضرها له . ففرحت الفتاة بهذا الوعد ، وسارت لساعتها راكضة بين الزروع . وفيما هي تسير من جانب الى جانب ، وجدت سنابل كثيرة جميلة تستحق أن تقطفها . ولكنها لم تفعل ذلك رغبة في أن تجد أفضل منها . ولذلك ظلت على حالها . إلى أن

أقبلت الى مكان من الحقل ، صغرت فيه السنابل وضمرت جداً . فلم تشأ أن تقطف سنبلة منها لانها لم تعلق عليها كبير أهمية . وما برحت على تلك الحال ، تعلل نفسها بالامال ، حتى وجدت ذاتها في الجانب الاخر من الحقل ولا سنبلة بين يديها . »

إن هذه القصة تتضمن حكمة بالغة شأن أكثر قصص الشرق

فكم في العالم من ملايين الناس الذين هم مثل هذه الفتاة . يسيرون في حقل الحياة الغني ، وفي كل يوم يجتازون بالوف الفرص الكافلة قيادتهم إلى النجاح والسعادة، ولكنهم لا يغتنمونها، متوقعين أن يصلوا الى ما هو أفضل منها ؟

لم يعرف العالم ، حتى الساعة ، اختراعاً يجعل صاحبه سعيداً ، راضياً ، أكثر مما يجعله عمل يومه الممتلىء بالجهاد ، والامانة والاخلاص . فالعمل ، الذي يقوم به الانسان برغبة ومحبة ، هو أفضل بركة تنزلها عليه السماء . لان اشتغال الانسان المتواصل واهتمامه بشأن من الشؤون ، يؤلفان الخلاصة الكاملة للحياة الانسانية .

ولكن الصعوبة مع أكثر الناس أنهم يريدون أن يجعلوا السعادة مزيجاً مضطرباً من عناصر مختلفة يصعب ، أو يستحيل التئامها ، بعضها ببعض . بيد ان السعادة الحقيقية تهرب أبداً من الاضطراب والتكلف . فهي بسيطة بهذا المقدار حتى أن الناس كثيراً ما يضلون عنها لفرط بساطتها . فهم يعتقدون أن السعادة

تأتي نتيجة للاعمال الكبرى . والثروات العظيمة ، وللنجاح الغريب في حين أن السعادة الحقيقية هي نتيجة لازمة لأبسط الاعمال ، وأبعدها عن الدعوى والضجيج .

نحن في أشد الحاجة الى جعل كل يوم من أيامنا ممتلئاً باشعة الشمس ، والاعمال النافعة ، صغيرة كانت أم كبيرة ، حتى لا يكون في حياتنا ظلام ، أو فراغ ، أو شقاء .

قليل من اللطف ، بضع كلمات تعزية قليل من المساعدة بمحبة قليل من التشجيع والتنشيط ، القيام بالاعمال بامانة ، الخدمة الغير الانانية ، محبة العمل ، قليل من الصداقة ، والعطف ، والحنو . — كل هذه أعمال بسيطة جداً . ولكنها تقود الى السعادة ؟

قليل هم الناس الذين يتعلمون فن استثمار السعادة ، الكائنة في الامور الصغيرة التي يصادفونها في كل يوم من حياتهم . ولكن هذه الاشياء الصغيرة . التي قلما نعبأ بها . لها المقام الاول في راحتنا وطمانينتنا .

إن جميع الاصدقاء . والمعارف . الذين أعيش بينهم . انما يحيون بالامال اكثر مما بالحقائق . ولا أذكر انني رأيت بينهم رجلا فرداً يعيش بماله الان ، بل هو يطمح أبداً الى ما سيكون له في المستقبل ، وعندما يحصل على ما يتوق اليه من الاموال ، ويبني

البيت الذي يسعى لبنائه . ويبلغ . بسعيه . الى المحيط والظروف والحرية من قيوده الحاضرة . فحينئذ ستكون له كل طيبات الارض التي يهواها قلبه !

الاقوال المأثورة

قال روبرت لويس ستيفنسون . « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان . بل بحفظ الاقوال المأثورة . »

التفكير عمل شاق . وفي القول المأثور فكر ناضج لا يحتاج الا إلى من يتخذه غذاء لروحه . وأكثر الناس يفضلونه على افكارهم الخاصة .

انني لا أقصد بهذا الكلام شخصاً معيناً من الناس . أو طبقة دون سواها . بل أوجه ما أقول للجميع .

فكم هنالك من الجماعات . التي تعيش ، وتموت . وهي شديدة الايمان بقول شاع استعماله على الالسنة ولكنه عند اعمال الفكرة غير حقيقي . بل هو شر من ذلك : نصف حقيقي

واليك بطائفة من هذه الامثال . والاقوال المأثورة . جمعتها مؤخراً من مطالعاتي . ومحادثاتي لغير واحد من الشيوخ الحكماء

يقولون «لاتستطيع ان تحصل على شيء بدون النظام» ومع ان النظام ضروري . في أكثر الاعمال التي تحتاج الى الادارة

والتوفير . فان هنالك نتائج كثيرة يكون النظام في مقدمة العوائق دون الحصول عليها . وفي نظامات التهذيب . والرحمة . والطوائف المتخاصمه . دليل ناصع على صدق هذا الرأي .

ومثل ذلك قولهم . « الجنس الاضعف . » وهم يعنون به النساء . فان هذا القول الشائع بين الناس وهم لا حقيقة . وكل رجل يخيل اليه انه أقوى من المرأة سائر الى الخسارة عاجلا أو آجلا .

ومنه قولهم : « نحتاج في الحؤول دون هذه الجرائم الى عقوبات صارمة جداً . » فان الرأي القائل بان الجزاء الحق من جنس العمل . وان هذه هي أفضل طريقة للقضاء على الجرائم . انما هو من بقايا اعصر الهمجية والظلمة القديمة . وهل سبق لك . أيها القاريء الاديب . أن فكرت في أن الفرق الاولى بين العهد القديم والعهد الجديد . من الكتاب المقدس . كائن في القضاء على فكرة العقوبات ؟ لان الشريعة « عين بعين » قد بدلت بالشريعة : « حوّل له الايسر . »

ومن ذلك قولهم : « ان الديموقراطية الحقيقية انما تقوم بتخويل الشعب ملء الحق للاشتراك في انتخاب كل عامل من عمال الحكومة » ولكن الحقيقة على العكس من هذا . لان اثقال كاهل الفرد . باحمال المسؤولية التي يحملها كل موظف في الحكومة . يجعل الحكومة كلها في قبضة ذوي المطامع الاشعبية . من الانانيين . أما الديموقراطية العاملة . فهي تقضي على الفرد أن ينتخب اقل

ما يمكن من الاشخاص . والوظائف الضرورية . لسلامة الحكومة.

ومنه قولهم ، « يجب علينا جميعاً ان نحسن للناس لكي نساعدهم، ونعمل على تقدمهم . » ولكن ثورو الفيلسوف قال ، انه لو رأى احداً آتياً بقصد الاحسان والتصدق عليه ، لولى هارباً من أمامه ، خوفاً من ان يقيده بقيود تغلّ ارادته وحريته . والحقيقة التي لا مرية فيها ، هي ان يكون الانسان نفسه ، عاملاً في بذل كل ما في طوقه ، لتأييد العدالة المطلقة على الارض . ولذلك كان التاجر ، أو صاحب المعامل ، الذي يقدم للناس اعمالاً يحصلون بواسطتها على رزقهم ، اعظم في ملكوت السماوات ، من الغني الذي يتصدق على الفقراء بمال جنوه هم انفسهم له .

ومن ذلك قولهم ، » ان نواب الامة لا يتحركون الا بارادة اصحاب الاعمال الكبيرة ، والجرائد يحتكرها الاغنياء ، والوعاظ مقيدون بارادة من يدفع رواتبهم، وجميع النساء ضعيفات معرضات للضلال في احكامهن وارائهن . ولذلك فان النجاح مطية للطماعين ، والمحتالين ، والمنافقين من الاغنياء والاقوياء « وكل من يؤمن بهذه النظريات العقيمة ، ويسحق بسببها تحت الاقدام ، انما يفعل جيداً ، لانه يريح نفسه ، والانسانية ، من جبانته وضعف ارادته. لان نواب الامة ، وكتاب الجرائد ، والكهنة ، والنساء هم بشر مثلي ومثلك ، لا أكثر ولا أقل . واكثر الناس يحبون ان يكونوا

مستقيمين في اعمالهم ، واقوالهم ، ويكرهون الاحتيال والرياء ، لان الاستقامة ادعى لراحتهم في حياتهم .

ومنه قولهم ، « الانسان رفيق الخطيئة » ولكن الخطيئة رفيقة الحيوان أيضاً ، فالحيوان معرض للخطأ كالانسان ولكن الميزة التي يتحلى بها الانسان انما هي شعوره بالخطيئة ، وندامته التي تمنعه عن ارتكابها مرة ثانية .

ومثل هذه الاقوال كثير يضيق المقام عن سرده ، ولذلك نكتفي بما ذكرنا ، راجين ان لا يقيد الانسان نفسه بمقاييس معينة ، وضعت لغيره ، وكانت جزيلة الثمرات في ظروف غير ظروفه .

فائدة الى رياضة

قال احد مديري الالعاب النبهاء في هذه البلاد :

« مهما كان نوع الجهاد الذي تقوم به ، في حقل الالعاب كان هذا ، أو في ساحة الحرب ، أو ميدان العمل ، أو سهول الحياة العظيمة ، فيجدر بك ان تتمه بشجاعة ، وشرف ، وعزيمة لا تثنى . وفي عقيدتي ، ان خير وسيلة لدرس هذه الحقيقة ، كائنة في الانخراط في اي نوع كان من انواع الرياضة الادبية المعتدلة .

فالرياضة تنمي الجسد وتقوي الفكر في سرعة الملاحظة ، والحركة في أوقاتها ، وتعلم ، الذي يمارسها ، الدقة في اغتنام الفرصة عند

سنوحها والا ضاعت الفائدة منها . لان الانسان يتعلم كيف يفكر بسرعة عندما يجد نفسه في ساعة اللعب ، امام خصم يراقب غفلته ليهجم عليه ويسلبه ثمرات انتصاره . وفوق هذا ، فهو يتحقق الفائدة التي في التعاضد مع رفقائه في اللعب ويتعلم الطاعة كما يتعلم العيادة ، واقتبال الخسارة بابتسامة والنصر باريحية وتواضع . فان المحارب الممتاز ، في الحرب كان او في الاعمال والسياسة واللعب ، لا يستطيع ان يكون دنيئاً البتة . ولذلك احب من اعماق قلبي ان أرى كل شاب ، وكل رجل ، بل وكل فتاة وامرأة يقبلون على الرياضة ، ويستثمرون منافعها العميمة .

فاذا أردت ان تحتفظ بقوتك الكاملة ياصاح ، فاهجر المنازل المحصورة ، واذهب الى الهواء الطليق في كل يوم ، وعود نفسك الرياضة المعتدلة . استثمر عادة المشي الجزيلة المنافع . تنشق الهواء جيداً وانت تمشي ، وانس جميع المتاعب التي اوجدها لك عملك ، وخل عنك كل همومك املأ دماغك بالافكار المفرّحة ، بكل ما يحيط بك من التذكارات الجميلة ، فتشارك الطبيعة في غبطتها ، وتشعر للحال بقوتها الشافية تلامسك وتزيل جميل اتعابك .

كلما أكثرت من حب الطبيعة بالغت هي في حبك والعناية بك . فهي تحتفظ بصحتك ، وتجدد قوتك وشبابك . فاذا احببت أن يطول عمرك ، وتجزل سعادتك ، فالزم الطبيعة ، ولا تبعد

عنها ، لانك إذا كنت قريباً من الطبيعة ، فانت قريب من الخالق نفسه .

ولكن حذار من المبالغة في اجهاد جسدك . لان هذا مضر بك مثل الاعراض من رياضته وأزيد . فان في جسدك مصرفاً للتوفير يجب أن تحفظ فيه رأس المال سالماً من غير أن تمسه . أما اذا عمدت الى الانفاق منه ، بلا قيد ولا حساب ، فثق بأنك سائر إلى الافلاس العاجل بصحتك . فكن حكيما في رياضة جسدك ، وأعمل أبداً بقول الحكيم « خير الامور الوسط . »

الرياضة لجسدك ضرورية كالخبز والماء ، فاياك أن تهملها يوماً واحداً . كثيراً ما تقول ، « إن اشغالي كثيرة ، وأرباحي وفيرة ، فكيف أتركها لكي أذهب الى اللهو واللعب العديمي الثمرة ؟ » انت في ضلال مبين يا صاح . فان هذا الجسد ، الذي تحمله اليوم احمالا ثقيلة جداً ، فيحملها صابراً ، ستأتي ساعة يتذمر عليك ، ولا يقوى على حمل أخف الاحمال . وهناك البكاء وصرير الاسنان « لكل شيء تحت السماء وقت » — فكل في وقت الاكل والعب في وقت اللعب ، واشتغل في وقت الشغل ، ولا تكن من الخاسرين ، النادمين بعد فوات الفرصة .

تحقيق الاحلام

ان الرجل العملي ، الذي لا يحلم أحلاماً . ولا يرى رؤى . يستطيع أن يجاهد في الحياة . ويبلغ درجة متوسطة من النجاح . ولكنه لن يصل . في حياته . الى مرتفعات النجاح . أو إلى القيام باعمال عظيمة في خدمة الانسانية .

فان الرجل الذي يحلم بالاعمال الصعبة . التي لا وجود لها الان . ويبني القصور في الجو ثم يعمل فكره بنقلها الى الارض . هو الذي ينفع اخوته في الانسانية . ويثير في أعماقهم الرغبة في التقدم والطموح الى النجاح .

إن جميع الابطال . والرواد . والمكتشفين . والمخترعين . والمصلحين . والمستعمرين ، وغيرهم من زعماء الخدمة العامة في العالم كانوا من أهل الاحلام . والخيال والرؤيا . وكل عمل من الاعمال العظيمة في تاريخ العالم هو عمل حالم — حالم عملي .

وهذه الولايات المتحدة . التي تفاخر العالم بحضارتها وعمرانها انما بنيت على حلم صبي صغير . فقد كتب جورج واشنطون . وهو في الثانية عشرة من عمره . الى أحد اصدقائه قال : « سأتزوج امرأة جميلة . وسأكون من أغنى أهل البلاد . وسأقود جيوش بلادي . وسأحكم الامة التي سأوجدها بقوتي . »

افهل هنالك من يشك في أن هذا الحلم ساعد على انماء طموح

الولد الصغير . الذي وجد حلمه أرضاً جيدة في قلبه . فنما شيئاً فشيئاً حتى بلغ رشده . وصار حقيقة ملازمة لحياة الشاب جورج واشنطون. ولم يفارقه قيد شعرة حتى حمله الى ميادين القتال . وعضده في جميع ما صادف من الاهوال فصار بحق كامل « الاب الصالح لبلاده » ؟

وهكذا قل عن جميع عجائب المدنية التي نتمتع بها اليوم . فقد بنيت بأسرها على حلم مثل هذا الصبي . فهنالك كولومبوس . مكتشف اميركا . فانه حلم حلماً . إنه رأى عالماً جديداً واسعاً — وظل حلمه ينمو في حياته حتى تحقق في العالم الجديد .

بناية ولورث في نيويورك . هي أعظم ناطحات السحاب في العالم الجديد . وما هي عند التحقيق سوى نتيجة حلم حقير . رآه فرنك ولورث أحد ابناء الفلاحين الفقراء . فعمد الى السعي والجهاد في سبيل تحقيقه . محتملا مالا يوصف من الشدة والضيق . حتى فاز بنقل القصر . الذي بناه في الجو . الى أعظم مدينة على الارض

وعند ما شرع في فتح « محلات الخمس والعشر نحاسات » في اميركا . قال له أحد اصدقائه المخلصين الذين لا يؤمنون بالاحلام . يا صديقي العزيز ولورث . ارجو من كرم اخلاقك . متى فرغت من احلامك الهوائية . التي لن تجد لها تحقيقاً . ان ترجع الي . فأقدم لك عملا تنال منه ١٢ ريالا في الاسبوع بصورة دائمة ؟ »

ولكن ولورث لم يقف قط في عمله . على رغم الفشل العظيم الذي صادفه في بداءة الجهاد . فقد ظل متمسكا بحلمه حتى صار

حقيقة . فجمع بسببه ثروة طائلة . وساعد الوف الالوف من الناس. بواسطة طريقته الجديدة التي اوجدها في عالم التجارة

فلا تأذن لاحد من الناس . مهما كان عظيما . ان يثبط همتك . ويقتل عزيمتك . مدعياً ان ما تقوم به من العمل الجديد حلم بعيد التحقيق . فان العمليين من الناس . الذين لا يرون غير المادة في الوجود يستحيل ان يبصروا ما انت تبصره . ولا يستطيعون البتة ان يشعروا بالعاطفة القوية . التي تربط قلبك بما تتوق اليه من الاعمال . بل انت نفسك . كثيراً ما يعميك استسلامك لما يقوله الناس عنك فتعرض عن القيام بالعمل الوحيد . الذي اوجدتك العزة الالهية لاجله في هذا العالم .

أعظم ما في العالم

لو طلب الي ان اعبر عما هو في عقيدتي اثمن الاشياء وانفعها لابناء الانسان في هذا العالم لما وجدت افضل من

« المحبة »

فهي بالحقيقة « اعظم ما في العالم » هي القوة الوحيدة . التي ترفع حياة الانسان الى ذروة المجد والجمال . لان العالم بدون المحبة صحراء جرداء قاحلة . ولكنه بالمحبة يورق كالوردة العطرة .

ان العامل الاول . الذي يجعل فصل عيد الميلاد . اجمل فصول السنة . وابهجها . واحلاها . هو ان كل ما في هذا الفصل يسير نتيجة لازمة لعاطفة المحبة . فان العالم الذي يحتفل بعيد ميلاد المسيح تحركه روح المحبة . التي حملها المسيح الى العالم الوثني القديم . وفي الاسابيع القليلة . التي يتألف منها هذا الفصل . نرى روح يسوع في كل عمل وفي كل قول . ولذلك يشمل الناس فرح عظيم . في جميع اقوالهم واعمالهم . ولو ان هذه الروح . التي تزور الانسان مرة في السنة . تلازمه كل الايام . لكانت هذه الارض تتحول الى جنة جديدة . ولكانت الامم والشعوب . المستعدة ابداً للاخذ بعضها بخناق بعضها . تعمل معاً لما فيه الخير والنجاح . والسعادة للجميع .

ان العالم مركب بطريقة عجيبة . ولذلك نرى ان ما فيه من الانانية يقضي بنفسه على نفسه . فالجمال والعطر لا يوجدان فى الزهرة المطبوقة . لان الزهرة . لا يقبل الناس عليها ولا يعرفون بوجودها . حتى تفتح قلبها للنور . وتقدم ذاتها ليتمتع الناس بجمالها .

فاذا رفضت ان تفتح كيسك . تعذر عليك بعدئذ ان تفتح قلبك وعواطفك . وإذا رفضت ان تحب الان . تعذر عليك ان تعرف اللذة الكائنة في المحبة فيما بعد . لان عواطفك تذبل . وينبوع حنانك وعطفك ينضب . اذا حبسته ووضعت الحجارة

الصلدة في فمه ، وأسس قلبك تتزعزع ، وسمو طبيعتك يهبط حتى يساوي الحيوان الأناني . ولكنك حالما تفتح أبواب قلبك على مصاريعها ، وتأذن لوردة حنانك ، ومحبتك ، باطلاق أريجها الشذي ، من غير تمييز بين صغير وكبير ، أو غني وفقير — حينئذ تشعر بالقوة الانسانية ، الكائنة في أعماق قلبك ، والتي بواسطتها تتميز عن الحيوان .

اننا لا نستطيع بغير أعمال المحبة ، المحبة العامة لكل من نعاشره في هذه الحياة ، أن نربح ذلك الذي هو جوهر الله نفسه : ونحن نعني به المحبة الكاملة التي يتشوق اليها الجميع بالسوية .

نحن لا نخسر بارة واحدة اذا نثرنا زهورنا على جانبي الطريق التي نسير عليها ، ولن نطرقها فيما بعد . ومهما كانت ثروتنا محدودة ، فنحن نقدر أن نعطي ابتسامة ، أو كلمة تنشيط ، وتعزية ، للذين يعملون على راحتنا ، ويساعدوننا في أعمالنا اليومية — من الباعة ، والخدام ، وسائقي القطرات ، والكتبة ، والحمالين وجميع طبقات العمال . ان الابتسامة ، أو كلمة التعزية ، أو عبارة التشجيع ، قد لا يكون لها أقل أهمية في نظرنا ، ولكنها كثيراً ما تكون بالغة القيمة لبعض المكتئبين في عزلتهم ، أو الذين خسروا شجاعتهم ، وغرقوا في أوحال اليأس ، فباتوا في أشد الحاجة الى من ينهضهم . وهذه المساعدة القليلة ، التي نقدمها للمحتاجين ، ترد لنا بألف طريقة ، ان لم يكن عاجلا فآجلا . « لأننا في العطاء ،

وليس في الأخذ ، نجد ضالتنا المنشودة . »

المحبة وحدها تستطيع أن تستأصل الشرور السائدة في العالم اليوم . وليس من قوة كالمحبة تقود الناس للقضاء على خصوماتهم ، وهدم الحواجز التي تفرّقهم بعضهم عن بعض ، وتزرع بذور البغض ، والتعصب ، وسوء التفاهم ، من قلوبهم للتعاضد والتكاتف على ما فيه رفعة الجميع وسعادتهم .

قد عمل العلم والاختراع على تقريب الابعاد ، وتذليل العقبات ، التي كانت تفصل بين الناس وتحول دون تعارفهم بعضهم الى بعض . والمحبة وحدها ستقضي على جميع المشاكل الروحية القائمة بين الناس ، وتساعد كل أمة ، وكل فرد ، ليدرك ان نجاحه ، وسعادته بكاملها ، يتوقفان على مقدار محافظته على القاعدة : —

« كما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضاً بهم . »

الحاجة الى الوعظ

الشعب في حاجة الى الوعظ .

وكل من يعتقد خلاف ذلك فهو في ضلال مبين .

الشعب يعرض عن الكنائس ، لأنه يحب الوعظ المفيد ، ولا يجده فيها .

فالرجال والنساء اليوم ، كما كانوا منذ وجدوا على الأرض

الناهضة من تحت أثقال الحيوانية والهمجية ، وكما سيظلون الى آخر الدهور ، يهمهم جداً الاطلاع على أسرار الموت ، ومعنى الحياة ، وحقيقة الضمير ، والكآبة ، والسلام والله ، والخلود ، اكثر مما يهمهم تحصيل المال ، ولعب الطابة ، وسرد القصص والملح والفكاهات . وهم ، وان خيّل الى القصار النظر انهم قلما يعبأون بهذه المواضيع ، شديدو التعلق بها والرغبة في ادراكها . لأن ابن المدنية الحديثة يستر رغباته الخفية ، واهتماماته الداخلية ، بستائر سطحية زائلة .

الناس يعشقون كل من يعلمهم كيف يعيشون بأمانة ، وشجاعة ، وسعادة ، وصلاح ومحبة .

فكل من يتكلم ، أو يكتب ، في هذه المواضيع ببساطة ، وبطريقة انسانية عملية ، وباخلاص صحيح بعيد عن التعصب والأنانية الدنيئة ، يقبل الناس عليه ، ويتزاحمون على سماعه ، وقراءة بنات أفكاره : على شرط ألا يكون منخرطاً في عضوية طائفة ، أو حزب يقضي على جميع آرائه وأفكاره ، ويقيم بينه وبين الناس عقبات صعبة قلما يجتازها أحد سالماً .

ان العالم يحتاج الى الكثير من كتب الآداب العامة البسيطة المكتوبة لجميع الناس . لأن المنفعة المادية ، التي اكثر منها العالم اليوم للكتاب والمنشئين ، قد حملت الاكثرية الساحقة من ذوي الأقلام على تضحية الصالح العام في سبيل الصالح الخاص . ولذلك

نرى ان اكثر الكتابات الحديثة تافهة لا قيمة لها في شرع الأدب الخالد .

فجرد نفسك عما تناله كتابتك من الأجرة أيها الأديب ، واكتب ما يختلج به فكرك ، بلغة بسيطة وعبارات سهلة ، وأنا الكفيل لك بأنك واجد أضعاف ما تلاقيه اليوم من الثمرات الأدبية والمادية .

نحن في عصر كثرت فيه الكتب والجرائد والمجلات . ولكن قد أصاب كتبنا ، لسوء الحظ ، نفس ما أصاب كنائسنا ومنابر الخطابة في نوادينا الأدبية . فالجميع مقيدون برغبات زعماء يعدون على الأصابع ، يكتبون ، ويخطبون ، لارضاء مباديء معينة ، ونظم محدودة ، يعمل بعضها ضد بعض ، ويحاربه جهده ، للقضاء على جميع أعماله وأفكاره . ولذلك لم يبق في الأدب الحديث من أثر للعبقرية الخالدة ، التي تحلى بها الأدب القديم : لأن الجديد ينشد المال ، أما القديم فلم ينشد سوى ذاته .

في العالم اليوم مجال واسع للمنشئين الموهوبين ، فليكتبوا في الحياة ، وفلسفتها ، وقداستها . وفيه من جماهير الناس التي لا يحصى عديدها ، المتشوقة لسماع كلمة الحق ، أضعاف ما كان فيه في قديم الزمان . ولكنهم يحبون ان يسمعوا البشارة بالانجيل مجردة عن زخارف الاجيال المظلمة وبهرجتها الظاهرة : يحبون أن يروا الحقيقة عارية عن كل ما نسجه لها الناس من الاثواب البرّاقة الثمينة .

طالما سمعت الناس يصرخون بأعلى الصوت قائلين : « بربكم أيها الخطباء والوعاظ الاتقياء هاتوا لنا طريقة نبلغ بها الى السلام مع غير المعروف من دون أن تحمّقوا عقولنا وأفهامنا ! بربكم علمونا كيف نتمتع بطيبات المحبة ونهرب من شوكة الشهوة! بربكم اظهروا لنا كيف نكون اتقياء ولا نكون متعصبين — كيف نحصل على القناعة ولا نخسر الطموح — كيف نتخلق بالصبر ولا نكون سجناء الكد والعناء — كيف نكون أتقياء محبوبين ولا نكون مرائين متضعين — كيف نكون عظماء ولا نكون ذوي صلف وكبرياء — كيف نستقبل الموت بالفرح والرضى وليس باليأس والضلال .

ان اكثرية العالم اليوم هي أفضل واكمل من جميع الذين عاشوا على ممر الاجيال الماضية ولذلك فهي تطلب ما هو أفضل واكمل مما طلبه الآباء والجدود .

ان براكين الآداب تتفجر في العالم عاماً فعاماً ، والزعماء لاهون معرضون عنها بتعصباتهم ومطامعهم الأشعبية .

فولّوا أجيال الظلمة ظهوركم أيها الوعاظ الحكماء ، وهاتوا لنا بأبسط ما تستطيعون من العبارات ، دروساً تلامس قلوبنا ، وتغذي نفوسنا ، ونحن في مقدمة السامعين والمتعلمين .

ماذا أخذنا لقاء أموالنا ؟

جلست في منتدى المدينة في أحد الأيام فجاءني زعيم من القائلين بالضريبة الفردية ، وجلس الى جانبي . أنا أحب القائلين بالضريبة الفردية . فهم يضاهون اتباع « العلم المسيحي » Christian Seience ، والاشتراكيين المتحمسين لشدة ايمانهم بما يفوق الاعمال من الآراء والنظريات الخيالية . وفي هذه الأيام المادية ، التي لا يصدق فيها الناس الا بما يقع تحت سلطان الحواس ، كثيراً ما يجد الانسان لذة بالغة بالاجتماع بمثل هؤلاء المؤمنين بما يفوق الحواس ! انني أحب التفكير والسؤال عن كل شيء . ويسرني أن أرى بين الآونة والأخرى من أيامي المعدودة ، رجلا له ثقة تامة بما هو في عقيدته أمر مقرر اكيد .

جلس صديقي الى جانبي واخذ يحدثني بموضوع هام ، انقله لقرائي الاعزاء الذين هم اكثر مني الماماً بعلم الاقتصاد ، رجاء ان يكون لهم منه فائدة اوفر مما كان لي .

بدأ صديقي سواله هكذا : « قد دفعنا نحن الاميركيين خمسة وعشرين مليون ريال ثمن جزائر الهند الغربية التي اشتريناها من الدنيمرك ، فماذا اخذنا لقاء اموالنا ؟

فاجبته ، « قد اخذنا الجزائر الموما اليها على ما اظن . »

فقال ، « والى من يرجع الضمير في قولك (اخذنا) »

فقلت ، « لسكان الولايات المتحدة بدون شك . »

فقال ، « كلا والف كلا! فان هذه الجزائر تخص بضعة اشخاص من اصحاب الملايين . وقد كانت الجزائر ملكهم الخاص قبل ان اشترتها الحكومة بمال الامة من الدنيمرك وهم يملكونها اليوم بعد ان اصبحت اميركية . ولا فرق بين الحالتين سوى ان العلَم الذي يخفق فوق ربوعها الان قد تغيرت خطوطه والوانه . »

فقلت له ، وفي هذا منفعة لنا .

فقال ، « رويدك ياصديقي ان جزيرة واحدة من هذه الجزائر ، واسمها « سان كرواه » تبلغ مساحتها مساحة جزيرة منهاتن في نيويورك ، ويملكها باسرها ثلاثة اشخاص. وفي هذه الجزيرة خمسة وعشرون الف نسمة يعملون بزراعة قصب السكر وهم يشتغلون بعناء شديد لكي يحصلوا على ما يقوم بأودهم ويقدموا نتيجة اعراقهم واتعابهم لاسياد الجزيرة الثلاثة ، كما ان العائشين على جزيرة منهاتن نيويورك يجب ان يقدموا القسم الاكبر من نتيجة اتعابهم لعائلة « استور » ولبضع عائلات غيرها لقاء السماح لهم بالمعيشة في املاكهم .

« وبما ان الولايات المتحدة قد دفعت ٢٥ مليون ريال لكي تحكم هذه الجزائر لذلك وجب عليها والحالة هذه ان تفعل احد أمرين : فاما ان تساعد الخمسة والعشرين الف نسمة من ابناء الانسانية ، الذين يعيشون في جزيرة سان كرواه ليأخذوا قيمة الاجور

التي تترتب على السكنى في جزيرتهم ، لاستخدامه في المصلحة العمومية ، وتساعد الذين يعيشون في الجزائر الاخرى ليقوموا بنفس العمل ، او انها يجب ان تأخذ هذه الاجرة بعينها من اصحاب الاملاك وتنفقها لمنفعة العمال الذين يحيون تلك الارض باتعابهم . هذه طريقة واحدة للحصول على الاموال التي انفقناها على هذه الجزائر . فاذا لم نأخذ اجرة هذه الارض من اصحابها وننفقها في المصالح العمومية فانه لمن الظلم الفاضح ان نقبض بارة واحدة من العمال المساكين الذين ينتجون الأثمار ليأكلها سواهم من الكسالى والخاملين »

وعند ما فرغ صديقي من حديثه نهض وانصرف بعد التحية الى عمله . اما انا فسرت في الحال الى استاذ الاقتصاد السياسي في الجامعة الكبرى في هذه المدينة واخبرته بكل ما حدثني به صديقي العزيز . واذ سمع الاستاذ كلامي — وكان من خصوم القائلين بالضريبة الفردية — اجاب على الفور قائلا :

« ان هذا جنون مطبق !

وقد سرني جداً ان اسمع مثل هذا الجواب المفحم الذي ينقض كل براهين اصحاب الضريبة الفردية ، لانني عرفت انه لا بد من جواب يهدم جميع البينات التي جاء بها صديقي ، ولكنني لم يكن لي من الفطنة ما كان لحضرة الاستاذ المعظم ولذلك لم اهتد الى الجواب ! !

الخطر الأبكم

العمل الابكم خطر على ذاته وعلى البيئة التي يعيش فيها صاحبه. وهو ممتلىء بالاخطار لانه أبكم، اكثر مما لأي سبب آخر. لانه حيثما تكون قوة فيجب ان تظهر الى الوجود بطريقة ما. وافضل ما تظهر به قوة الانسان كائن في الاداب والفنون الجميلة.

ولذلك كانت الاداب والفنون في مقدمة العوامل على المدنية. فهي تفسح المجال لظهور الشخصية البشرية بأسنى مظاهرها وتعمل على قيادة القوة الانسانية في مراقي العمران والجمال.

فاذا لم تلبس قوة الانسان ثوباً من الفن الفتان كانت هادمة المجتمع الذي تعيش فيه وعاراً ووبالا على صاحبها.

يلجأ الشرير في الغالب الى الاقسام المغلظة لانه لا يقدر ان يعبر عن عواطفه بطريقة جميلة. ولو عرف فن الكلام كما ينبغي ويليق به لما كان يلجأ الى الايمان.

ان ما يعبر عنه الانسان بكلمة واحدة يعبر عنه الحيوان الابكم بالعض والنباح والرفس والتمزيق.

كل قوة بكماء هي هادمة خطرة.

خذ مثلا على هذا اية شركة كبيرة من الشركات التي تخدم مصالح الناس وتتوقف عليها حياة الالوف وعشرات الالوف. فهي تسير في معارج الفلاح أعواماً عديدة حتى اذا عرضت لها قضية مع

الحكومة أو وقعت في مشكلة ووجدت ذاتها في حاجة الى مساعدة الرأي العام فهي تجد للحال أن الذين يقاومونها بين الناس أكثر من الذين يساعدونها . فيجتمع مدراؤها ورؤساء فروعها ويشرعون في تبيان عقوق الجمهور الذي لم يقدر خدماتهم حق قدرها ، ويفيضون في مذمة الحسد والبغض وغير ذلك من تذمرات الجماهير عليهم لمجرد أنهم ربحوا أموالا طائلة لم يربحها الناقمون عليهم من تلامذة الاشتراكية

ولكن كان الاجدر بهؤلاء المدراء والرؤساء ، قبل أن يفرغوا جعبة غضبهم ، أن يفكروا هنيهة في السبب الرئيسي لكل ما يصادفونه من اعراض الجمهور عن مساعدتهم ومناصرتهم ، وهم ولا شك واجدون أن الصعوبة التي تكتنفهم ناشئة عن صمتهم وعدم اذاعة تفاصيل أعمالهم . لأن نشر الاعلانات المنظمة الصادقة بصورة متواصلة يستطيع وحده أن يحول كل هذا العداء الى صداقة وولاء .

أجل ياصاح ، فانك لا تستطيع أن تربح صداقتي ما لم تخاطبني بصراحة وبساطة .

فالطبيعة البشرية ثابتة لا تتغير شرائعها . واذا وجد امرؤ في قرية صغيرة ولم يحدث أحداً من أبنائها فان الظنون والشبهات تحوم حوله في الحال فيتهم بكل جريمة . والشركة الكبيرة التي تكره الاعلانات عن أعمالها تشبه في دائرتها الواسعة هذا الرجل في القرية الصغيرة . فهي كثيراً ما تنجح بدون الاعلانات ، ولكنها لا تلبث

أن تصل الى النقطة التي تجد نفسها فيها بعيدة عن عطف الجمهور ومحبته كلما ازداد الانسان ، أو جماعة الناس ، قوة ازدادت حاجتهم الى الاعلان لاجل المحافظة على كيانهم من الفناء .

المعرفة

المعرفة قوة — في بعض المرات . المعرفة قوة على شرط أن تكون معرفة عاملة . لأن جمع الحقائق والمعلومات المختلفة يمكن أن يجعل الانسان عالماً ، ولكن اذا لم يستخدم الانسان هذه الحقائق والمعارف في الاعمال التي يقوم بها فانها لاتستطيع ان تزيد قوته .

أنت قادر متى شئت أن تتعلم جميع الحقائق التاريخية عن ملوك الانكليز ، ولكن هذه الدروس لا تزيد قيراطاً واحداً في متاجرك واجراءآتك . ومع انها تسهل عليك الحياة مع ذاتك فهي قاصرة عن أن تضيف قوة الى قوتك .

وضع أحد الادباء رواية سرد فيها قصة عن مركب حافل بالادباء والشعراء والفلاسفة يطوف حول جزيرة جرداء لايقطنها أحد من الناس . وكان بين الادباء خادم يقدم لهم المدام ويعمل في خدمتهم ولم يكن بينهم من يستطيع أن يحصل على القوت الضروري من صيد الاسماك والحيوانات البحرية غير هذا الخادم الحقير . فان القليل من المعرفة التي حواها رأسه قد وجد سبيلا للظهور بالعمل

النافع فكان قوة لصاحبه ، في حين أن معارف الادباء والشعراء والفلاسفة لم تكن لتفيدهم شيئاً الا عندما كانوا يجلسون ويتجاذبون أطراف الحديث . ولكن المعدة لا يكفيها الشعر ولا تشبعها الفلسفة

كثيراً مايخطيء الذين يكتبون ويخطبون في فشل العلم والتهذيب لانهم يعتقدون أن المعرفة غاية واحدة وهي القوة .

ولكن المعرفة الحقيقية تقسم الى ثلاثة أنواع : فهنالك المعرفة التي تعمل على القوة ، والمعرفة التي تعمل على التهذيب ، والمعرفة التي تقود الى الحكمة .

المعرفة كالطعام الذي نتناوله لقيام حياتنا .

فالجزء الواحد من هذا الطعام يتحول الى لحم .

والجزء الثاني يتحول الى دم .

والجزء الثالث يعمل على بنيان العظام .

وهكذا قل عن المعرفة .

فالجزء الأول منها يولّد القوة . وكم هنالك من الذين يبلغون أعلى ذرى النجاح في أعمالهم من غير أن يتخرجوا من الجامعات والكليات الكبرى ، لأن القليل من المعرفة الذي جمعوه عامل ونافع في الاعمال التي يقومون بها .

والجزء الثاني من المعرفة يعمل على التهذيب . فهو يوسع مدارك الانسان ، ويزيد اهتمامه بالحياة واسرارها ، ولذلك يجعل حياته بهجة لكل من يدنوا منه أو يجلس في مجلسه .

والجزء الثالث من المعرفة يمنح الحكمة لصاحبه . لانه يعلمه الفهم والتأني ويساعده على كبح الجامح من رغباته واهوائه . لأن الانسان يستطيع أن يكون قويا كالاسكندر ، أو متهذبا نظير « اوسكار وايلد » ولكنه في الوقت نفسه لا يعرف معنى الحكمة

قال الأديب وليم دورنت مؤلف « تاريخ الفلسفة » الذي طبع منذ عامين وملأت شهرته الخافقين :

« المعرفة قوة ، ولكن الحكمة وحدها هي الحرية . »

الحق الصراح

ليس الحق الصراح في حياة الانسان بما نعرفه من الحقائق عنه فقط ، بل هو في كل فكر أو قول أو شعور كائن في الانسان .

يقوم بين العام والعام مؤرخ جديد يجهد الفكر في جمع الحقائق المتعلقة بحياة أحد عظماء التاريخ ، فيغربلها ويقتلها بحثاً ، ثم ينتخب منها ما ينطبق على فكره ويتفق مع بحثه وتنقيبه ، فيصرخ بنا بأعلى الصوت قائلا : « هذا هو واشنطون الحقيقي أو كرليل الحقيقي أو نابليون الحقيقي ، الخ . »

ونحن نعارض أمثال هذا المؤرخ بكل قوانا . لأن الانسان يستحق ما يشيع عنه من الأخبار والروايات كما يستحق الأعمال والحقائق المنسوبة اليه . فان النور الضئيل الذي ينبعث من وراء

الغيوم ، بل والأشعة الفضية المنبثقة من نور القمر ، لا تقل عند التحقيق نوراً عن الأشعة العظيمة التي ترسلها الشمس الى الارض عند الظهيرة .

لكل انسان حقه الكامل بنوره الأعظم كما وبظليله الطفيف.

للممثل حقه بفنه ، كما له حقه بمبالغات الناس في أعماله .

وللأمة حقها بتقاليدها التافهة كما ان لها حقها بتاريخها الحقيقي.

لا تتوقف قيمة الأعمال العظيمة على ما لها من رأس المال فقط ، لأن لاسمها وحسن معاملتها نصيباً وافراً من نجاحها .

ما من شيء ينجح كالنجاح نفسه . ونجاح الانسان في عمل ما يبني له أساساً راسخاً يضع عليه صروح نجاحه في سائر أعماله . ولو لم تكن الحقيقة على هذا المنوال لما كان في حياة امريء على الأرض من قوة متجمعة للسير به الى الامام ، ولكان الانسان يجد نفسه مضطراً أن يبدأ كل يوم بعمل جديد : وفي هذا تثبيط الهمم والحؤول دون النجاح . لأن الأعمال يجب أن تكون درجات متواصلة لا تقوم الواحدة منها بدون رفيقتها .

لو كان « مرك تواين » حياً اليوم لما كان يسعى الى المجون في كتاباته . لأننا بما عرفناه عنه نضحك لكل كلمة تخرج من فيه ولو لم يكن فيها شيء يدعو الى الضحك .

ان شخصية الانسان لا يمكن أن تقيد بحدود لحمه وعظامه ،

لأنها قوة كهربائية غير منظورة تتخلل دقائق الاثير بصورة غريبة عجيبة .

ان حقيقة « طومس أديسون » و « تجا . بي . مرغن » و « وليم برين » و « دبليو . دي . هولز » و « جنرال فنستن » انما تتألف من التأثير الفعال الذي احدثته جميع أعمالهم في اذهاننا اكثر مما تتألف من الحقائق التي يجمعها فرد من الناس عنهم .

ما من رجل « يصنع نفسه » كما يقولون في الانكليزية فان أصدقاءه ومعارفه يساعدون في بنيان شخصيته ومستقبله . واعداءه أيضاً يشتركون في هذا العمل وتشاركهم فيه القوة السماوية الفائقة الادراك التي تدير جميع الاعمال في الوجود .

لهذا نرى ان ذوي النفوس الكبيرة المجددة يؤلفون مدارس خاصة بهم ، ولا يستفيد من هذه المدارس الا الذي يلامس شخصية كل منهم ويأخذ منها ما هو في حاجة اليه . اما الاقتداء البسيط فهو لا ينفع في مثل هذه الظروف ، بل يجدر ، بالراغب في الاستفادة من العظيم ان يمزج روحه بروحه ويوجد من الروحين الممتزجتين معاً روحاً جديدة .لان العالم بعد ان يعيش فيه عظيم حقيقي يستحيل ان يظل على حالته الاولى

لذلك نرى ان « غوته » ينبوع خالد فياض يروي السهول الواسعة في أرض التاريخ . و « ليوناردو » و « رفائيل » و « جيورجون » لم يقتصر تأثيرهم على ما عملوه في حياتهم ، بل

التأثير الأول كان وما برح للروح الخالدة التي نفخوا وحيها العجيب في نفوس الناس . و « لينكن » الحقيقي حي اليوم عامل في بناء الأخلاق الاميركية اكثر مما كان في عام ١٨٦٠

أجل ، ان الشهرة لا تعرف القسمة والنصيب ، فان لها شرائعها المضبوطة كما لكل قضية من قضايا اقليدس قوانينها ونظاماتها . وليس في الوجود من معلول بدون علة . وهذا نفس ما عناه أحد فلاسفة فرنسا بقوله :

VRAIE VETITÉ

أو « الحق الصراح » وهو يعني بذلك جميع التأثيرات الحرة التي تنبثق من حياة العظماء وكثيراً ما تكون في صغيرات أعمالهم قبل أن نجدها في الحقائق الكبيرة .

الشركات الديموقراطية

التمدن وليد التنظيم والترتيب .

فهو يتقدم بالنسبة الى تقدم الناس في التعاضد والتكاتف في أعمالهم .

فالاعمال الكبيرة اليوم هي اكثر قوة بما لا حد له من الاعمال التي كان الناس يقومون بها منذ ستين سنة ، لان رجال العمل تعلموا

بمرور الايام، الفائدة الكبرى التي في التعاضد. والشركة عند التحقيق نتيجة لازمة لنمو الاعمال.

اننا بكل ما وصلت اليه مدنيتنا لم نبلغ بعد الى عتبة هيكل النجاح العظيم الكائن في حسن الادارة والتنظيم. فالمخازن العديدة التي تقدم المواد الغذائية للناس عن طريق المزاحمة التجارية تحدث من الخسارة لاصحابها وللمحيط الذي توجد فيه ما يزيد الف مرة عن الخسارة التي كانت تحدثها شركة كبيرة واحدة تقوم باعمالها.

ولو اتفق باعة الحليب في اية مدينة من مدن العالم المتمدن ان ينظموا اعمالهم على نفس الطريقة التي تسير عليها المدارس العمومية، عوضاً عن ان يضاربوا بعضهم ضد بعض ويعمل كل منهم على مزاحمة رفيقه ولو بخسارة الكثير من امواله، فان الناس يستطيعون في مثل هذه الحالة ان يتناولوا حليبهم أنقى وارخص مما يتناولونه اليوم.

هذه افكار تبدو لنا غريبة ويدعوها الكثيرون بيننا «احلام اشتراكية!» والاشتراكية في عقيدتنا عدو جبار يتهددنا ويريد ان يغصبنا اموالنا وحقوقنا!

على اننا سائرون شيئاً فشيئاً الى النظام الكامل في اعمالنا. ونحن لن نبلغ هذا النظام بالشريعة، لان الشريعة كما قال الاستاذ «بكيل» ذات تأثير سلبي في تقدم الناس — والشرائع تتبع التقدم ولا تتقدمه. ولكن التعاضد سيوصلنا الى ضالتنا، وهو اكثر

فائدة لنا وللانسانية قاطبة من التزاحم الممقوت .

خذ شركات الخطوط الحديدية والقطرات العظيمة فهي امثلة جميلة للتعاضد والتنظيم . انها بالحقيقة قوات نافذة في تقدم مدنيتنا وسلطات اتوقراطية كبيرة في وسط شعب ديموقراطي . ولكن السم القديم ما برح مختبئاً في دمنا ، وهو الذي يحملنا على الاعتقاد باننا لن نستطيع ان نقوم بعمل ما بغير قوة الفرد ، لان حكم الجماعة بعيد عن الائتلاف .

ومع ان حكومة الولايات المتحدة قد قضت على الفكرة القديمة القائلة بافضلية حكم الفرد على حكم الجماعة فان الناس لا يزالون متعلقين باذيال النظام الفردي الذي ورثوه عن القدماء في جميع اعمالهم التجارية .

ولذلك نرى ان الاعمال الكبيرة في اميركا — مع كل ما لها من القوة حليفة الخسارة والظلم . فهنالك الذين يتسلطون عليها وينالون من الاجور والارباح اضعاف اضعاف ما تستحق اعمالهم ، في حين ان العمال ، الذين باعراقهم تقوم ارباح مستأجريهم ، قلما ينالون اجوراً عادلة لقاء اتعابهم .

خذ شركة من شركات الفولاذ ، او غيرها من الشركات الفردية ، فانها تعمل اصحاب ملايين من مالكيها ولكنها قلما تحسن احوال العاملين فيها ، اما شركة انماء الاثمار في كليفرنيا فانها على العكس من ذلك لها ما لشركة « ستندرد أويل » من النظام الدقيق ولا يحصل

اصحابها ومديرو الاعمال فيها الا على اجور عادلة لقاء اعمالهم في حين ان الارباح الكثيرة التي تعملها الشركة توزع على جميع العاملين فيها ، كل بالنسبة الى عمله وتعب يديه . فهي شركة ديموقراطية حقيقية يصيب الكبير فيها من الربح نفس ما يصيب الصغير . اما الفرق بينها وبين الشركات الفردية فهو نفس الفرق الكائن بين حكومة الولايات المتحدة وحكومة روسيا الحمراء .

فاجعة الدم

تقوم الفاجعة الكبرى في الحياة بجهاد النفس ضد ما لا مهرب منه من حوادث القضاء . فالانسان ما برح من عهد المنشئين اليونانيين القدماء حتى الساعة يرسف بقيوده الحديدية التي تغل ارادته وتعمل على قهره وشقائه .

واقوى السلاسل التي تقيد ابناء الانسان هي سلاسل العادات والآداب ، والدين ، والتقليد ، والرأي العام ، والخرافات السائرة بين الجماهير .

مات سقراط محكوماً عليه من المتعصبين للآداب في زمانه ، فقد خيل لهم انه يفسد اخلاق الشعب ويسمم ضمائرهم .

وصُلب المسيح لان الفريسية كانت تسود على الناس في عهده ، ولذلك ظن المراؤون انه جاء ليستأصل شيعتهم من الارض .

وفي الاجيال المتوسطة كانت الفواجع منحصرة في جهاد النفوس

الحرة الأبية ضد الجهالة والعبودية . ولذلك قضت العقائد المقررة على حرية « سفونا رولا » و « برونو » .

وليست المواد التي تتألف منها الفواجع بغريبة عن هذا العصر الذي نعيش فيه . لان الاوهام ما برحت سائدة على اذهان الناس، وكل من يجرؤ على محاربة خرافة قديمة او عادة عقيمة هبت العامة عليه وسحقته باقدامها .

وشر انواع التعصب الذي لا يزال معتصماً بقوته في العالم هو التعصب الجنسي . ففي رأي الالوف منا أو بالحري في عقيدة اكثر ابناء الجنس الابيض ، ان الذي يولد عبداً يلبس العار واللعنة التي لا تمحى سحابة الحياة .

وان لنا في حياة المستر « وليم هنري لي » ، أحد صاحبي شركة الطباعة المعروفة باسم « لارد — لي » شاهداً لا ينقض على صحة ما نقول . فقد مات هذا الاديب الكبير في سنة ١٩١٣ بعد ان خلف ثروة بالغة . وقد لُفتت الانظار عند موته الى الطريقة الغريبة التي اتبعها في حياته . فلم يكن له صديق ولا نسيب معروف . وكان نجاحه في اعماله عظيما جداً . وكان في حياته الشخصية اليفاً للوحدة رفيقاً للعزلة عن جميع الناس .

وكان شديد الولع باتقان ملابسه والتأنق في مأكله ومشربه . وكان منزله في أجمل احياء المدينة وثيابه من أثمن ما يباع في اميركا

وكان ذكي الفؤاد ، ثاقب الفكر ، كبيراً باخلاقه نظيفاً في جميع عاداته .

قضى حياته مكباً على الدرس والتحصيل حتى بلغ أرقى منزلة في عالم الادب . ومن اقوال شريكه المستر «لارد» فيه ما يأتي : « لم اتعامل في حياتي مع رجل ابيض اشرف واصدق من المستر « لي » فقد كان حراً صادقاً في جميع اعماله . »

ولكن — ياللاسف ! فان دم العبيد كان يجري في عروقه ! بيد انه لم يكن اسود البشرة كسائر العبيد ، وفي هذا كانت كآبته الداخلية وفاجعته السرية التي فصلته عن الامتزاج بمريديه وعارفي فضله . لان الرجل الابيض يحمله التقليد الأبله على الهرب من معاشرة العبد ولو كان العبد افضل منه ومن اكثرية البيض المتكبرين المغرورين !

في حياة هذا المجاهد الانساني الكبير من الفاجعة اضعاف ما في اية رواية من انواع الدراما المحفوظة في بطون الاوراق . فقد ولد من ام سوداء قبل الحرب الاهلية الاميركية ، وانخرط في خدمة احد قواد الحكومة المركزية في اثناء الثورة ، ثم صار خادماً في مطعم صغير في مدينة سنت لويس ، وما لبث ان انتقل الى شيكاغو كبائع لمحل تجاري ، وظل في جهاده حتى صار شريكا للمستر «لارد» في أكبر شركة طباعة في اميركا ، ولفظ أنفاسه الاخيرة وهو يشتغل بوضع افضل واضبط قاموس للغة الانكليزية .

حياة تستحق الاعجاب والاحترام لانها ممتلئة بالعزم والشجاعة ! غير انها لم تنفع قط في خلاصه من الدائرة الحقيرة التي يربطه بها دمه . فقد نظر اليه العالم ابداً نظرته الى عبد أسود !

التدخين

في المدينة التي أعيش فيها رجل غريب الاطوار اجتمع به كلما سنحت لي الفرصة . وهو بالحقيقة ذرب اللسان ، تستلذ أن تصغي إلى أحاديثه ، وان خرجت في الغالب عن المعروف والمألوف . وقد رأيته في الامس فاوضح لي آراءه في التدخين ، وهي بالحقيقة عجيبة غريبة . وها أنا أقدمها لقرائي الاعزاء ليروا من خلال سطورها الشذوذ البالغ في اطوار هذا الرجل . قال :

« قد أضاف التبغ عدداً لايحصى من المنافع والملذات في الوجود ولكنه على زعم بعض الذين يدعون المعرفة قد عمل في بعض المرات على تقصير الحياة. فاذا صح زعمهم فقد جاء التبغ ببركة مزدوجة لانني لم أستطع حتى الساعة أن أفهم لماذا يحب الناس أن تكون حياتهم طويلة على الارض ؟ فان الرغبة في الحياة ، بعد أن تحل الشيخوخة ويبدأ الهرم ، هي في عقيدتي من شر العادات الرديئة . ولو فرض أن قدر لنا أن نعيش طويلا بعد انحطاط قوانا العقلية فان التدخين في مثل هذه الحالة هو خير تعزية لنا .

« واذا فارقتنا ملذات الجسد ، ولم يبق في طوقنا أن نأكل ونشرب ، ونرقص ونطرب ، فاي شيء يظل لنا في الحياة غير طمأنينة أرواحنا وتعزية قلوبنا ؟ وفي التدخين خير ملذات الفكر . فهو ليس باللذة الحيوانية ، وتأثيره لا يتناول الجسم بل ينحصر في الفكر ، فلا يزيد حرارة الجسد ، ولا يثير كوامن الاهواء ، ولا يحمل النفس على ما لا تحمد عقباه من الشرور والاضرار

« ما من رجل يأتي الى بيته عند المساء وهو يتعرج على الجانبين فيوسع امرأته ضرباً وتعنيفاً بتأثير الدخان ، لان روح أوراق التبغ عدوة للخصام ، فهي صانعة سلام لا تنمو الا بالوداعة ولذلك تستحق التطويب والتغبيط .

« ولماذا يسمون التدخين رذيلة ؟ فان تأثيره على الفكر هو جوهر الفضيلة . فهو يجعل الانسان هادئاً ، لطيفاً ، بعيداً عن الشر والقتال . وكل من يزيد المخاصمة يضع سيكارته أو غليونه جانباً قبل أن يبدأ عمله . وفي جميع انحاء العالم نرى الناس مجمعين على القول مع الشاعر :

« واذا شياطين الهموم تكاثرت
دخن عليها ساعة فتطير »

« ان للدخان قوة عجيبة في تهدئة الاعصاب الثائرة والحؤول دون الغضب الشديد . فكم من مرارة زالت بعد تدخين بضع دقائق ! وكم هنالك من الافكار الشريرة ، والحقد السام ، والعواطف

الجامحة التي لا يتصاعد دخان الغليون أو السيكارة حتى تسير معه مضمحلة كأنها لم تكن ! وكم من الجراح النفسية البالغة التي لم تضمدها سوى أوراق التبغ الطاهرة ! ومع كل ذلك نرى بعض المتطرفين في عداوة التدخين يثيرون حرباً شعواء على مثل هذا الصديق الحميم !

« يقولون أن الدخان مضر للاعصاب والمعدة والقلب . وقد يكون في قولهم هذا بعض الحق . فاذا وجده أحد على هذه الصورة فليقلع عن استعماله في الحالة

« في العالم كثيرون لا يستطيعون ان يأكلوا لحم الخنزير ولا المواد السكرية . ونحن نأسف جداً لانهم لا يستطيعون أن يأكلوا هذه المآكل اللذيذة . ولكن هل يجب اكراماً لسواد عيونهم أن نقتل كل خنازير الارض ونقطع كل النباتات التي يستخرج السكر منها ؟ يجب أن نعامل اخوتنا الضعفاء بلطف ورقة ولكن يجب في الوقت نفسه ألا ندعهم يتحكمون في البيت كله .

« ويقول اعداؤنا الاعزاء أن رائحة التبغ كريهة . وهي كريهة عندهم ولا شك . بيد أن أزكى عطور الارض لا تقابل عندي برائحة سيكارتي المحبوبة !

« فياصديقي العزيز — الدخان لمن يحبه بركة من السماء ، وهو لمن لا يحبه لعنة من الجحيم . لذلك فليسر كل منا في طريقه بسلام . ليدخل الذين يحبون التدخين الى غرف التدخين والذين

لا يحبونه يستطيعون أن يذهبوا حيث شاءوا من غير أن يعترضهم احد

« أجل ، أن الدخان في عقيدتي صديق الاحلام السلامية ، والتأملات الهادئة ، والسلامة الفكرية ، والغفران والفهم والتساهل . »

وبعد أن فرغ صديقي من حديثه نهضت من فوري وسرت الى صديقة لي هي رئيسة « جمعية تعزيز العادات الصالحة بين سيدات اميركا » ، وقصصت عليها كل ما حدثني به . وما كدت انتهي من سرد الحديث الذي سمعته ، حتى ارتجفت بكلية اعصابها وصرخت باعلى صوتها قائلة :

« انه حيوان ! انه حيوان ! »

فاجبتها للحال ، « ولكن سهي عن بالك ايتها الانسة ان الحيوان لا يدخن . »

فتنهدت مرتعشة ونظرت الي نظرة المنغلب أمام الغالب ، وهكذا انتهت محادثتنا وسار كل منا في سبيله .

المقدرة على النسيان

أصغوا أيها الناس !

فالساعة على وشك أن تدق ، والوقت نحو منتصف ليل الحادي والثلاثين من كانون الاول . السنة تحتضر وانفاسها تتقطع

شيئاً فشيئاً ، وبعد بضع دقائق تموت وتنصرف الى عالم النسيان حينئذ نضعها بين الاشياء الميتة ، الصالحة والطالحة التي عاشت معنا

ما اكثر ما يجب أن نواريه الثرى في هذا العالم ! فكم هنالك مما يجب أن نودعه القبر فرحين لفراقه ، وفي مقدمته : غرورنا ، واغلاطنا ، وجبانتنا ، ودناءتنا ، وطمعنا ، واهواؤنا الجامحة ، وانانيتنا القذرة ، وفشلنا ويأسنا ، فالشكر للعزة الالهية التي أوجدت الماضي — الماضي العظيم الاتساع ، الرحب الزوايا والفسيح الارجاء لنضع فيه كل هذه الزوائد التافهة في حياتنا .

فاشكروا ربكم أيها الناس على ما اعطاكم من القوة العجيبة على النسيان . ما اجمل كلمة انسى بكل حالاتها وتصاريفها ! بربك قف هنيهة يا صاح ، والساعة تنظف حلقها لتنطق بالعدد ١٢ ، وهلم نصرف الفعل « أنسى »

قل معي — أنا أنسى أنت ستنسَ ، هو نسي ، هي يمكن أو تقدر أو تريد أو يجب أن تنسى ، نحن يمكن او يجب ان ننسى ، أنت تقدر أن تنسى ، هم ، أنت ، أنا ، نحن ، كل انسان — فلننس (بصيغة الامر) الان وفي هذه اللحظة الوف الاشياء الصغيرة في حياتنا ومئات الامور الكبيرة التي عملت على شقائنا وخراب بيوتنا وجراح قلوبنا في السنة المنصرمة كما تعمل الدودة في قلب الزهرة .

انسَ ايها الصبي الصغير أن أباك خاطبك بحدة وطردك من امامه ، ففي الامس ركضت اليه ففتح لك ذراعيه ولم يشبع من

قبلاتك الطيبة . انني أنظر اليك الان نائماً في فراشك ويدك الصغيرة على وجنتك الحمراء فاقف متحيراً من صغارتي وفقري الى العظمة الحقيقية .

وانت ايتها الزوجة الصالحة ، اذا كانت قدصدرت منك عاطفة أو نظرة أو كلمة أو فكر من المحبة نحو رفيق حياتك ولم يقابله بما ينبغي ويليق به ، فانسي كل ذلك ولا تذكريه ! انسي ، ولا تسامحي فقط ! لانك اذا سامحت فقط فان اثر انفعالك لا يزول بل يظل في مكانه من قلبك . ولذلك التمس منك ان تنسي وتنزعي جذور القضية من ذاكرتك كانما لم يحدث شيء من هذا القبيل في حياتك قط !

من الناس فريق يقولون انهم يقدرون أن يسامحوا ولكنهم لا يقدرون أن ينسوا . مثل هؤلاء أولى الناس بالشفقة ! فانني اريد اعمق من حفرة المسامحة — اريد بئراً عميقة من النسيان اطرح في اعماقها جميع ما احدثته الهموم في حياتي

كلما عظمت النفس ازدادت مقدرتها على النسيان . وحبذا لو يكون في فكري متسع للنسيان واسع كالبحر الكبير عميق كالهاوية . ويكون لي من القوة ، على نسيان الاساءة نفس ما في العاصفة من القوة ، والنار من الطهارة .

وقبل ساعة الفراق فلتكن صلاتي صلاة « وردسورث »

« ايتها الرحمة الازلية ! ان هذا الشاعر ، اذ يقاد إلى ابواب

السماء ، تغفر له جميع خطاياه ، لان التحسر المذيب ، وكآبة القلب الصماء ، وجميع التذكارات المريرة ، التي حضرتها الارض على ذاكرته ، قد محاها الى الابد .

ها قد دقت الساعة ، وانقضى العام القديم . واقبل الجديد . فهلموا نشعل النار في قصور الماضي المتعالية ونحرقها كما يحرق الفلاح الاشواك النابتة في حقوله قبل أن يحرثها ويعدها للبذار الجديد هلموا نحرقها جميعاً ونعد ذواتنا لزراعة الربيع السعيد

الهضم الروحي

للنفس معدتها وعملها الهضمي كما ان للجسد معدته وهضمه المادي . وكما ان نوع الطعام الذي تتناوله لا يهمك طالما أن معدتك تهضمه ، كذلك لا فرق بين الحوادث التي تمر بها في حياتك طالما انك تحولها في معدة عقلك الى افكار نافعة نافذة التأثير في حياتك.

اعرف فتى أناخ عليه الدهر بكلكله فخطفت يد المنون احباءه، وسرق لصوص المضاربة امواله ، وأصيب أخيراً بشلل افقده قوته وتركه كسيحا يائسا . فهو لا يستطيع اليوم ان يتحرك من بيته بل يجلس سحابة أيامه أمام نافذة غرفته يراقب الحياة المتحركة في شوارع المدينة . وفي عقيدتي أنه اذا كان لاحد حق ان يصغي لطلب امرأة ايوب (فيجدف على الرب ويموت) فان هذا الشاب احق بالتجديف من الناس اجمعين

ولكن النور يشع من عينيه والابتسامة لا تفارق ثغره وشفتيه . وجميع الشبان الذين يعرفونه يحبون زيارته في غرفته الحقيرة ليتمتعوا بطيّب أحاديثه . وهو بالحقيقة ينبوع حي دائم الفيضان لكل نفس عطشى تحمل جرتها اليه . وأفضل ما تستلذه في معاشرته أن تراه وهو « يلعب بالورق » فان انتباهه دقيق في لعب أوراقه حتى لا تفوته لعبة أبداً : في حين ان غيره يجلس الى جانبه ليحرك الأوراق على وفق مشيئته .

ان نفس هذا الفتى تقتبل أشواك الأيام وحسك الحياة فتهضمها بقوة عجيبة وتحولها الى بهجة بالغة وسعادة كاملة .

بيد ان في العالم نفوساً كثيرة تتمتع بكل ما في الحياة من الجمال واللذة والغبطة ولكنها لا تستثمر منها غير المرارة والاوجاع.

ان هذه المعد الروحية الضعيفة التي لا تستطيع هضم ما يوضع فيها كثيرة جداً لسوء الحظ . وما من شيء استطاع أن يثير غضب الفريسيين المرائين كما فعلت بساطة الناصري ووداعته .

كثيرون هم الرجال الذين يزدادون دناءة وشراسة وطمعاً كلما ازدادت أزواجهم رقة ووداعة ولطفاً .

كثيرون هم الأولاد الذين لا يزيدهم تساهل آبائهم الا تمرداً ونشوزاً .

كثيرة هي النفوس السقيمة التي تنظر الى أشعة الشمس نظرتها الى عدو قتال ، والى مياه الأمطار نظرتها الى ظالم قهار ،

والصلاح في عقيدتها رياء ، والشجاعة ادعاء ، وكل ما يقدمه لها الفكر تحوله الى سم مميت .

جميع هؤلاء أشقياء بهضمهم الروحي يستحقون الشفقة الكاملة . فهم أوتار محلولة في رباب الحياة الجميلة ولذلك لا يخرجون نغماً تستلذه الآذان .

هؤلاء هم أعداء نفوسهم وحافرو قبورهم بأيديهم : والويل لمن يطريهم ويشجعهم في أوهامهم لأنه يقودهم الى الهاوية !

الجحيم وطنهم ، لأن شر أنواع الجحيم كائن في عسر الهضم الروحي .

هؤلاء هم أصدقاء الانتحار . وليس في الحياة أشقى ممن لا يرى في الوجود شيئاً يجعل الحياة مستحبة ، ولذلك يعمد الى الانتحار !

وقد كانت الأديبة الكبيرة والشاعرة الانكليزية النابغة الآنسة « آمي لفي » Amy Levy واحدة من هؤلاء البؤساء ، وما أجمل ما قاله فيها أحد الشعراء الانكليز :

« فتاة تلتقط ، بيدها اللطيفة اليائسة ، درّة الحياة من أعماق بحر عمرها فتحطمها — وهي عطية الله ! ذلك سر يصعب فهمه !

« الحياة ثمينة أيها الناس ! وساعات العمر ، حتى في نظر الشيوخ البالين ، أعز على الانسان من نقود البخيل الطماع . ولكن هذه الفتاة ترمي بيديها ذهب سعادة الشباب وتختار ظلمة القبر ! »

أفكار

ما هو مقدار اللذة التي تنالها من افكارك ؟

هل تحب افكارك أم تبغضها ؟

هل عودت نفسك الهرب من افكارك وتجنب القيام بما تفرضه عليك من الواجبات المقدسة ؟

واذا جلست أمام ينابيع فكرك الداخلية فهل يلذ لك التأمل فيها أو تقتلك رؤيتها ويصم اذنيك خرير مياهها ؟

قد تعلمت كيف تقوي ذاكرتك ، وكيف تهذب عقلك ، وتستثمر خيالك وتصورك ، وتعلمت غير ذلك الكثير من العلوم . ولكن هل خطر لك في ما مضى من عمرك ان تسأل نفسك كيف تتمتع بما في فكرك من كنوز اللذات التي لا تفرغ ؟

ان عالم الفكر بالغ الاتساع . وما الامبراطورية البريطانية ، التي لا تغرب الشمس عن املاكها سوى نقطة صغيرة بالنسبة اليه فان افكارك لا تقتصر سيادتها على هذه الارض فقط بل تتناول الوجود بكل ما فيه من الكائنات العجيبة : فهي تسير في اوربا وتتخطر في مجاهل افريقيا وتنتقل من بابل القديمة الى عالم الاحلام المقبل .

عجيبة الافكار في سرعة تنقلها ! فهي تغلب المستر (بَكْ) Puck في طيرانها حول الارض ، وفي منالي ان افكر في يوليوس

قيصر فأراه امامي في الحال ، ثم لا يلبث ان ينصرف ويحل محله اللورد كيتشنر بلحظة واحدة .

الماضي والحاضر لا وجود لهما في افكاري ، فكل ما في العالم يرتسم امامي الان . اغمض عيني لحظة واحدة فأرى امامي جميع حوادث الايام قبل وجود الانسان :ـ ها انني ارى لوسيفور في ايامه التسعة الطويلة ، ثم اراه يسقط من السماء الى الهاوية ، والان في هذه الثانية — أرى جيوش الاسكندر تزحف في بلاد الشرق والان ارى كروميل الجبار يقف في وجه الملك العاتي فيقهره ويذله وليس في العالم سينما توغراف واحد يشبه سينما توغراف فكري

افليس بالغريب اذن ان مخلوقا له مثل هذه القوة العجيبة يقف حائراً ، مثل الكاهل بالهموم ، لا يعرف كيف يهتدي الى سعادته وطمأنينته ؟ أفليس بالغريب أن يرتعد الانسان من الوحدة مع افكاره ، والاجتماع بهذه الالة الفكرية التي تجترح له المعجزات وتصنع العجائب والغرائب وترسم له صور الاجيال الغابرة بلحظة واحدة على لوحة نفسه ، وتقوم بالخارقات التي لم يستطع عطارد المجنح القيام بمثلها ؟

أجل ، ان في اعماقي ، وبين تلافيف دماغي ، كل ما في الوجود . فاذا ذهبت الى فراشي تجمعت للحال جميع السيارات ، والنجوم ، والبحار ، والصحاري ، والرجال ، والنساء ، والكتب ، والاعمال ـ ولن يوجد ولم يوجد شيء في العالم الا بالنسبة الى افتكاري فيه .

ولكن أليس صلاح الفكر وشر الفكر أعمق غوراً من الاعمال الخارجية نفسها ؟ فان الخطيئة التي ارتكبها رديئة بذاتها، ولكنني باظهارها من حيز الفكر الى حيز الفعل اطهرها من نصف شرها . اما الافكار الباطلة الشريرة التي تنشأ في الفكر وتستوطنه متغذية بما فيه من القوى الكامنة فهي سم قتال للاخلاق والفضائل باسرها . لذلك اذا جلست وحصرت فكرك بالوداعة والشجاعة والجمال فثق بانك تقوم باعظم الأعمال التي تساعد في بناء المدنية الانسانية

ما من فكر يضيع في هذا العالم . فهو يصبغ بصبغته الوجود بكامله .

ان فكر المحبة بدون العمل هو أفضل من عمل محبة لم يولد في الفكر .

قال مرقص اوريليوس : « ان الحياة هي كل مايصنعه منها الفكر . » وقال الكتاب : « فليهجر الشرير أفكاره . »

لينكن الرجل الحقيقي

بكولومبوس وجدت أوروبا أميركا ، وبلينكن وجدت أميركا نفسها .

فالامة الاميركية العظيمة اليوم لم تهتد الى كنوز شخصيتها الوثابة الى المجد والنجاح حتى عرفت الرجل الرجل — ابرهيم لينكن

ان أباء الثورة الاميركية حاربوا انكلترا وغلبوها ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يغلبوا المبادىء الانكليزية التي كانت لها السيادة على جميع أعمالهم . لأن شبح العبودية لم يفارق ذهن الامة الفتية حتى جاء لينكن فجعله نسياً منسيّاً .

كان الكثيرون من القاطنين على شواطيء الاتلنتيك قبل لينكن يتحدثون بشرف الأسر القديمة ، وأبناء الدم الازرق ، ورفعة الولادة في القصور على الولادة في الاكواخ .

لان العقيدة الانكليزية القاضية بتقسيم الناس الى طبقات مختلفة بالحسب والنسب والثروة والوجاهة قد ظل لها سلطانها على بعض العقول الضعيفة في أميركا زمناً طويلا .

ولكن هذه البلاد استطاعت أخيراً أن تخلص نفسها من أن تكون مجرد مستعمرة انكليزية ! وقد جاء خلاصها من الولايات الغربية ، لأن أنبل ذوي النفوس الحرة الابية الذين كانوا في الولايات الشرقية ، أبت عليهم شجاعتهم أن يقطنوا بين المستعبدين من المستعمرين ، ولذلك هجروا الى الغرب فاتخذوا وادي المسيسيبي وطناً لهم . وفي هذا الوادي وجدت أميركا نفسها لأول مرة . في هذا الوادي نشأ جيل جديد وترعرع على محبة الحرية ، والاخاء ، والمساواة ، والاعتماد على النفس ، والبساطة ، والشجاعة وصدق العزيمة

وعند ماهددت شياطين التفريق الوحدة الاميركية ، وخيل الى الرجعيين أن فتاة الحرية على وشك الاحتضار ، قدمت الولايات

الغربية للأمة الاميركية الزعيمين العظيمين اللذين وطدا دعائم الحرية الانسانية — وهما لينكن وغرانت .

بهذين الرجلين ، وخصوصاً بالاول منهما ، اهتدى الاميركي الحقيقي الى ذاته الفضلى واخلاقه المثلى .

وها نحن بعد أن درسنا الاميركي الحقيقي بشخص لينكن العظيم نراه يقف ثابت العزم ، ثاقب الفكر ، يحترم الحكومة بمقدار محافظتها على حريته واستقلاله . فهو يعتقد أنها آله بين يديه أكثر مما هي سيدة عليه .

وقد كانت المتاجر ، التي قامت بها هذه الامة البالغة اقصى ما يكون من الحرية الفردية — عجيبة جداً . ومع أن سير الاعمال لم يخلُ من شرور أرباب الاموال ، فقد عمل في الغالب على نجاح أكثرية الناس وسعادتهم — مما لا ترى له مثيلا في حياة أية أمة على الارض .

فالمبادىء الاستبدادية ، والفوضوية ، والاريستوقراطية وأمثالها من شرائع الظلم وهضم حقوق الضعفاء لاتجد سبيلا للدخول الى هذه البلاد . والبلوطوقراطية نفسها ، على وفرة الظروف المناسبة لنجاحها في هذه الامة ، قلما تجد مجالا للظهور الا مدافعة معتذرة .

ان الاميركي اللينكوني (نسبة الى لينكن) هو أكثر أهل الارض تساهلا . فان التعصب بالدين بعيد عن طبيعته . ومع أن روح الحزبية تسير في عروقه في وقت الانتخابات فانه لا يلبث بعد

الفراغ من الانتخابات وفوز الرئيس الجديد أن يعود الى أعماله راضياً بما جرى محباً للجميع .

وهو محب صادق للمجون : فقد وضع له طريقة جديدة تراها في كتب (ارتيموس ورد) و (مرك تواين .)

قلما يظهر لك أنه تقيّ ، ولكنه ذو ضمير حساس . يحب الدين وان لم يتظاهر بحب الكنائس . لا يعرف الانانية ولا تعرفه ينتقد نفسه ويعترف بخطأه . يحب الحياة ويعرف كيف يعيش .

وقد أوجد لينكن حرية للقول والعقيدة لم يعرفهما العالم قبل عهده ، ففسح المجال للنقد والمنتقدين معتقداً أن في ذلك الطريقة الوحيدة للاطلاع على رغبات الامة .

وقد كان له ، اكثر من كل أميركي سواه ، أكثر من واشنطون ، وجفرسون ، وجكسون ، أو أي زعيم غيرهم من أبطال الحرية ـ الفضل في طبع الشخصية الاميركية بطابع شخصيته .

لاجل ذلك تنظر اليه الامة نظرتها الى نموذج الكمال الانساني وتقتفي خطواته في جميع أعمالها . فهو دستور الاميركية . وهو الذي أوجد عظمة هذه الامة . بل هو الصبغة التي صبغت بها الحياة في الولايات المتحدة .

به فخر الاميركيين ومثالهم الاعلى للمساواة والديموقراطية المتجسدة على الارض .

ان أميركا لا تعبد ملكا عظيما ، ولا سيداً حربياً ، ولا نابغة

والشعوب لانها تبسط لنا بداءة الافكار التي هي اساس لجميع اعمال العالم .

دواء الفضاء

اعلن حاكم مقاطعة لوس انجلس في كليفرنيا ان الحكومة ستفتح في القريب العاجل أول مستشفى لمداواة الامراض العصبية في الفضاء الطليق. وسيكون هذا المستشفى الاول من نوعه في العالم ، وقد تعين بناؤه في مكان جميل مرتفع حيث الهواء النقي المنعش واشعة الشمس الطاهرة المحيية .

جميلة هذه الخطوة وهي ولا شك آتية بخير النتائج .

فليس في العالم أفضل للمريض من التحرر من قيود البيوت والخروج الى الحقول الواسعة للتمتع بما أعدته الطبيعة للانسان من الخير والبركة .

اكثر الامراض ناشئةعن الانحباس في البيوت .

كان هنود اميركا القدماء اصحاء عندماعاشوا في الهواء الطليق. ولكن الامراض انتشرت بينهم وما برحت تفتك بهم منذ عرفوا البيوت وحدودها الضيقة .

ان وضع المجانين في الاماكن الحرة خارج البيوت يخفف جنونهم ، واشعة الشمس والهواء النقي يعملان على شفائهم ، اما

الابواب الموصدة والغرف الضيقة فانها تزيدهم مرضاً على مرض .

والتدرن الرئوي (السل) نفسه ما كان يكون راعباً على حالته الحاضرة لو أن المصابين به يهجرون المنازل الصغيرة التي يقطنونها ويعيشون على رؤوس الجبال متمتعين باشعة الشمس والحياة الحق ، وخصوصاً في الاماكن الناشفة الهواء .

ليس في العالم مرض قط يعجز الهواء الطليق عن شفائه . ولذلك يحق للعالم المتمدن أن يهنيء كليفرنيا بفكرتها الجميلة . واليك ما قاله حاكم مقاطعة لوس انجلس في هذا الموضوع :

« ان حبس المجانين أو المصابين بالامراض العصبية في سجون ضيقة مظلمة قلما يساعد على شفائهم بل هو يساعد في الغالب ويزيد في ضعفهم وعجزهم . وما من دواء أفعل في شفائهم من الهواء النقي »

وسيعنى بهذا المستشفى فريق من خاصة الاطباء والممرضات بحيث تكون كل وسائل الوقاية والعناية موفورة ، وهكذا يتم للهيئة القائمة به أن تقف بين المئات والالوف من أبناء هذه البلاد وبين الموت الذي يتهددهم ، وعوضاً عن أن يكونوا أحمالا على اكتاف الناس يصيرون رجالا أصحاء يشاطرون أخوانهم احمالهم وأثقالهم .

والامة الاميركية باسرها تحبذ هذا العمل الميمون وترجو له النجاح الكامل . فالى اقتفاء هذه الفكرة الجميلة أيها المفكرون في الشرق خاصة لأن حاجتكم اليها تزداد في كل يوم بازدياد الامراض التي تحملها المدنية الغربية الى بلادكم يوماً فيوماً !

حقوق الانسان

« حقوق الانسان » عنوان لكتاب وضعه « طومس باين » ويجدر بكل أديب أن يطالعه ، وخصوصاً الشبان الذين يتوقون الى الحرية في جميع انحاء العالم .

كان «طومس باين» قاسياً في نقده للمذاهب والنظريات الطائفية في الدين بكتابه الشهير « عصر العقل » The Age of Reason ولذلك نفر المؤمنون من مطالعة كتبه واضيف اسمه اعواماً طوالا الى قائمة الكفرة الثلاثة الذين ترتعد من مجرد ذكرهم فرائص المؤمنين وهم « فولتار » و «طومسن باين » و « انغرسول »

ولكن هذه النظرة العدائية نحو هذا الاديب الكبير انما نشأت عن الظروف التي أحاطت به اكثر مما عن كتاباته نفسها ، لأن القول الذي حسبه الناس في ذلك العهد هرطقة وكفراً هو اليوم حقيقة يسلم بها اكثر رجال الدين تعصباً وتمسكا بعقائدهم . وانني أؤكد للقارىء المحتفظ في مطالعاته أن باين لم يتعرض للدين بحرف واحد في كتابه « حقوق الانسان » وكلما ذكر الدين في هذا الكتاب فهو يقدم له حقه من الاكرام .

فقد جعل المؤلف هذا الكتاب رداً على المستر « بورك » الذي انتقد المبادىء الجمهورية كما ظهرت في الجمهورية الفرنسوية في ذلك العهد . ولذلك جاء كتابه بياناً صريحاً للمبادىء الديموقراطية

الحقيقية التي تتعشقها الامم في هذا القرن الحاضر ، ولذلك رأينا أن نعقد هذا الفصل لحث القراء الادباء على مطالعة هذا السفر النفيس ومع أن الكتاب وُضع في السنوات الاولى لولادة الولايات المتحدة وقدمه مؤلفه لجورج واشنطون ، فهو ما برح ، بعد قرن كامل من الاختبارات المتواصلة في الحكم الجمهوري ، من افضل الكتب الموضوعة في ايضاح المبادي الديموقراطية . ولذلك نعتقد أنه جدير بالمقام الاول بين الكتب القليلة التي عملت على حرية الانسانية من قيود العبودية والغباوة . فهو ككتاب « العقل النقي » لكنت الفيلسوف Kant ، وكتاب « اميل » لجان جاك روسو Rousseau ، و « أصل الانواع » لداروين Darwin ، من أهم العوامل التي خطت بالتقدم البشري خطوات بالغة الى الامام . لان الكتب الخالدة التي تحتوي على القليل من العبارات التي يليق بكل انسان أن يحفظها غيباً هي قليلة جداً في الوجود .

يوضح هذا الكتاب ، بحجة لا تنقض ، الاسس الوهمية التي تبني عليها النظرية القائلة بحق الملوك الالهي ، ويظهر أن الروح العسكرية هي آلة بيد الملوك للاستعباد والاستبداد ، ويدحض بملء القوة السفسطة القائلة بوجوب العقاب الصارم لاجل تأييد الاحكام ، ويرفض الظلم القاضي بتوريث الملك من الاب الى الابن حتى يخيل اليك بعد قراءة فصول هذا الكتاب ان هذه الامور

أضاحيك صبيانية لا تليق بالرجال !

ومن أقواله في العقاب ما يأتي :

« ضعوا الفأس على أصل الشجرة وعلموا الحكومة معنى الانسانية . فان العقوبات الفظيعة التي تأمر بها هذه الحكومات تفسد الانسانية وتعطل تقدمها وفلاحها . فالحكومة ، بالرعب ، عوضاً عن العقل ، تتحكم بالطبقات الضعيفة الفقيرة في حين انها لم توجد الا لحماية الضعفاء والمحافظة على حقوق الفقراء . وهذا الرعب الذي تعامل به الحكومة رعاياها ينقلب وبالا عليها . »

ثم يوضح بصراحته الفريدة الفرق بين الملكية والجمهورية فيقول : « تنشأ الحكومات من الشعب أو على الشعب . » وقد نشأت الحكومات الاستبدادية في اوروبا من الحرب والاحتلال ، أما الحكومات التي قامت بعد الثورة الفرنساوية في فرانسا واميركا فانما نشأت من الشعب وللشعب .

وقال في الحكم الوراثي : « ان الرأي القائل بالوراثة في الحكم والتشريع رديء شرير كالرأي القائل بالوراثة في القضاء والتحكيم ، وهو باطل سخيف كالرأي القائل بالوراثة في العلم والشعر والفن . »

ومن أقواله الحكيمة في هذا الكتاب ما يأتي :

* : « ان الرجل أو جماعة الرجال الذين لا يعتقدون ان عليهم واجباً نحو الناس يجب ألا يثق بهم أحد من الناس . »

* : « اذا كانت للانسان غاية وعمد الى تنفيذها بغير العدالة

والحق فهو ولا شك سائر الى الخيبة والفشل . »

* : « الشر شر ولو ألبسته حلة الخير . »

* : « كل حرب تنتهي بزيادة الضرائب . ولذلك نرى ان الحرب جزء أولي لنظام الحكم الاستبدادي . وخير الوسائل لاستئصال الحروب من الوجود هو القضاء على القوة المستبدة النفعية في كل حكومة . لأن الحكومة لا ترغب في الحروب ما لم تكن آلة بيد طاغية سفاح يضحي بمصالح الملايين في سبيل منفعته الشخصية وكبريائه الجنونية . »

* : « أن العداوة التي تسمم دماء الأمم وتفرقها بعضها عن بعض هي نتيجة لسياسة الحكومات المستبدة في تنفيذ رغباتها للمحافظة على سيادتها . لذلك نرى ان كل حكومة تنسب الى غيرها من الحكومات الغدر والدسيسة والطمع لتثير في قلوب أبنائها نيران البغض لغيرها والتعلق بها والاستعداد للدفاع عنها . ولم يكن الانسان عدواً لأخيه الانسان في زمن من الأزمان الا بمساعي الحكومات الدنيئة الكاذبة . »

الامومة الرديئة

اكثر الأمهات فاضلات . ولكن هنالك أمهات كثيرات فاضلات حنونات اكثر من اللازم . ولذلك نراهن بشدة تساهلهن مع أولادهن يعملن على تنشئة أعضاء فاسدة في جسم المجتمع الانساني .

خذ الأم السموح المتغاضية مثلا . فكل ما يفعله ابنها أو ابنتها جميل في عينيها . وهي تأبى أن توبخهما أو تزجرهما على عمل رديء يعملانه .

رأيت مرة زوجة رجل من كرام أصدقائي تمشي على الرصيف مع ابنها الصغير . فكانت لأجل أقل هفوة صغيرة تزجره وتضربه، ثم لا تلبث أن تشرع في البكاء وتركع أمامه ملتمسة الصفح عما بدر منها وواعدة بأنها لن تعود الى مثل ذلك فيما بعد !

مثل هذه الأمومة رديئة !

ان الواجب الطبيعي يقضي على كل بشر أن يتعلم شرائع الوجود ويتفهم أسرارها ويقدم لها قسطها من الاحترام . لأن هذه الشرائع تكتنفه من المهد الى اللحد، ولذلك وجبت عليه طاعتها والا فهو يعمل على حتفه بظلفه .

فاذا لم تعترف الأم بهذه الحدود وتعلم ولدها وجوب المحافظة عليها فهي تقوده بيدها الى التعس والشقاء . لذلك تخطىء الأم

كثيراً عندما تقف بين ابنها وبين القصاص الذي تستحقه خطاياه وأعماله الرديئة لأنها بعملها هذا تزيده غرقاً في حمأة الرذيلة .

اعرف بين جيراني ولداً يكذب ويسرق ويرتكب جميع المخالفات. ولكنه على رغم هذا جميعه... « عيون امه ودلوع ابيه » وهذا الولد المسكين يحتاج كلما ارتكب خطأ الى قصاص شديد تظل مرارته في ذاكرته عند ما يخطر له ان يفعل الخطأ بعينه . ولكنه يلجأ الى والدته فتنتصب في الحال مدافعة عنه وحائلة بينه وبين القصاص الذي يستحقه .

وهنالك نوع آخر من الامومة الرديئة تمثله الام المستبدة التي تريد ان تتسلط على جميع اعمال اولادها بعد ان يبلغوا سن الرشد ويختاروا زوجات لانفسهم .فان الام التي تعمل على تمديد سيادتها على ابنها بعد زواجه انما تثير الحسد في قلب زوجته وتزرع بذور الشقاق في عيلة ابنها .

ومن افضل الاخلاق التي يجدر بالامهات ان تتحلى بها المحافظة على اولادهن قبل سن الرشد واطلاق الحرية الكاملة لهم بعده .

اجل ، ان الواجب المقدس يقضي على الام ان تتسلط على عواطف قلبها وتتعلم الشرائع التي تحكم النفوس ويجب ان تكون حكيمة عاقلة لترى ان ابنها يحترم هذه الشرائع ويخضع لها ، واذا خالفها وجب قصاصه من غير شفقة ، لان المحبة الوالدية ، اذا كانت عادلة لا توجد الاعذار الفارغة لمخالفات الاولاد .

كثيراً ما تشفق المرأة على ضعف اولادها فتأبى عواطفها الرقيقة ان توبخهم او تقاصهم . ولكنها لو عقلت لعرفت ان المرأة الصارمة في تربية اولادها هي اكثر منها حباً لهم. وصرامتها هذه تعود على اولادها والمحيط الذي يعيشون فيه باجزل الفوائد .

غرس البساتين

الشباب يقدر قيمة الوقت أكثر من الشيخوخة على رغم الرأي القائل بغير ذلك . الشباب يطلب النتائج السريعة . فهو لا يريد ان يطول انتظاره ، ولذلك ينظر الى السرعة في جميع اعماله ، فيدأب ليله ونهاره في تحقيق أحلامه بما يمكن من العجلة ، ان لم يكن في هذه السنة ففي السنة المقبلة . ولا يفتر هنيهة عن السعي وراء النجاح السريع والانتاج القريب . العشر سنوات جيل كامل في عقيدته .

اما الشيوخ فانهم على العكس من هذا - يبنون جميع اعمالهم على اساس الوقت الطويل والصبر الجميل .

سئل احد اصحاب البساتين الكبيرة عن الطريقة الفضلى للنجاح في العمل الذي يقوم به . وعند ما أجاب ان الانسان لا يستطيع ان يحصل على بستان كامل النمو وافر الثمرات قبل عشر سنوات من العمل المتواصل — قال له السائل من فوره : « اذن ،

فلا يمكن ان يقوم بهذا العمل غير الشبان . » فقال له البستاني ، « انك لفي ضلال ايها الرجل ، فان البساتين لا يقدران يغرسها غير الشيوخ .لان الفتى اذ يكون في مقتبل العمر ينظر الى العشر سنوات نظرته الى قرن كامل . ولذلك يأبى ان يقيد نفسه بعمل لا يعود عليه بالمنفعة السريعة . ها انا في الخامسة والاربعين من عمري اتعلم للمرة الاولى ان العشر سنوات ليست شيئاً مذكوراً للنجاح في اي عمل ما . لان الوقت لم تبق له في عقيدتي تلك الاهمية التي كانت له قديماً . »

ان منفعة الانسان الحقيقية في هذا العالم لا تبدأ ما لم يتعلم هذا الدرس. لان الاعمال التي يحتاج الانسان اليها ، قبل البلوغ بواسطتها الى قنة النجاح ، الى الوقت الطويل انما هي الاعمال الحقيقية النافعة للعالم . والقيمة الصحيحة لكل عمل من الاعمال تتوقف على مقدار الوقت الذى مر على القيام به .

فالمواسم التي تنمو في ليلة واحدة تموت في دقيقة واحدة ، والأثمار التي تنضج بساعة تذبل بلحظة .

رُوي عن احد مشاهير الكتاب انه كان يكتب (كأن كتاباته ستعيش الى الابد) لان الزمان والكمال شقيقان توأمان لا يفارق احدهما الاخر لحظة ما . وكل من يهرب من الزمان فهو يهرب من الكمال .

فاذا تركت الزمان يعمل معك جنباً الى جنب ولم تستعجل

قطف ثمراته قبل نضجها فثق بانك سائر الى النجاح الاكيد ، والا فاذكر ولا تنس ان (من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه .)

موضوع صعب

خطب الرئيس كولدج مرة فانحى باللائمة على الدول الاوروبية التي تأبى ان تقيد معداتها الحربية ولذلك فهي باستعداد دائم للحرب مما يضطر الولايات المتحدة الى العمل بعينه لئلا تؤخذ على غفلة في ساعة لا تنتظرها .

وقد فكرت وانا اقرأ هذا الخطاب في حراجة الطريق التي يقض على رئيس هذه البلاد ان يجتازها . فهو من الجهة الواحدة لا يريد ان ينخرط في التزاحم الاوروبي على السيادة في معدات الحروب البرية او البحرية او الجوية . لان هذه الاعمال لا نهاية لها ، وليس في العالم قوة تستطيع ان توقف دولة من الدول وهي تركض في ميدان تسابق الامم على السيادة . فكل ما تفعله هذه الامة تريد ان تفعل الثانية مثله وازيد : وهكذا يظل الحال على هذا المنوال والامة تتدحرج كطابة الثلج حتى تتعاظم ديونها بحيث يعجز عليها وفاؤها .

واذا نظرنا الى الموضوع من الجهة المالية نرى ان الاستعداد

الحرب رديء كالحرب نفسها . لانه ليس في العالم امة واحدة ترضى بان تكون عزلاء لا قوة لها للدفاع عن نفسها في وقت الحاجة .

ان احمال الروح العسكرية ثقيلة جداً على كل أمة، وقد تبرهن عقم هذه الروح غير مرة واصبح الرأي الغالب اليوم ان تُعنى الامة باستثمار مرافقها ومصانعها بطريقة تسير بها الى النجاح وتمكن الحكومة في وقت الحاجة من تحويل جميع هذه المنافع لخدمة الجنود في زمن الحرب .

ما من احد ينكر على الحكومة حقها بان يكون لها اسطول كبير وجيش جرار على شرط ان يكون الاسطول والجيش عاملين في الدفاع عن الامة ولا يكونا عبئاً ثقيلا على اكتاف الشعب يترقبان حدوث حرب قد لا تحدث في جيل أو جيلين !

واهم ما يجعل حياة الرئيس حملا على كتفيه هو جهاده بين العسكريين وخصومهم ، ففي البلاد فئة تخطب وتكتب وتنادي مطالبة الرئيس ببناء الطيارات والمدرعات والمدافع ومعدات الحروب على انواعها ، وفيها فئة تعمل على العكس من هذا . فاذا اتخذ له طريقاً متوسطاً بين الفريقين اعرضا عنه معاً ، واذ سار مع الواحد غضب الاخر ، ولذلك فهو لا يستطيع ان يرضي جميع الناس .

الثناء

ما من ثناء او مديح يذهب ضياعاً .

فامدح الناس ولا تخف. لان العالم لم يسمع ان رباطا تفككت اوصاله بعبارات الثناء والاطراء .

الى الامام في ما تريد ان تقوله من هذا القبيل . لان في كل انسان تعرفه او تتعرف اليه فضائل ، مهما كانت صغيرة ، فهي تستحق اطراءك فاطرئها ولا تخف !

واذا عرضت في حلقك بعض كلمات النقد المرة او العبارات القاسية المؤلمة فابتلعها ولا تخرجها من بين شفتيك .

ما اشد عمق الهاوية التي تحفظ في قلبها الكلمات اللطيفة الرقيقة التي يعرض الناس عن النطق بها ! وما اوسع وادي جهنم الحياة التي تقذف منها نيران اقوالنا الغليظة الجارحة !

انت ممتلىء بالافكار اللطيفة والعبارات اللطيفة ياصاح، ولكنك لا تشعر بعظم ثروتك هذه حتى تشرع في الكلام .

فلا تسد مجارى عواطفك الصالحة بل افتح ينابيع الثناء في قلبك وانت الرابح .

ان عالم القلوب البشرية الذي نعيش فيه ناشف يملأه الغبار . واكثر الرجال والنساء يقضون في عطشهم وحرقة قلوبهم للكلمات

المشجعة المنشطة . وابناء الناس وبناتهم يموتون في كل لحظة جائعين لخبز تقدير اعمالهم واطراء مناقبهم الشريفة

فاسقهم من مياه عواطفك ، واشبع مجاعتهم بخبز كلمات لطفك وأفض من ندى لحظات الاعجاب في عينيك وحرارة المحبة في قلبك على المستحقين وغير المستحقين اكراماً للسماء ولرب السماء !

تبسم أيها العبوس ، فالابتسامة اكسير الحياة .

نحن جنس عجيب غريب قد اجتمعت فيه المتناقضات باسرها قلوبنا طريئة كالشمع ملؤها العطف والحنان والرغبة في مساعدة الآخرين . ولكننا نأبى الاعتراف بذلك .

سرت في الامس في شوارع المدينة وحيداً وكنت أتأمل في كل وجه أمرّ به ناشداً نظرة انسانية . ولكنني ركبت مركباً خشناً . لأن الناس كانوا يرمقونني بنظرات غريبة بملء السرعة ويمرون بي هازئين . لم تنظر اليّ امرأة قط ، ولم يعبأ رجل ما أن يرمقني بطرف عينه . ولا أدري اذا لم يكن هذا الاعراض الذي يظهره الانسان نحو أخيه الانسان في مقدمة الاسباب التي تحمل الناس على العزلة والغلظة في أعمالهم .

لأن النفوس لا تشترى الا باللطف والايناس . فكل ابتسامة لطيفة توجهها الى أخيك الانسان تملكك جزءاً من نفسه .

ان املاكي الحقيقية في هذه الحياة هي كل من أحبته نفسي من

الناس ولو لحظة واحدة . هؤلاء هم ثروتي الباقية لأنني أملكهم بالحقيقة . أما خزائني الحديدية وكل ما فيها من الثروة البالغة فلا استطيع أن أتملكها . فهي لي اليوم وفي الغد تصير الى سواي كما كانت للالوف من قبلي . انني لا أملك بيتي ولا ما فيه من الاثاث والتحف الثمينة ، ولا الاصدقاء الذين اتخذتهم رفقاء في الحياة إلا بالنسبة الى محبتي لهم .

ليس في محكمة النفس سوى حق واحد للتملك ، وهو المحبة الظاهرة بتقدير كل شيء حق قدره . كل شيء ، بل كل انسان في هذا العالم ، هو ملك لمن يعرف قيمته رجلا كان أو امرأة . وكل دعوى غير هذه باطلة في قضاء العدالة الخالدة .

انني لا أملك الذين يعرفون قيمتي الحقيقية ، ولكنهم يملكونني . فان المحب دون المحبوب ينال الصفقة الرابحة في النهاية . لأن المحبة مكافأة حقيقية لذاتها .

فعليك بالاثراء العاجل أيها القارىء الاديب . أسرع في جمع ثروتك الحقيقية . كن « مليونار » نفوس ! وذلك لك باطراء كل ما يستحق الاطراء وتقدير كل شيء حق قدره . كن نابغة في هذا الموضوع . فكلما اتسعت دائرة معرفتك للفضائل والاخلاق الجديرة بالاعجاب والثناء ازدادت ثروتك ووفرت خيراتك .

اطرىء فضائل الناس . أمدح خصالهم الطيبة . وأغمض عينيك عن عيوبهم ذاكراً قول المعلم الصالح أبداً :

(لا تدينوا لكي لاتدانوا . لانكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون وبالكيل الذي تكيلون به يكال لكم)

امدح الناس ولا تخف . فما من ثناء أو مديح يذهب ضياعا .

لا تكذب على نفسك

جاء في مذكرات الكونت ليون تولستوي ، التي طبعتها ابنته الكونتة الكسندره ايفوفنا في باريس ، مايأتي :

(الكذب على الغير أقل خطراً من الكذب على النفس)

فاذا عرفت هذا فقد ملكت ناصية الحكمة . لأن من يخدع ذاته سائر الى الهوان .

كثيراً ما يكون الكذب على الغير لذة لصاحبه قلما تضره ، ولكنك اذا كذبت على نفسك فكأنما أنت تطعن قلب آدابك أو تشرب السم القتال القاضي على أخلاقك .

ومع ذلك نرى أن الكذب على النفس خطيئة يحبها الناس وقلما يفطنون للهرب من اضرارها .

اذا حدثت المحكومين في السجون المؤبدة ، والسكيرين والمجرمين على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم فانك تجد بعد التأمل الدقيق أن كلا منهم يعيش كالعنكبوت في بيت من الاوهام التي حاك خيوطها من مادة أفكاره وتصوراته .

فالفاجر الخليع الاداب يقول لذاته (ان العالم مدين له بالكثير من ملذاته) حتى يصدق نفسه فيقود ذاته بذاته الى الهوان .

لذلك نرى المجرم يضع اللوم في سقوطه على المجتمع الذي يعيش فيه . والزانية تستطيع في كل ساعة أن تقول لك أنها غير مخطئة في قذارة حياتها بل الذنب كل الذنب على الشرائع الجائرة التي ظلمتها

كل سافل ساقط يدأب جهده في تبرير نفسه وتجريم سواه .

ولكن الحقيقة الصريحة تعلمنا أنه ما من رجل اضطر منذ ابتداء الخليقة حتى الساعة الى فعل الشر .

وما من حجر رث أو جسر بال وُضع في بنيان اخلاق رجل ما على الارض ولم يكن ذلك الرجل بعينه قد حمله بيديه ووضعه في مكانه

فاذا قلت أن زيداً من الناس قد حملني على فعل السوء فانا أكذب على نفسي ولا انطق بالصدق .

لأن الناس يستطيعون أن يتهددوني ، ويلاطفوني ، ويرغبوني ويضعوني في التجربة ، ويدفعوا بي الى الأمام في عمل الشر ، ويقدموا لي الرشوة الخ ، ولكن الخطوة الاولى نحو الشر انما اخطوها أنا بارادتي .

تستطيع أن تحدثني عن استعمال المخدرات ، وتستطيع أن تبالغ لي في وصفها وجزيل نفعها ، وتستطيع ان تنشطني على استعمالها بالوسائل العديدة ، وانت تفعل ذلك امامي غير مرة ، فتثير باحاديثك واعمالك قابليتي ورغبتي في الاصغاء اليك ، وكثيراً ما تظفر باقناعي فامسك

القدح الذي يحتوي على المخدر بيدي واتأمل فيه فيطغيني خيالي لاشربه ، ولكنني لست مضطراً الى شربها وما من قوة تستطيع ان تضعها في فمي اذا كانت لي الارادة القوية على رفضها .

مهما توفرت لدي الاعذار فهنالك عذر رئيسي استطيع ان اتسلح به ضد هذا العدو القتال ، وهو وحده قادر ان ينقذني من سمومه ، وهو انني لا اريد ان افعل ذلك !

وهكذا قل عن كل عمل ردي، في الحياة . فاذا قمت بعمل من اعمال التزوير او السرقة او القتل او غير ذلك فان هنالك رجلا واحداً يقع اللوم عليه في عملي وهو — أنا .

أجل ، ان العالم ممتلىء بالضعفاء المستغيثين الذين يلومون الظروف والأقدار !

واذا سقط الانسان في هاوية الخطيئة فليس هذا بالمصيبة الكبيرة ولكن المصيبة كل المصيبة أن يسقط الانسان ولا يعترف بسقوطه عامداً الى الطريقة الفضلى لاصلاحه .

كلنا بشر معرضون للخطيئة أيها الناس . فاذا خطيء أحدنا فليعترف بخطأه وليصرح بأن شهواته ومطامعه وأنانيته التي أثار الغير نيرانها الكامنة لا تبرره من جرمه ، لأن المسؤولية الكبرى ترجع اليه في جميع شروره ومعاصيه . كلنا تزل بنا القدم في أوحال

الخطيئة ، ولكن الرجل كل الرجل انما هو ذلك الذي اذا سقط حمل مسؤولية سقطته وبادر في الحال الى اصلاحها .

فلا تكذب على نفسك . ولا تستغرق في الحزن على ذاتك . لا تنسب الذنب للظروف القاهرة ولا تغر نفسك بأن خطاياك ليست أكثر من خطايا غيرك . لأن شر الاخرين كثيراً ما يقودك الى التمادي في المعصية والخسران . وكل منا يجب ان يحمل جزءاً من أحمال شرور العالم . ولكن ضع هذه الحقيقة نصب عينيك : انك لم تفعل في حياتك شراً الا لانك اخترت ذلك لنفسك بارادتك .

ولعلك تقول ، (انني لو لم أفعل ذلك لجلبت الكثير من الالام لنفسي أو لأحبائي ، بل لكنت عرضت ذاتي للاحتقار والمصيبة والموت نفسه ؟) ولكن رويدك ياصاح ، فقد كان في منالك ان تهرب من الشر لو اردت وان كلفك الامر كل هذا

خير للانسان أن يتألم وان يُحتقر ويُهان ، بل أن يموت ، من ان يفعل شراً على الارض ثم ينبري قائلا : انه بريء من ذلك الشر وان اللوم على الناس .

فلا تكذب على نفسك ، لأن صدقك مع ذاتك هو المفتاح الوحيد لأبواب السعادة الحقيقية في الحياة والموت .

اساس السعادة

قال حكيم ، (لم اعرف سعادة عظيمة في حياتي لم تكن بقايا سعادة غيرها سبباً لها . ولذلك قلما نرى السعداء فرحين)

قد اوضح هذا الحكيم بكلماته القليلة الاساس الصحيح للسعادة : وهو ـ الكآبة .

فالحزن ضروري لكمال الحياة كالفرح وأزيد .

تنحصر غاية الحياة ببلوغ الانسان الى الكمال في ايضاح اميالـه وافكاره وليس في الانخراط بما لا نهاية له من الملذات والشهوات والكآبة ضرورية لنمو النفس الانسانية كالغبطة .

الحياة بدون الكآبة كالصورة بدون اظلال .

كل ما في الوجود من الجمال يتألف من ترتيب الاظلال كلاً في موضعه . وكل ما في الوجود من الفاتنات نتيجة لازمة لانعكاس النور وارتسام الظل عليه ، وهكذا قل عن السعادة فهي وليدة الآلام

انت لاتقدر ان تجني حصاداً كبيراً ما لم تكن اثلامك عميقة في قلب الارض . وما من قلب بشري يستطيع ان يتمتع بطمأنينة السعادة وغبطتها البالغة ما لم تعذبه الالام وتلهبـه نيران الكآبة .

فاذا قلت انك سعيد دائماً — ثبت لدينا في الحال اما انك تقصر نظرك في الحياة على القشور دون اللباب ، او انك تضطر نفسك الى الاعتقاد بأن في قلبك ما ليس فيه ، ويجب ان يكون فيه

متبعاً بعض التعاليم القائلة برفعة الانسان الى أوج السعادة بشرائط حذائه

ليست الحياة السعيدة حلاوة مجردة ، ولكنها حلاوة ممزوجة بمرارة . فأيامك الكئيبة ، واختباراتك المريرة ، وفشلك الممزوج بالدموع ، وفصول احزانك ، وامطار آلامك ، واشواك احلامك واوجاع تشوقاتك لا تذهب عبثا في وجودك على الارض ، بل تجعلك اكثر انتاجاً وتعدّ تربة حياتك لاخراج الاشجار الغضة المثمرة ، في حين ان القلوب الغير المفلوحة بسكك الكآبة لا تأتي بغير الأثمار الفجّة الحامضة .

لم يقم في العالم رجل بلغت سعادته قنن الكمال سوى فقير مسكين من ناصرة الجليل . وقد عرفه الناس « رجل الأوجاع ومختبر الحزن والكآبة . » ومن أعمق أعماق أحزانه تفجرت للعالم مياه السلام العجيب والسعادة السماوية ، ولذلك نراه يقول لأصدقائه :

« سلامي أعطيكم ، سلامي أترك لكم ، ليس كما يعطي العالم أعطي أنا . »

وليست الكآبة مقدمة للفرح والغبطة فقط ، بل كثيراً ما تكون بذاتها فرحاً عظيماً لصاحبها اذا عرف كيف يحملها بصبر ويستثمرها بشكر .

كلنا يعرف ان التضحية واحتمال الاحمال الشاقة في سبيل

الذين نحبهم في هذا العالم يجلب لنا لذةً قلما يحلم بها الأناني الذي يحصر جميع أعماله بذاته .

فلا تنشد السعادة في المراقص الحافلة بالناس ولا تطلبها في الولائم الكبرى أو في بيوت اللهو والزهو حيث تتردد أصداء الضحك والانشاد ، بل سر متأملا بين الاظلال على مسالك الحياة حيث يشتغل الرجال وتنتظر النساء ثمرات أعمالهم للقيام بأود عائلاتهم ، اذهب الى المعامل وهنالك ترى ملاك السعادة مرفرفاً فوق رؤوس العمال الذين يحتملون عناء الاشغال في سبيل المحبة الطاهرة ويستقبلون الوحدة والمرارة والألم بشجاعة : سر الى حيث تجري المياه المرّة وتنبت الأشواك القاسية وتأمل في ما حولك بحكمة وفطنة فتجد لشدة دهشتك أوفر الزنابق بياضاً واكثر الورود حمرة وعطراً في حقول هذه الانسانية العجيبة التي نحن اجزاء صغيرة في مجموعها الكبير .

قال «طومس هود» في قصيدته الشهيرة وعنوانها «الكآبة» :

« اعطوا الكآبة حقها من الاكرام أيها الناس ،

فان تنهداتها ودموعها وتأملاتها مقدسة .

وليس في الحياة من موسيقى تستهوي قلوبنا ،

ما لم تكن الاحزان أوتاراً لقيثارتها . »

الندامة

جاء في احدى الأناشيد القديمة ما يأتي :

« عند ما أقول لك أنا ندمان فماذا تطلب اكثر من ذلك ؟»

والجواب على هذا السؤال بسيط جداً وهو :

« اياك أن تعود الى فعلك ثانية ! »

اذا نسي أحد أصحاب الحوانيت أن يرسل اليّ ما طلبته منه في حينه ، وعندما ذهبت اسأله عما دعاه الى الاعراض عن طلبي ، اعتذر انه نسيَ ذلك لكثرة الأعمال التي كان عليه أن يقوم بها في ذلك اليوم ، وأظهر لي كدره لما حدث ولم يسهب في شرح الأعذار الفارغة : من مثل ان المطلوب ضاع على الطريق أو انه لم يكن لديه عملة كفاية أو غير ذلك — اذا فعل كل هذا وأظهر ندامته على ما صدر منه فانني أنظر اليه نظرة احترام ولا أتركه وأذهب الى غيره لمجرد غلطة واحدة .

لأن تصريحه بندامته على ما صدر منه يجعلني اعتقد بصدقه وبرغبته في تقرير الحقيقة كما هي . ولكن الندامة وحدها ، أو النطق بالحقيقة وحده ثم الرجوع الى نسيان طلباتي واهمال القيام بأعمالي — كل ذلك لا يمكن أن يسير بأعمال هذا الرجل الى الامام أو يحفظني بين زبائنه الى الأبد .

الندامة على الخطأ هي الخطوة الأولى في سبيل البلوغ الى اصلاح

الخطأ . ولكن الخطوة الثانية ، وهي الاكثر أهمية . انما هي في عدم الرجوع الى ذلك الخطأ بعينه مرة ثانية .

ان العالم في سيره الى الامام في مراقي النجاح انما يحتاج الى اكثر من الذين يتكدرون لما يبدو منهم من القصور في أعمالهم ثم يعودون الى الأعمال بعينها . فالانسان لا يعوزه سوى اللسان لكي يقول انه نادم عما بدر منه من الخطأ في تصرفاته . ولكنه يفتقر الى الارادة القوية لكي يتغلب على ذلك الخطأ ويصلحه بالأعمال دون الأقوال . فالندامة على الخطيئة هي بداءة لاصلاح الخطيئة : فاذا واظب الانسان على الندامة ولم يخرجها من حيز العاطفة الى حيز العمل فانه يظل ثابتاً في مكانه من غير أن يخطو خطوة واحدة الى الامام .

حدث مرة ان امرأة كانت تعيش في الجهات الغربية من الولايات المتحدة ، وقد ذاعت شهرتها في المدينة التي اتخذتها مقراً لها بأنها أول النادمين عن خطاياهم . وكان أحد مشاهير الوعاظ الانجيليين يأتي في كل ربيع الى المدينة التي عاشت فيها تلك المرأة ليعظ المؤمنين ويحثهم على التوبة . وكانت هذه المرأة في مقدمة الجماهير التي كانت تأتي لسماع محاضرات الواعظ الكبير ، ولم يكن بين الناس من يسبقها الى التوبة والوعد بعدم الرجوع الى الخطيئة مرة ثانية . بيد أنها كانت أسبق الناس للرجوع الى شرورها ومعاصيها !

أجل ، ان الندامة وليدة العواطف ، ولكن العمل بهذه العواطف يحتاج الى العزيمة الصوانية والارادة الحديدية . فاذا ندمت على عمل ما فاعلم ان ندامتك لا تجديك نفعاً ما لم تقرنها بالتقرير البات على عدم الرجوع الى العمل الذي ندمت على فعله ولو كلفك الأمر حياتك بكاملها .

الخطيئة

كانت « سوسان وسلي » والدة « جون وسلي » الشهير ، من عظيمات النساء اللواتي نبغن في هذه البلاد العظيمة . وقد بذرت في قلوب أبنائها الاثني عشر بذار الفضيلة والصلاح فقدمت للمجتمع رجالا خلدوا ذكرها الى منتهى الدهر .

وها نحن موردون للقراء الادباء القليل من أعمال هذه المرأة الفاضلة في تربية أولادها راجين أن يكون من وراء ذلك بعض الفائدة .

عجب أحد جيران السيدة الحكيمة لشدة صبرها مرة ، فجاء اليها وسألها قائلا ، « لماذا ترددين النصيحة الواحدة لذلك الصبي اكثر من عشرين مرة ؟ »

فاجابته بملء الهدوء قائلة ، « لأن التسع عشرة مرة غير كافية ! »

وكتب اليها ابنها « جون » مرة يسألها رأيها في تعريف الخطيئة . فأجابته بكتاب تفيض الحكمة من سطوره نقتطف منه ما يأتي . قالت :

« اذا شئت ان تحكم في صواب اللذّة وخطأها فاليك هذه القاعدة : كل ما يضعف عقلك ، ويعطل احساس ضميرك ، ويظلم ايمانك بالله ، ويقتل قابليتك للمواضيع الروحية — كل ما يزيد سلطان جسدك على فكرك — هو خطيئة فاضحة فاجتنبه مهما كان نوع التأثير الذي يتركه في ذهنك سادجاً أو طاهراً . »

ليس بين مئات الآراء التي قرأتها في كتب اللاهوت ، والآداب ، والحكمة ، تعريف واحد للخطيئة أبسط وأضبط من هذا التعريف البالغ الكمال والجمال .

كلنا يتوق الى معرفة الخير والشر والتمييز بين الفضيلة والرذيلة ، واكثر شرور العالم ناتجة عن تشويش الفكر في الحكم بين ما هو خطأ وما هو صواب .

فلو اتخذ كل منا كلمات هذه المرأة الصالحة وجعلها شريعة لحياته ، وعمد كما قال المستر « وسلي » الى قراءتها ودرسها والتأمل فيها والعمل بها ، فانه بالحقيقة يتخلص من اكثر شروره ومعاصيه .

فاذا لم تقدر على حفظها كاملة ، او كنت لا تعتقد بكل عبارة وردت فيها ، فخذ جزءاً صغيراً منها على الأقل — خذ هذه الكلمات :

« كل ما يزيد سلطان جسدك على فكرك هو خطيئة فاضحة فاجتنبها . »

قال أحد حكماء فرانسا ، ينحصر التهذيب الكامل بتحويل مجاري لذاتنا من أجسادنا الى أفكارنا لتكون العلوم والفنون بأسرها خادمة للدين والآداب الصحيحة . »

ولكن النقطة الاكثر أهمية في كلام هذه المرأة الحكيمة انما هي في تأكيدها للحقيقة القائلة ان الخطيئة فعل شخصي وليست ميراثاً جنسياً . فهي لا تقوم بتعدي الشريعة أو خرق القانون بل الخطيئة كل الخطيئة في حياتنا الداخلية وضعفنا الأدبي وتمردنا على معتقداتنا الصحيحة وثورتنا على كل عاطفة صالحة تختلج في أعماق قلوبنا وتقول لنا « افعلوا ولا تخافوا . »

اربع قواعد للحياة

قال أميركي :

« أول وأعظم ما يجب أن يتعلمه الشبان هو الاعتدال : الاعتدال في الطموح ، في العمل ، في اللعب ، في الأكل ، في الشرب ، — الاعتدال في كل شيء ما عدا الضحك ، فالواجب يقضي عليك أن تضحك كثيراً . فالضحك ينبوع الراحة والغبطة والصحة .

« في كل أسرة على الارض ميل معروف . وارث لا مهرب منه بغير قوة الارادة . وقد ورثت من اسرتي ، وخصوصاً عن طريق أبي ، ميلا قوياً للهم والغم . قضى الهمّ على حياة أبي وقتل جدي من قبله . وقد لزمني في أوائل أيامي فحل علي ضيفاً ثقيلا حرمني لذة حياتي وجعل كل شيء مظلماً راعباً أمامي : فكنت مضطرب الافكار في كل عمل أقوم به ، يؤلمني مجرد الافتكار في ماضي حياتي أو حاضرها ومستقبلها . وقد ثبت عندي في تلك الايام السوداء أن الدهر يجد في قهري ومحاربتي ، وان حياتي بكاملها فشل لا يعرف دواء ناجعاً . وقد وجدت نفسي غير مرة يائساً بائساً لا فلس في جيبي ولا أمل في قلبي . . .

« بيد انني أفقت مرة من غيبوبة تعسي وحملت نفسي الى قنة جبل الارادة وهنالك طردت جميع شياطين الهموم من أفكاري . وقد تمّ لي ذلك بالخطابة العمومية . في ذلك العهد كنت أقبل كل دعوة للاجتماعات والولائم والحفلات الأدبية على أنواعها وكنت أسير الى كل مجتمع واعداً أن أقول « كلمة » من غير أن أعرف ماذا او كيف ، أو اذا كنت قادراً أن أقول شيئاً .

« فالخطابة في عقيدتي أفضل وسيلة لجمع قوى الفكر وتعويده الدقة والنظام . كنت أقرأ الجرائد فاجد فيها موضوعا لخطابي ، لافرق مهما كان نوعه ، وفي ساعات فراغي كنت أقتله درساً وبحثاً وقد كان لي في هذا العمل أكبر مساعد على التخلص من جميع

همومي التي كانت تنشأ عن أشغالي الكثيرة .

« ومع ان ذاكرتي كانت تستطيع أن تحتفظ بالأسماء والحوادث والامكنة فانني لم استطع قط على حفظ خطابي غيباً ، ولذلك كنت أكتبه واقرأه . فكنت أوجد من لا شيء قصصاً وحكايات مختلفة أقصها على نفسي في كل يوم حتى صرت قادراً على تلاوتها في خطبي أمام جماهير الناس .

« وبعد التمرين المتواصل والدرس الدقيق صارت الخطابة عادة ملازمة لي . وهي الآن جزء من حياتي حتى ليستحيل على الناس أن يحولوا بيني وبينها .

« كل عمل من أعمال الحياة تستطيع أن تتخذه عادة لنفسك . وهنالك يقوم خلاصك اذا كانت هذه العادة صالحة . خذ لك مثلا الرجل المصاب بالسويداء . فهو ، قبل كل شيء ، يجب أن يخرج من عزلته ويتعوّد معاشرة الناس . ثم يجدر به أن يرغم نفسه على محادثتهم ومشاركتهم في مباحثهم ومشاريعهم الاجتماعية . وهكذا يجد شيئاً فشيئاً أن سويداءه تفارقه وهمومه تعرض عنه وتحل الغبطة والبهجة محلها .

« والقاعدة الثالثة للحياة هي الدين . فان الشعور بالاتكال على الله لم يفارقني سحابة حياتي . فانا انظر الى الله نظرتي الى شخص أكثر مما الى قوة . ومع ان شخصية الله ليست كشخصية الانسان فهي وحدها الشخصية الكلية المجد والقداسة ، ولها القلب الكلي

الاقتدار ، والفكر الكلي القوة ، والروح التي لا تعثر أبداً .

« انني أؤمن من صميم قلبي بأن الله يهتم بجميع الناس ويدبر كل أعمالهم . فقد تجسد على الارض بشخص يسوع الكامل الذي أدرك أسرار قلوب الناس وعاش وعمل وتألم مثلهم في هذا العالم ، ومات أخيراً كما سيموت كل منا نحن الاحياء اليوم . والمسيح في عقيدتي مرآة تعكس لذوي الابصار المحبة والمعرفة الالهيتين .

« وأيضاً أؤمن أن في الصلاة معيناً لا يفرغ من القوة والحياة للذين يستقون منه . فاذا تعذر عليك القيام بعمل من الاعمال بما لديك من القوة البشرية ، فألق على الرب اتكالك وهو يؤتيك معونة من عنده . لان معونة الله تترقب كل من يفتح قلبه ويثق بقوة الله وقد خبرت هذا بنفسي وكانت صلواتي مستجابة في كل مرة . ولكن ليس كما أردت أنا ، بل بطريقة جديدة كانت تُفتح امامي بعد الصلاة فاتبعها وارى أنها الصراط المستقيم .

« والقاعدة الرابعة هي المحبة : المحبة للجميع على السواء ، المستحقين ولغير المستحقين ! فكن محباً لجميع الناس أيها الشاب ، واثبت في محبتك حتى النهاية . ادرس كل انسان بمحبة ، وانت ولا شك واجد فيه الكثير من الصفات التي تؤهله لمحبتك .

« انني لا اعتقد بالقضاء والقدر . ففي منال الانسان ان يوجد لنفسه وللناس الطريق التي يريدها متى شاء — على شرط ان يكون :

١ : قريباً من الاعتدال ،

٢ : بعيداً عن الهم والغم ،
٣ : مؤمناً بالله ،
٤ : محباً لجميع الناس .

الخوف من العظمة

لا تخف من عواطفك الفياضة واخلاقك الجوّادة .
فان شر المخاوف انما هو الخوف من أن تكون عظيما جداً .
وأردأ أنواع القناعة القول بانك « مثل الناس ولا باس »
فاذا وثقت بصديق فلتكن ثقتك به حتى الموت .
كثيراً ما يحدث انك تنخدع به وبثقتك بامانته .
ولكن خير لك أن تخسر بايمانك من أن تربح بعدم الايمان

* * *

واذا أحببت زوجتك فليكن حبك كاملا امينا كل الامانة .
كثيراً ما تجهل الزوجة قدر حبك لها فلا تعترف لك بفضل .
ولكن خير لك ان لا تقدر زوجتك فضلك من ان تخسر انت اللذة الكائنة في تضحية الذات وبذلها من اجل من تحب .

* * *

لاتخف كثيراً من طرح دررك أمام الخنازير

لأن طرح الدرر أمام الخنازير خير من حفظها في الصناديق .
والمعلم الاعظم الذي اوصانا بهذا طالما طرح درره امام الخنازير في كل يوم من حياته على الارض .

* * *

لاتخف أن تكون كثير الصفح عن اساءة غيرك .
لا تخف أن تسامح من يخطيء اليك ولولم تعتقد باستحقاقه .
لأن جحوده لمعروفك لا يحجب الجمال الخالد في صفحك عنه

* * *

لاتخف ان تظهر صداقتك للناس .
لانك بهذه الطريقة وحدها تظهر انك أهل لصداقة الناس .

* * *

لا تخف أن تكون شديد الايمان بالخير .
فانه خير لك ان تلاقي الشر فجأة من أن تشق بقدومه قبل أن يجيء فيزورك زيارة الصديق الحميم .

* * *

لاتخف أن تبالغ في اللطف والوداعة .
فالانسان في هذا العالم يحتاج الى الكثير من اللطف والوداعة لكي يكون وديعاً لطيفاً بالحقيقة .

السطوح

ربح الانسان كثيراً عندما استبدل السطوح بالسماء ، ولكنه خسر الكثير مما هو في أشد الحاجة اليه .

المدنية ربحٌ عظيم . ولكنها في الوقت نفسه والدة امراض لا يحصى عددها .

فان البيت يعمل في القضاء على الصحة أكثر مما تعمل النار في الهشيم .

تحت السماء علم يسوع وبوذا ومحمد وموسى ، ولكن العقائد النظرية العقيمة كتبت تحت السطوح .

السماء تلد التعميم ، أما السطوح فتلد التخصيص .

السماء واسعة لاتعرف الحدود ، ولكن السطوح ضيقة محدودة ولذلك يجدر بالانسان أن يقضي قسما من كل يوم من حياته تحت السماء لعل قليلا من وحيها العجيب يحل في روحه .

ما أجمل الجلوس تحت السماء في الليل ، لأن النجوم تحمل للانسان رسالة خالدة تعبر عنها جميع الالسنة وتنطق بها كل الامم

ان نفوسنا تحتاج الى الكثير من غذاء السماء .

تحت السماء تصغر خطايانا وتتلاشى اثامنا وشرورنا .

الشيطان يعيش في زوايا البيوت وتحت السطوح . ولكن الرب يعيش في السماء .

ان أفضل مدرسة يمكن ان يصل اليها فكر الانسان انما هي تلك التي يقود معلمها الحكيم جميع تلامذته الى خارج البيوت سائراً بهم تحت السماء وبين الاحراج النقية الهواء حيث تطلق افكارهم من القيود وتتسع اراؤهم بسعة الفضاء .

والكنيسة الفضلى في الوجود يجب ان تعقد اجتماعاتها في اشعة الشمس حيث يبدّد نور النهار ظلمات التعصب وتذهب الرياح الحرة بجميع غازات الكبرياء الطائفية القتالة .

ان جيلنا الحاضر يخاف كثيراً من السماء . ولذلك نرى جميع الاعمال تتم ، والكتب توضع ، والاناشيد يترنم بها المنشدون ، والصور الخالدة تُرسم ، والغابات تتردد اصداؤها ، والمآكل تطبخ وتؤكل ، والمسارح يجتمع اليها الناس ، والمحبة تنمو وتزهر وتموت والاحلام تتردد في اذهاننا كل ذلك نراه تحت السطوح .

ولذلك نراها كلها سقيمة عقيمة . وعلى كل ما نفعله علامة التصنّع والتقيّد ، والتقليد البليد ، والابتعاد عن روح الحرية الكاملة والعظمة الهادئة التي يجب ان تكون شعاراً للحيوان الناطق الذي يقطن اللاهوت في قلبه .

ان جميع قيود الفكر ناتجة عن تحديد الارض والفضاء بالحدود المختلفة . ومن تحت السطوح تأتي جميع تعصباتنا التي هي الاساس الاول لاوجاعنا ومصائبنا . لاننا لو كنا نعيش تحت السماء ونتمتع بما فيها من اللذة الخالدة لما كنا نعرف ما يتحكم فينا اليوم من

الانانية والمطامع الحزبية والوطنية ، والبغض الجنسي ، والتقسيمات الاقطاعية والطبقات المتخاصمة المتحاربة على حدود الارض واقسامها

فان تقسيم الناس الى طبقات وامم واجناس الخ . هو ثمرة من ثمرات السطوح .

اما الانسانية ، والديموقراطية ، والمحبة العامة ، ووحدة الله واخوة الانسان فكلها من السماء .

المحبة والخدمة

ان ابسط الاشياء واعمها في العالم تحتاج الى التعريف .

فكم هنالك من المواضيع الهامة التي يطرقها الفكر في كل يوم ، ولا يستطيع ان يتخلص منها ، لانها ضرورية له كما ان الخبز والماء ضروريان للجسد ، ومن كثرة البحث في هذه المواضيع تمسي اخيراً ناعمة ملساء كالنقود الممسوحة من كثرة الاستعمال . ولذلك يجدر بنا بين البرهة والبرهة ان نفحصها جيداً ونمعن النظر فيها لنرى النقوش والصور المحفورة عليها والتي تكاد لا ترى بالعين المجردة .

وليس بين هذه المواضيع ، التي يكثر تحدث الناس بها ، موضوع واحد يشغل اذهان الناس ولا يفارقها لحظة واحدة كموضوع السعادة . فهي ضالة الدين ، ومحجة الفلسفة ، وحلم الاشقياء ، ومطمح انظار العالم كله .

ولكن ما هي السعادة ؟

لنفرض اننا نسأل ذواتنا هذا السؤال . ولنفرض اننا بملء الصبر والهدوء نسعى وراء الحصول على الجواب . فاذا وجدنا ماهية السعادة فنحن بالحقيقة قد اجتزنا مسافات بعيدة كانت تفصلنا عنها ودنونا من هيكلها المقدس .

ولكي أثير في القراء الأدباء محبة البحث في هـذا الموضوع أقدم لهم في ما يلي تعريفاً للسعادة عثرت عليه أخيراً في أحد الكتب القديمة :

« السعادة هي المحبة العظيمة والخدمة الكثيرة . »

وانك لو أمعنت النظر جيداً في مَن تعرف من الناس — من غير أن تهمل ذاتك — لوجدت انه ليس بينهم سعيد واحد بدون المحبة . بل تجد اكثر من هذا : — ان سعادة كل منهم تتوقف على مقدار المحبة الظاهرة بأعماله .

أجل ، ان السعادة هي العطر الفوّاح من وردة المحبة ، والنور المشرق من مصباح المحبة ، والصوت المتصاعد من أجراس المحبـة .

انك تستطيع أن تحصل على شيء ربما يماثل السعادة قليلا ، من مثل كفاية رغباتك من طعام أو شراب أو زهو أو لعب أو غير ذلك من اللذات المادية . ولكن كل هذه اللذات ناقصة بذاتها لأنك تملّها بعد أن تشبع منها . ولكن السعادة الآتية عن طريق

المحبة لا تعرف الشبع ولا يزورها الملل .

وكل ما ينطبق على المحبة صادق في الخدمة . لأن المحبة الحقيقية هي الخدمة .

ادرس معارفك جيداً تجد بعد البحث انهم سعداء بالنسبة الى الخدمة التي يقومون بها بعضهم نحو بعض .

ان اكثر الناس سعداء لانهم يقومون بأعمال يحسبون سعادتهم فيها .

ولا شك انهم كثيراً ما يتذمرون من أعمالهم ، بل كثيراً ما يدعون العمل لعنة ، ولكنهم يعرفون جيداً انهم تعساء بدون أعمالهم .

في العالم كثيرون يحلمون بحياة كسل وخمول وملذات ، وغيرهم كثيرون أيضاً يحسبون ان هذه الحياة هي السماء . ولكنهم في ضلال . فان مثل هذه الحياة هي الجحيم بعينه . لأن هذا العالم لم يخلق الا للمحبين وللذين يخدمون .

فاذا كان قلبك ممتلئاً بالمحبة ، واذا كانت يداك مشتغلة بأعمال الخدمة النافعة ، فأنت سعيد في هذا الوجود لانك قد حللت أسرار الحياة واكتشفت ألغازها وكنوزها بمحبتك وخدمتك .

الظاهر مرآة الباطن

ان اكثر أحكامنا بعضنا على بعض مبنية على ما نشاهده في مظاهرنا .

ان صاحب المعمل الكبير يبني آراءه في شأن مستخدميه على ما يراه في ظواهرهم اكثر مما في داخل رؤوسهم .

فاذا قلت ان هذا ظلم أجبناك في الحال انه أمر طبيعي لا مهرب منه . فانت تستطيع أن ترى خارج جسد الانسان ، ولكنك لا تقدر أن ترى ما في داخل رأسه حيث تقطن حقيقة عمله وخلقه.

ولا شك ان هنالك حقيقة نفسية وعدالة صحيحة في الحكم على المقرة الداخلية بالمظاهر الخارجية . فنحن ننفق أعمارنا في درس الظواهر ، والحكم عليها — وقد فعل جدودنا البرابرة القدماء نفس ما نفعله نحن اليوم .

ان نظرة واحدة الى وجه النمر تخبرك بالتحقيق عما في رأسه. ولو حدث انك لم تر في حياتك نمراً قط فان تلك النظرة الى خارج جسده تكفي لأن تجري الدم سخيناً في عروقك وتحملك على الهرب من أمام وجهه والاعتصام بحصن بيتك الحصين .

نظرة واحدة الى الفيل تظهر لك قوته الهائلة وطبيعته الصالحة .

وأنت لا تحتاج الى درس علم قراءة الافكار لكي تستطيع

ان تحكم على الافعى والدجاجة من منظرهما الخارجي . فانك بالبداهة تحكم ان الدجاجة لا تعضك وان الحية لا تبيض لك بيضاً يغذي جسدك ويقويه .

ان مظهر الناس الخارجي يعكس الكثير مما في داخل الناس. والشيخ مهما بلغت اختباراته وعظمت معرفته يجد نفسه مضطراً للاعتماد على الظواهر الخارجية التي يظهر بها الاحداث قبل ان يحكم عليهم .

فالفكر المنظم لا يتخذ لنفسه سوى الالفاظ المنظمة والثياب المرتبة والحركات المتناسبة .

الثياب القذرة والالفاظ البذيئة مرافقة للافكار الشريرة .

لذلك لا يخطىء كل من يرفض معاشرة ذوي المظاهر القذرة !

الانسان الخارجي يعكس الانسان الداخلي والانسان الداخلي يؤثر في الانسان الخارجي .

المظهر الجيد يولد الثقة بالنفس ، والثقة بالنفس هي الخطوة الأولى في سبيل النجاح .

أما المبالغة في التأنق في المظاهر ، مما يدل على الاختلال في عقل صاحبها ، فهي الخطوة الاولى في طريق الفشل . ومثل هذا اهمال العناية بالمظاهر فانه يدل على ضعف الانسان ويقوده الى الخسران .

اذن فلتكن ثيابك نظيفة ، بسيطة مرتبة . وليكن كلامك نظيفاً ، بسيطاً ، مرتباً صالحاً — وهكذا تظهر لجميع الناس ان فكرك نقي ، بسيط ، ومرتب صالح .

القديس فرنسيس

ان الحياة السعيدة التي كان القديس فرنسيس الدمسيسي نموذجاً لها قد أسدلت عليها الحجب السوداء في هذا العصر المادي الحديث . ففي النور العظيم ، نور العلم المادي ، الذي بهر عيون الناس في الجيل الحاضر ، يظهر القديس فرنسيس ، لا كثر الذين يرد اسمه أمامهم في مطالعاتهم الكثيرة ، ظهور ظل محجوب حُفظ لنا من أعصر الايمان القديمة ، وهو يحسب في الدوائر « العاملة على تقرب الناس من الكفر والالحاد » زعيماً من زعماء الأوهام والأحلام .

كانت الأوهام كثيرة جداً في أيام القديس فرنسيس . هذه حقيقة ثابتة لدى المؤرخين. ولكن ألم يوضح لنا العلماء بعد البحث والاستقراء ان المعرفة محدودة نسبية ؟ واذا كانت الاوهام تعني عقائد مغلوطة أفلم يكن في تعاليم العلماء القدماء كثير من مثل هذه العقائد التي أدت الى ما هو أفضل واكمل منها على مرور الأيام ؟ يفاخر العلماء بأنهم حالما يعرفون ان آراءهم ونظرياتهم أقرب

الى الوهم منها الى الحقيقة يطرحونها في سلة المهملات ويتمسكون بما هو أقرب الى العقل وأشد انطباقاً على الواقع .

ولكن مَنْ مِن هؤلاء الاعلام يجرؤ أن يقول لنا ان القديس فرنسيس لم يكن ليعمل مثل هذا العمل لو وُجد في مثل هذا الموقف ؟ فالعلم كما نعرفه اليوم لم يوجد له أثر في زمانه . لأن العالم قد نسمي العلم ، أو خيال العلم ، الذي وجد في تلك الايام التي لم يبدأ فيها عهد التفتيش والدرس والبحث العلمي . فكل القوة العقلية التي كانت للانسان في ذلك الزمان اتجهت الى الدروس اللاهوتية ولم تعبأ بالدروس العلمية لعدم أهميتها اذ ذاك .

ولكن القديس فرنسيس لم يعتمد الدروس اللاهوتية في حياته كما اعتمد على الطبيعة . فقد انحصرت فلسفته ، كما أظهرها في حياته بالعمل والقول ، في ان كل ما في الطبيعة واحد ، وان الله ليس إله الانسان وحده بل هو رب الوجود بأسره . وكان يعتقد ان الطيور اخوة أعزاء له يعيشون في الفضاء كما يعيش هو على الارض ، ولذلك كان يعظهم ويؤمن بأنهم يصغون الى مواعظه ويفهمونها .

ولعلك تقول ان هذا جنون مطبق ومحض وهم وخرافة ! ولكن فاتك أن تتأمل في الجمال البالغ الذي في هذه العقيدة الانسانية الممتلئة بروح المحبة والرحمة الفياضة التي تعزي الملايين ولا تؤذي أحداً .

قال أحد بلغاء الكتاب الفرنسويين في مقال نشرته مجلة

« أخبار العالمين » ، وقد كتبه صاحبه بعد ان قام برحلة خصوصية الى بلاد القديس فرنسيس ، وأفاض في سرد ترجمة حياة الأخ المسكين ، وسياحاته العديدة ، حافي القدمين ، عاملا على التعزية والرحمة حيث سار وهذا نص كلامه :

وكان القديس فرنسيس ينظر الى الحياة نظرته الى سر عظيم وحرب خالدة بين السماء والارض . وقد خاض بنفسه غمرات هذه الحرب وخرج منها ظافراً بعد أن ذاق الاهوال والشدائد في ساحاتها الفاجعة . »

أجل ، ان غاية واحدة عاش القديس فرنسيس لاجلها ، وهي محاربة الشر في أي مظهر ظهر به . وهو لذلك يستحق اكرام الانسانية قاطبة لانه كان من أفضل انصارها .

أطفال في السجن

ان عظمة الشريعة وجمالها البالغ في أميركا المتمدنة ! قد ظهرا بأتم الوضوح في مجلس أحد القضاة في مدينة نيويورك العظمى من مدة وجيزة .

فقد ألقي القبض على عاملة مسكينة وقيدت في الحال الى المحاكمة كمجرمة هائلة لانها تركت برميل الرماد مفتوحا في المحل الذي تشتغل فيه ، فخالفت بذلك الشريعة العظيمة التي وضعتها المدينة

العظيمة !! ولذلك وجب أن تقاد صاغرة الى المحاكمة !!

وبعد النظر في الدعوى حكم القاضي العادل ! ! !على المرأة الفقيرة بدفع ريالين جزاء مخالفتها لمنطوق الشريعة . واذ لم يكن للمرأة ما تدفعه أمر فضيلة القاضي بان تقاد الى ظلمة السجن للتكفير عما اقترفته من اضطراب العدالة في راس صاحب الفضيلة جناب القاضي المعظم ! ! ولولا تطوع بعض ابناء الرحمة (من مراسلي الجرائد ورجال الشرطة والنقل) لدفع الجزاء لظلت تلك المرأة المسكينة في سجنها الى ما شاء الله .

ولكن لم تنتهي القضية عند هذا الحد البسيط ، فاسمع تتمة الخبر.

فقد كان لهذه المسكينة طفلان ، اسم الاول منهما دومينغو وعمره سنتان ونصف ، واسم الثاني انطونيو وعمره احد عشر شهراً . وكان الطفلان مع والدتهما في حضرة القاضي الكبير ! ولكن هذا المشهد لم ينل رضى صاحب الفضيلة ، ولذلك سأل المرأة بحدة وغضب:

« لماذا احضرت هذين الطفلين الى هنا ؟ »

سؤال يدل على منتهى الجهل ـ كأن للمرأة المسكينة خداماً يقومون بالعناية باولادها أو سائقاً يحملهما في سيارتها الى منتزهات المدينة ! .

ولكن المرأة قبلت هذا الاحتقار بصبر وأجابت بهدوء ووداعة قائلة : (ليس في بيتي من يعتني بهما يا صاحب الفضيلة ، ولذلك اضطررت الى احضارهما معي .)

كل هذا لم يؤثر في صاحب العدالة ! ! بل قال لها بكل بلادة وقسوة (ريالان !)

بكت المرأة . تضرعت . ولكن بدون فائدة ! فأمر القاضي أن تخرج من المحكمة الى السجن . فأخرجت في الحال تحمل انطونيو على ذراعيها ودومينغو متعلق باهدابها يجر قدميه وراءه !

وكان في المحكمة اذ ذاك مندوب لجمعية (مساعدة الاطفال) فاندفع بغيرته المسيحية ورأفته بالولدين الصغيرين وطلب أن يأخذ الطفلين ويعني بأمرهما ؟ عاطفة جميلة اكثر الله من مثلها في هذا العصر المادي الذي تكاد الروح فيه تقضي في وحدتها الراعبة .

أما المرأة المجرمة (في نظر صاحب الفضيلة !) فانها رفضت بحق أن تترك ولديها ، ولذلك سار الثلاثة معاً ، كأنهم اعداء الانسانية الالداء ـ الى سجنهم المظلم !

ولكن الانسانية لا تعدم في وقت محنتها من أبنائها المخلصين الذين تتحرك قلوبهم بالرحمة وتستفزهم الغيرة الحقيقية لنصرة المظلومين ولذلك لم تبق المرأة في سجنها طويلا بل جاء من افتداها ممن اشرنا اليهم سابقاً من أبناء الرحمة . ولكنها دخلت السجن ! والدة وطفلان بريئان حكم عليهم بالسجن كاعداء المجتمع وصدر الحكم من قاض متمدن في بلاد متمدنة !

لاشك ان القاضي رجل شريف ، (وكلنا رجال شرفاء) وقد قام بواجباته وعاقب المجرمة بما تنص عليه الشريعة . بيد اننا نستطيع

أن نقول في هذا الموقف ان هنالك صفتين ملازمتين للقاضي العادل وقد كانتا من أيام سليمان الى الآن حلية القضاة وزينة القضاء ، وهما القلب الرؤوف والعقل الرجيح .

ان براميل الرماد والاقذار يجب أن تغطى دائماً . ولكن رجال الشرطة وقضاة المدن الذين لا يعرفون طريقة لتنفيذ هذه الشريعة غير طرح والدة مع طفليها في السجن — هؤلاء يجب بحق وعدل ، ان يعزلوا من وظائفهم ويعينوا في دائرة القبض على الكلاب !

الرأي العام في اليابان

قال أحد الحكماء (الاختبار جميل جداً . ولكن الرجل الحاذق يترك غيره من الناس يتألم من أنياب الافاعي المنغرسة في لحمه ويكون له من ذلك درس واختبار .)

الحكمة بالغة الفائدة للجميع . ولكن الحكمة لا يتيسر لانسان ان يبلغ كنوزها الا بعد اختبارات طويلة ودروس عديدة وشيخوخة كاملة ولذلك قلما يتاح له ان يتمتع بثمراتها اليانعات .

ان وقت الحكمة هو الشباب . ففي الشباب تستطيع ان تنتفع بالحكمة لتسدد خطواتك في طريقك الى النجاح والحياة السعيدة .

واول ما يجدر بالشاب أن يفعله هو التقرير بعزم ثابت انه

يريد الحكمة ، وانه يفضل الحكمة على الجهالة .

ان هذا صعب جداً ، لأن اهواء الشباب قوية وغوايته بالغة وتسرعه عظيم ، ولذلك سرعان ما ينقاد للدجالين والمنافقين وما اكثرهم . يقنعه جهله ، او حديث الجهال الذين يرافقهم ، ان الحكمة تعني البلادة وتقزز العواطف ، ولكن الحقيقة التي لا مراء فيها انه ما من مغامرة عظيمة أو لذة مقيمة او نجاح باق بدون الحكمة .

للحكمة ينبوعان يستقي منهما جميع الناس بالسوية . وهذان الينبوعان هما الكتب والشيوخ الحكماء . ويمكن ان نضيف اليهما عاطفة داخلية عامة يجب ان تنشأ في قلب الراغب في الحكمة من الشباب لكي يقدر ان يميز الصواب من الضلال والحقيقة من الخيال

كان يوريتومو Yoritomo من احكم مفكري اليابان . وقد اوجد مملكة الشوغونز Shoguns الاولى فحسب بين الساسة الثلاثة العظماء الذين لمعت نجومهم في افق اليابان منذ نشأتها حتى اليوم . وقد مات هذا الحكيم في القرن الثاني عشر ولكن تعاليمه خالدة تخص جميع القرون .

ومن آرائه الرصينة ان الرأي العام يتألف من عناصر مختلفة أهمها خمسة ، وهي :

(العقل — الاعتدال — التأمل — الثبات — الحكمة)

ومن اقواله في الحكمة ما يأتي ننقله بالحرف الواحد لفائدة القراء الادباء .

« قد ذاع على الالسنة وأجمعت آراء الناس على أن الحكمة رفيقة الشيخوخة وان الانسان لا يتعلم الحكمة الا بالاختبارات الطويلة والدروس الكثيرة .

« ولكن هل يتوقف الانتفاع بالحكمة على البلوغ الى نقطة الانحلال الطبيعي الذي يرافق الشيخوخة ؟ لماذا تعطون الشيخوخة كل الحق بالحكمة ؟ لماذا تحصرون جمال الحكمة ولا تحسرون القناع عن وجهها الصبوح إلا أمام العيون التي أغمضت عن رؤية الجمال والقلوب التي هدأت نبضاتها أمام الحياة ؟

« ماذا يقول الناس في رجل يفاخر بخواتمه الثمينة في حين انه خسر اصابعه في الحرب ؟

« اذن فلا نقصر واجبنا على تشجيع الشبان للانتفاع بدروس الحكمة واختباراتها فقط ، بل يجدر بنا بالأولى ان نوضح لهم كيف يحصلون على ثمرة هذه الدروس الجميلة .

« اما الذين يتمسكون بزعمهم انه ما من شيء يوازي نفعه الاختبار الشخصي ـ فلهم نقول : ان الرأي العادل في اي موضوع لا يمكن ان يتخذ لنفسه شكلاً ، اذا فصل بينه وبين عاطفة صاحبه بالفواصل والحواجز المتينة .

« افهل من الضروري ان تختبر الآلام لكي تقدر أن تمنعها أو تستأصلها ؟

« إن أكثر الاطباء لم تقتلهم الامراض التي يعالجونها في كل يوم ويبرئونها ؟

« إذن لماذا لا نقدر أن نفعل للفكر نفس ما نفعله للجسد ؟

« اننا نستطيع بأجمعنا ان نحصل على الحكمة ، وأن نستثمرها في حياتنا ، اذا كانت لنا الارادة فنقتنع أن اختبار الآخرين نافع لنا مثل اختبارنا وأزيد . »

اعمل ليوملك يعمل ابنك لغده

كان بين ترانيم كنيسة المثوديست في أميركا ترنيمة مطلعها هذه الكلمات :

« سدّد يا رب خطواتي ، واجمع قوتي ،
لكي أخدم الجيل الحاضر ،
وأقوم بواجبات رسالتي . »

وفي هذه الكلمات القليلة بيان صحيح لما يُفرض على كل انسان القيام به في هذه الحياة .

فما من رغبة يختلج بها قلب بشرٍ على الارض أسمى من الرغبة في خدمة جيله .

ان أكثر ما في العالم من الشر والاستبداد والضلال ناتج عن تحويل جهود الانسان من يومه وأعماله الى ما لا يخصه في الغد القريب أو البعيد !

من أقدم الرغبات البشرية التي حملها صدر الانسان على ممر الزمان — الرغبة في الحياة بعد القبر. فان هذه الرغبة كما قال جون فيسك John Fisk تحيا بحياة الانسانية وتدوم بدوامها.

غير أنها لا تنحصر بالخلود الشخصي فقط بل تتناول الطموح الى تقييد أبنائنا وأحفادنا بقيود اخترناها لذواتنا ونود اجبارهم على التقيد بها بعد موتنا.

الشكل الاول من هذه الرغبة جميل، ولكن الشكل الثاني قبيح جداً.

نبني البيوت لأبنائنا وورثتنا ونرغب اليهم ان يعيشوا فيها مئات السنين بعد مفارقتنا لها. ولكن هذه البيوت التي توافقنا ونجد فيها مسرتنا وراحتنا لا توافق أولادنا وأحفادنا.

خذ رومية مثلاً. فالناس فيها اليوم عبثاً يحاولون أن يعيشوا في الاقبية والاهراء الكبيرة، التي أطلق عليها جدودهم القدماء لقب «قصور»، لأنهم لا يجدون فيها الراحة التي يتمتعون بها في البيوت الحديثة. وكم كان الأجدر بأولئك الجدود عند موتهم أن يأمروا بهدم قصورهم وطمر أسسها وحرق أثاثها!

ولو اقتصر الامر على بيوت الاجساد لهانت القضية وخفت البلية.

فنحن ما زلنا نقيد افكار ابنائنا بقيود افكارنا، فنوجد لورثتنا وجميع من يعيش بعدنا، ممن هم افضل واعقل منا، الحكومات

والولايات، ونكتب لهم العقائد والنظامات ، ونضطرهم الى اعتناق المذاهب والنظريات اللاهوتية التي اعتنقها جدودنا القدماء ، فتبعنا نحن خطواتهم مكبلين افكارنا ومقيدين حريتنا بقيودهم الثقيلة . ونبني لهم المدارس والكليات ونرغمهم على العناية بها ، ولو بطلت الحاجة اليها وقلت او زالت الفائدة منها . ونبذل قصارانا ، بواسطة الوصيات والرغبات الشرعية المسجلة ان نحفظ لذواتنا بالسلطة الكاملة على الاموال التي نتركها لهم

تلك اوهام خلفتها لنا اجيال الظلمة، أفهل يليق بنا ،ونحن نعيش في عصر النور ، ان نظل متمسكين بها ولا نضرب بها عرض الحائط ؟

لكل جيل افكاره الخاصة وحاجاته الخاصة . فلنستعمل كل أفكاره المختصة في قضاء حاجاته الحاضرة ولنترك تدبير مناهج حياة اولادنا لأفكارهم وارائهم المختصة بهم. ولنذكر ابداً قول الحكيم

« اعمل ليومك يعمل ابنك لغده »

ارفع رأسك

هئنذا أصارحك القول في حقيقة هذا العالم الفاسد الذي نعيش فيه : وخلاصتها انك اين سرت وايان توجهت ، الى الامام او الى الوراء ، الى فوق او الى تحت ، فان العالم يسرع لمساعدتك للزيادة في ما انت عليه .

فاذا كنت تصعد سلماً قدم لك الجميع اكتافهم ، واذا كنت تتدهور في هوة تراكض الجميع لدفعك الى اسفل السافلين ! هذا هو ما نسميه في هذه الايام الحديثة المشاركة بالشعور !

كثيراً ما تسمع ان الاغنياء يزدادون ثروة والفقراء يزدادون فقراً ، والناس من هذه الحالة يتضجرون ويتذمرون . هكذا عاش الانسان منذ وجد على الارض ، وهكذا يعيش اليوم ، لان الطبيعة البشرية لا ترضى عن الحياة الا اذا كانت بهذه الطريقة . فالمجتمع يتمشى على نظم معينة غايتها انماء ثروة الاغنياء ، وقوة الاقوياء ، وزيادة الضعفاء ضعفاً فوق ضعفهم .

القاعدة صريحة لا تحتمل التأويل والتفسير :

« من له يعطى فيزداد ، ومن ليس له فحتى الذي عنده يؤخذ منه »

هذه هي القاعدة الطبيعية فلا تكثر من الشكوى بدون جدوى فهى شريعة الطبيعة الثابتة ، وكل ما يجب ان تفعله امام شرائع الطبيعة هو ان تطبق حياتك على وفق نصوصها وتعرض عن النواح والمراثي

وفي هذه الشريعة سر النجاح وسبيل الفلاح .

قد يخيل اليك لاول وهلة انها ظالمة . ولكنك اذا امعنت في درس نتائجها في حياتك لوجدت في الحال انها لا تظلمك ابداً ، ولكنك انت تظلم نفسك بنفسك .

من هو الرجل الذى تريد ان تعاشره ؟ هو ولا شك الرجل الذي يحب كل انسان معاشرته . وما هو الكتاب الذي تحب ان تقرأه ؟

هو بدون ريب الكتاب الذي يتوق اكثر الناس لقراءته . وما هي الصورة او الرواية التي تود ان تراها؟ والمحل الذي تريد ان تشتري منه ؟ هي بالحقيقة الرواية او الصورة التي يتحدث بها اكثر الناس والمحل الذي يشتري منه اكثر الناس

يقول المعلن في اي اعلان كان! « اتبع الجمهور » وهو لا يقول مثل هذا القول الا لانه يعرف عناصر الطبيعة التي تتركب انت منها . اذا كان لديك مئة ريال لا تحتاج اليها في اعمالك ، فمن تريد ان تقرضها ؟ أللفقير الذي يحتاج اليها ؟ كلا والف كلا ! بل انما تعطيها للغنى الذي لا يحتاج اليها .

اذا طلبت منك ان تقرضني ربع ريال ، فانك لا تتردد عن ان تفعل ذلك اذا كنت تعرف ان هذه الكمية من المال لا قيمة لها عندي ، ولكن اذا خامرك الشك في اني بالحقيقة احتاج الى هذا الربع لاشتري به رغيفاً من الخبز اسد به جوعي فان القضية تتحول في فكرك للحال الى مسئلة تحتاج الى الدرس والنظر ، فتعرض عني

وسائل المدنية

ماهي وسائل المدنية ؟

ما هي القوات التي يجدر بالامم ان تعتصم بها في طريقها الى عمرانها؟

ما هو التقدم الجدير بعناية الانسان ، وما هي الاصول التي ينشأ منها هذا التقدم ؟

اكثر الأجوبة التي يقدمها العالم على هذه الاسئلة شخصية مصبوغة بالغايات السطحية .

يدعي المدافعون عن الدين المسيحي ان الكنيسة هي اول وافضل وسيلة للمدنية . ويؤيدون دعواهم بالبراهين الدامغة والحجج القاطعة — وبراهينهم وحججهم جيدة بذاتها .

ولكن اذا كانت النتائج التى توصل اليها مقدماتهم صحيحة لوجب والحالة هذه أن تكون البلدان المسيحية أقرب الى الكمال مما هي عليه الآن . بيد أن جميع الجهود التى بذلتها الكنيسة لتحرير ابنائها من الروح البربرية والهمجية الحيوانية لم تثمر الثمرة الناضجة التى تحتاج اليها المدنية الكاملة . ولذلك فان الكنيسة وحدها لاتستطيع أن توجد لنا المدنية المنشودة .

وزعم آخرون ان العلم هو الوسيلة الوحيدة للمدنية الصحيحة. وانما أرادوا بالعلم جميع فروع المعرفة البشرية والتربية والتهذيب ونشر أنوار العقل في جميع انحاء الأرض لتبديد الظلمات الحالكة القائمة عقبات كأداء في سبيل المدنية . ونحن نقول لهؤلاء الاخوان المحترمين : « جميل ما تقولون ، ولكن هذا الجواب لا يفي وحده بالغاية المقصودة .»

وآخرون قالوا أن الفنون الجميلة هي غاية ما يطمح اليه الانسان في رفعة روحه وترقية عواطفه وترويض غرائزه الجامحة .

ولكن الفنون وحدها لا تجيبنا الى سؤلنا .

فما هي الحقيقة إذن في هذا الموضوع ؟

هي أن كل أمة تحتاج ، للبلوغ الى محجة مدنيتها وعمرانها ، الى هذه الثلاثة معاً :

الكنيسة والمعرفة والفنون

واذا أمعنا في درس هذا الموضوع نرى أن الأساس الثابت الذي يبنى عليه صرح المدنية الحقيقي إنما هو كل ما يعمل على تحويل أنظار الناس من لذّاتهم الجسدية وانانيتهم الحيوانية الى اللذّات الفكرية والتضحية في سبيل خير الانسانية .

هذه هي صخرة المدنية وليس بين أبناء النور من يغمض عينيه عن رؤيتها .

ثلاث هي وسائل المدنية : العاطفة الأدبية ، وهي ثمرة لشجرة الدين الصحيح ، وإنماء مواهب الفكر ، وهو ثمرة لشجرة المعرفة ، وحاسة الذوق السليم ، وهي ثمرة لشجرة الفنون الجميلة .

فاذا فُقدَت واحدة من هذه الوسائل الثلاث في أمة من الامم كانت مدنيتها ناقصة معرّضة للاخطار والاضرار .

كانت مدنية الاجيال المتوسطة عقيمة سقيمة لان الناس في ذلك العهد حصروا كل جهودهم في الدين — القشور منه دون

اللباب . وكانت مدنية اليونان ناقصة ، لأنهم لم يحفلوا بغير الفنون. والمدنية الاميركية اليوم غير صحيحة لأنها منصرفة بكليتها الى تهذيب العقل وترقية الفكر فقط .

كل واحدة من هذه المدنيّات الثلاث بشعة ، ضعيفة ، ظالمة ولا أثر للخلود فيها . لان في كل منها نزعة قوية للهمجية والبربرية . وفي لندن وشيكاغو اليوم من همجية الحياة وعبودية المدنية نفس ما كان في تجارة الرقيق عند الاغريق وإضطهاد الاديان عند الرومان في الاجيال المظلمة .

أجل ، أن الانسانية المقبلة — انسانية الغد — ستنمو وتعيش في وسط مثلث من الدين والفن والعلم فتستثمر هذه القوات الثلاث التي تحرر روح الانسان من مخالب الحيوان .

كل أمة من أمم الارض تحتاج في مدنيتها وعمرانها الى هذه القوات الثلاث مجتمعة معاً . وكل واحدة من هذه القوات بدون رفيقتها ، أو كل اثنتين بدون الثالثة ، إنما تؤدي الى مدنية ناقصة تسير ، مهما زهت ولمعت ، الى الزوال والهوان .

طوائف الخالدات

يجب أن نعيش بين طوائف الخالدات .

أما الفرق بين الخالدات وغير الخالدات فهو كما يأتي :

الخالد هو كل ما يدوم بدوام الحياة وينمو بنمو الانسان .

تراه لاول نظرة فلا تحبه ، ولكن كلما أمعنت في درسه إزددت حباً له وتعلقاً به .

وغير الخالد هو كل شيء مبتذل ، جميل المظاهر قبيح البواطن ، تحبه لأول نظرة وتعجب به ، ولكنك لا تلبث بعد الدرس أن تمله وتضجر منه .

قال أديب : « كل جديد غير حقيقي ، وكل حقيقي غير جديد . »

وفي قوله بيان صحيح لما نحن في صدده ، بعد أن نحسم منه التعميم الذي يشمله .

فان البرهان الثابت على الحقيقة الباقية في عبقرية بيتوفن ووغنار إنما هو ظاهر في دوام المنفعة التي يحصل عليها العالم من آثارهما الأدبية . وكلنا يعرف « أن الجميل في الموسيقى لا يموت . »

ولا تقتصر هذه الحقيقة على الموسيقى وحدها . فكما أن للموسيقى خالداتها كذلك نجد أن لكل فرع من فروع الحياة خالداته .

فهنالك الحاسات الخالدات والانفعالات العميقة الكامنة في أعماق النفس ، التي اذا عرف الانسان كيف يستثمرها كانت ينبوعاً لا تنضب مياهه لجميع العواطف النبيلة .

وفي مقدمة العواطف النابعة من هذا الينبوع الحيّ :

محبة البيت .

محبة الزوج .

محبة البنين .

محبة الاصدقاء.

محبة الله .

أما اللذة التي يجدها الانسان في الشهوات التافهة ، والثياب الانيقة ، والمشاهد المهيجة في الروايات ، والصور المتحركة ، والانفعالات المتأتية عن طريق المسكرات والمخدرات ، وغير ذلك من اللذات الجسدية المدونة في قاموس الرذيلة ، فهي وقتية زائلة لا نتمتع بها لحظة حتى نهجرنا جيلا . ونحن في الغالب أتعس بعدها مما كنا قبلها .

وهنالك بشر من نوع الخالدين — أغنياء بكل ما هو باق وجميل وكنوزهم الصالحة لا تفرغ أبداً .

وهنالك كتب من طائفة الخالدات — تستلذها وتستفيد من مطالعتها للمرة الثالثة أكثر من المرة الاولى ، وتود لو يتاح لك ان تقرأها كل يوم .

وهنالك نساء من طائفة الخالدات ، وهنّ بأجمعهنّ اخوات لتلك التي قيل فيها : « أن حبها مدرسة تعلم الحرية . »

وهنالك ما هو أعظم من الجميع : — بقاع خاصة تدعى بحق كامل « بقاع الخالدات »، وهي نقط معينة على الارض تشعر وأنت تعيش فيها ان الحياة تتجدد في مفاصلك وتجري مع دمك في عروقك حتى النسمة الاخيرة من حياتك .

احفظ فمك مطبوقا

تأمل جيداً في كل عشرة أشخاص تمر بهم . فانك ولا شك تجد ان ستة من العشرة يمشون فاتحين افواههم . ولعلهم يتنشقون الهواء بافواههم .

عند ما كونتك القوة الخالقة ثقبت في أنفك ثقبين لتنشق الهواء. أما فمك فصنعته للاكل والشرب والكلام ، وليس لحمل الهواء الى رئتيك . وقد وضعت في المنخرين قوة لقتل الميكروبات ، ولكن الفم لم تسلحه بمثل هذه القوة ، ولذلك ظل شبكة لجراثيم المرض على أنواعه .

فتنشق الهواء بمنخريك تحفظ نفسك من جميع الامراض التي تأتيك عن طريق فمك .

احفظ فمك مطبوقاً تحتفظ بجمال وجهك ولا تبدو للناظرين اليك بشعاً قبيحاً . وبمثل هذه الطريقة تتجنب الشخير في نومك لان العالم كثيراً ما يخطيء بالاعتقاد ان الانسان يشخر بأنفه. فالنائم الذي يتنفس بمنخريه لا يشخر البتة بخلاف المتنفس عن طريق فمه . نم وسكر فمك تستريح ولا تزعج الناس الذين ينامون معك أو قريباً منك .

واذا تعودت ان تحفظ فمك مطبوقاً كانت هذه العادة جزيلة الفائدة لنفسك ولسعادة حياتك . لانك في مثل هذه الحالة لا تكثر

الكلام الذي هو في الغالب مجلبة للعثرات والأوجاع . أما تسكير الفم فهو في اكثر الأحيان الوسيلة الوحيدة للخلاص من هموم ومتاعب كثيرة .

قيل ان الجنرال غرانت كان يقدر أن يسكر فمه مع انه كان يتقن سبع لغات . شهرة شريفة ما اكثر الذين يحسدونه عليها !

فاننا اذا تكلمنا نفسح المجال للناس فيعرفوا القليل الحقير الذي نعرفه . ولذلك قال الحكيم ، « ان الجاهل نفسه يحسب حكيما اذا لم يتكلم . »

عرفت في حياتي رجلا — ربما كان أجهل من عرفت من الناس — بيد انه فاز في الانتخابات لحاكمية مدينته ، لان مستشاريه السياسيين أوعزوا اليه أن يسكر فمه في اثناء الانتخابات .

خير لك في كل حين أن يتعجب الناس من سكوتك ولا يتعجبوا من كثرة كلامك .

ولأجل هذا كانت الوسيلة الفضلى لوضع حد تنتهي عنده ثرثرة الثرثار في أي موضوع أراد أن يتكلم فيه ، سياسياً كان الموضوع أم اجتماعياً ، — خير وسيلة لاسكاته ان تستأجر له مكاناً يتكلم فيه ليعرفه الناس !

الصمت أبلغ بلاغة في الوجود . والصامت مستريح من اعتراضات الناس وتقولاتهم ، ينظرون اليه فيحسبونه أحكم منهم ويقدمون له كنوز حكمتهم اذا لم يفتح كنوزه .

واذا أحببت امرأة لتكون رفيقة لحياتك ، فلا تفتح فمك كثيراً ولا تطلق العنان للسانك . ما الفائدة من كثرة الكلام ؟ أجلس الى جانبها ، كأنك في جانب الهيكل ، واطبق فمك جيداً ، ثم امسك يدها ، وتأمل في وجهها ، ولا تتكلم . فانك لو شرعت في شرح عواطفك ربما خسرت كل ما في قلبها من المحبة لك .

وفي أعمالك التجارية أيضاً ينفعك ان تحفظ فمك مطبوقاً .

أفسح المجال لمن يخاطبك ليتكلم بما شاء وطاب له . دعه يتكلم ولا تعترض أحاديثه ، وهكذا تعرف أسراره من كلامه . أما أنت فلا تقل شيئاً ، لانك كثيراً ما تندم بعد فوات الفرصة على ما قلته وكان حقه أن يظل في اعماق سرك .

ولاشك ان للصمت حدوداً اذا تجاوزها ضاعت الفائدة منه . فلا تكن أخرس ابكم . بل تكلم قليلا . ولكن إياك أن تجعل هذا القليل كثيراً . وخير طريقة لحفظك في مأمن من العثار في قولك أن تتخذ لنفسك عبارتين أو ثلاث عبارات لا خطر منها عليك أو على غيرك فتقولها كلما سنحت الفرصة ، كالعبارتين التي نال بواسطتهما « ادورد افرت هايل » المشترع المعروف شهرته البالغة إذ كان يقول كلما طلب منه الكلام :

« انني أوافق حضرة الزميل الجالس في الجانب الآخر من القاعة في كل ما تفوه به . » أو ، « قد أفاض الزملاء في الدرس والتبيان ، وأجادوا في كل ما أوردوه من الحجج الراهنة حتى أراني

عاجزاً عن أن أضيف الى أقوالهم حرفاً واحداً . »

ردد هاتين العبارتين أو أنسج على منوالهما .

لاتفتح فمك كثيراً أيها الثرثار . واسمح لي أن أصارحك القول بان اكثر ما تعرفه أو بالحري تظن انك تعرفه هو عين الجهالة فاحفظ جهالتك في ذاكرتك ولا تفسح المجال للناس أن يكتشفوها بكلامك .

وعلى كل حال اذا فتحت فمك فبالله عليك لا تنس أن تغلقه قبل أن تقتل الناس وتقتل نفسك بما يخرج منه

الدواء لداء العالم

قال حكيم :

« كنت في صبوتي كثير التردد على جمعيات الاصلاح والمجتمعات العامة التي يقوم بها أنصار الفضيلة ضد الفساد والشر . بيد انني صرت في هذه الأيام الأخيرة كثير الشكوك في أمر هذه الجمعيات .

« انني لا احمل في قلبي أقل عاطفة احتقار للمصلحين والمنادين بشرائع المنع عن هذا والزجر عن ذلك من أعمال الحياة ، بل أنا أعجب بهم الاعجاب كله ، لان إيمانهم بالغير الممكن عظيم جداً وهذا النوع من الايمان يستحق الثناء الجزيل ، لان الذي يؤمن

بالممكن لا فضل له ، وانما الفضل كل الفضل لمن يؤمن بغير الممكن.

« على انني لا أسلم مع هؤلاء المصلحين بما يزعمونه من انهم لو أغلقوا كل خمارة في البلاد، وقضوا على جميع بيوت الفساد، ووضعوا الشرائع الصارمة بمعاقبة كل من يشرب المسكر او يتخذ الفسق مهنة له — إنني لا أسلم بأن مثل هذه الشرائع تأتي بثمرة صالحة . بل ، على العكس من هذا ، أعتقد بكل قوة فكري أن المجتمع الانساني يكون اكثر نقاء بدون هذه الشرائع . لان الجرح الذي يلتئم والزغل في قلبه خطر على حياة صاحبه . لذلك وجب علينا والحالة هذه أن نداوي المرض قبل أن نضع القناع على مظاهر المرض . فاذا كان في دم الانسانية فساد يجب أن نفسح له الطريق ليظهر فنراه ولا يبقى كامناً يتهدد الحياة بالاضرار ، وإلا فنحن نساعد أنفسنا على الافتكار في اننا أصحاء في حين اننا ممتلئون بالاسقام الداخلية . والمرض الخارجي نراه فنضع له حداً ولكن المرض الداخلي يقودنا الى حتفنا من غير أن نفطن له .

« ان الاصلاحات الوحيدة التي تحبها نفسي إنما هي العاملة على استئصال جميع العوامل على الرذيلة والخؤول دون كل حالة تؤدي الى الفقر والجريمة . ولذلك أحترم من صميم قلبي الكاهن الكاثوليكي العامل في رعيته ، والواعظ المعمداني الذي لا ينقطع عن الوعظ والارشاد ، والمرشد والمعلم بين العبيد وبين اتباع جيش الخلاص وغيرهم . فان هؤلاء الزعماء ، على اختلاف طوائفهم ، يضربون

كلهم على وتيرة واحدة — لقيادة الناس الى الفضيلة وإبعادهم عن الرذيلة ، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . قد يكون انتقادهم جميلا في بعض الظروف ، ولكن ليس من حسن الذوق أن تقف بجانب الحصادين تفتقد عملهم . قد يكون هؤلاء الحصادون ضعفاء لا يحسنون القيام بأعمالهم ولكنهم أفضل منك على كل حال ، لانهم هم يعملون وأنت تتكلم !

« وأحب أيضاً الاشتراكي واللا أدري ، وأنا لا أعني بهما الفوضوي الذي لا همّ له سوى القاء المتفجرات في الاماكن الآمنة ، بل إنما أعني ذلك الفيلسوف الذكي المتحمس لمبادئه الحقيقية التي ستقود العالم الى السعادة الحقيقية .

« وأحب المدارس العمومية ايضاً ، لانها تعمل بجد واجتهاد على قلع جذور الشرور الاجتماعية من قلوب الشبان والشابات . فان هذه المدارس ، كما أظهرت لنا الاختبارات الماضية ، تقضي شيئاً فشيئاً على التعصبات الطائفية والجنسية التي فرقت بين الناس اعواماً طوالا . وتعلم جميع الطلبة روح الحرية والاخاء والمساواة — ولا عمران في الوجود بدون هذه الروح الطاهرة !

ويمكننا أن نضيف الى هذا الجرائد الراقية والمجلات والكتب النظيفة وكل ما يعمل على نشر المعرفة وتعزيز العقل بين الجماهير .

« وربما كانت التسلية ووسائلها المتعددة اعظم من كل ما ذكر في تكوين الاخلاق الفاضلة ومحاربة الاخلاق الشريرة فالناس كثيراً

ما يتجاهلون المنفعة التي يجنيها الاحداث من مشاهدة الصور والروايات . واني لواثق بان القرن العشرين سيرى عاجلا او آجلا ان كل بلدية في اميركا وفي كل بلاد متمدنة ستعاضد الصور المتحركة والروايات التمثيلية التي هي خير وسيلة لتعزيز المباديء الشريفة في حياة الناس .

« فما من اختراع او استنباط استطاع ان يعزز الفضيلة ويذلل الرذيلة كالصور المتحركة . »

« لا تفعل هذا » ، و « لا تقل هكذا » ، و « لا تعاشر هذا » و « لا تقرأ ذاك . . » وامثال هذه من الزواجر والنواهي هي ادوية قديمة لم تكن لها فائدة في استئصال داء العالم ولن تكون ، لانها تعالج الظواهر وتهمل البواطن .

أجل ، ان المتعصبين بالدين انفسهم لا ينكرون الحقيقة الجميلة التي عليها يبني صرح المسيحية وخلاصتها ان الله اعرض عن قيادة الناس بالشريعة والناموس ، ولذلك ارسل ابنه لكي يرفع ، ويرفع العالم معه .

ماذا يحب

جلس المستر « هبكنيز » في كرسيه الجميل بعد العشاء وطفق يحدث الجالسين حوله قائلا :

« يلذ لي ان افكر في ما احب ان اعمله . لان هذا في عقيدتي هو افضل عمل يقوم به الانسان لتسلية نفسه وتعزيتها .

« فانا احب قبل كل شيء ان اصطاد السمك من الانهار والبحيرات . لان هذا العمل هو بالحقيقة اجمل وسيلة للراحة من جميع الاعمال ، لانك لا تعمل فيه شيئاً !

« وهنالك اشياء اخرى كثيرة أحبها ، واكثرها صغيرة بذاتها ، لان الانسان ، اذ ينشد راحته ، قلما يعبأ بالكبيرات والعظيمات

« احب ان تكون « جرارات » خزانتي سهلة الخروج والدخول في مواضعها لكي لا تزعجني وانا افتحها واغلقها. واحب ان يكون في جيبي سكين صغير يقطع بسرعة وسهولة

« أحب ان اجلس الى جانب صديق احبه واستلذ الجلوس قريبا منه من غير ان ينطق بكلمة . فهو الرجل الذي يساعدني على الهدوء والسكينة

« احب المرأة التي تدرك خير ما في فكري وما في قلبي ، من غير ان اظل مواظبا على ايضاح ذلك لها كل الوقت .

« احب المنشفة الخشنة ، واحب ان توضع لي فوطة جديدة

كل مرة أجلس الى الطعام . واحب ان اشمّ رائحة النظافة في مناديلي دون رائحة العطور المتنوعة

« أحب الاحذية التي لا توجعني ولا تضغط على قدمي. واحب قلمي الرصاص المحدد جيداً والحبر الذي ينطبع بوضوح على الاوراق البيضاء .

« أحب الشبان الذين يتخرجون من الكليات العسكرية ، فيسيرون مرتفعي الرؤوس يجمعون الى صلابة العضلات رقة العواطف ووداعة القلب .

« أحب الكلاب التي تنصرف عنك وتأتي اليك بكلمة أو اشارة صغيرة .

« أحب الكتب الصغيرة التي لا يزيد حجمها على حجم راحة اليد

« أحب أن يكون الجو صافياً والشمس مشرقة في اكثر الاحيان ، ولكنني لا اكره الامطار في أوقاتها الملائمة .

« أحب رائحة الثلوج المتساقطة على الارض والقش المقطوع حديثاً وامواج البحار المتفقشة على الشاطيء وأوراق الاشجار المتموجة في فضاء الربيع .

« أحب سباق الخيل ، ولعب الطابة ، وأحب أن أشاهد مواكب الناس في شوارع المدينة وخصوصاً في ليالي الأعياد وأيام الانتخابات .

« أحب لعب الورق اذا كان الذين ألعب معهم يهمهم أن يغلبوني ويغضبهم أن أغلبهم

أحب أن أجلس مع زوجتي وأولادي بعد رجوعنا من المسارح العمومية نتحدث بما رأينا وسمعنا .

« أحب أن أرى في منزلي ضيوفا لم اكن اتوقع زيارتهم لي . أحب أن أقبض الحوالة بأجرتي في أوقاتها . وأحب أن يمدحني الناس ويثنوا على أعمالي ولو كنت أعلم أن مديحهم وثناءهم كذب ورياء

« أحب الذين يسهل الاتفاق معهم لأن محبة الاتفاق من طبائعهم ، أما الذين يتظاهرون بذلك فاني لا أحبهم ولا أحب مظاهرتهم .

« أحب أن اتخطر في المحلات الكبيرة ، وأن اركب السيارات النظيفة ، وأنام في الحمامات التركية ، وأحب أن تقلم أظافري فتاة لطيفة . »

وعند ما بلغ هذا الحد من حديثه أغمض عينيه وسكت طويلا . وحدث انني كنت بين الجلوس واصغيت الى كامل شرحه ، فسألته قائلا :

« وما هو الذي لا تحبه ؟ »

فأجاب قائلا : « انني لا أحب الذين يتحدثون ابداً بما لا يحبونه ! »

السكين الدامية

ما اكثر ما نبذله من الجهود والنقود في سبيل تهذيب أولادنا: ونحن نعني بالتهذيب ، كما هو الغالب في رأي الجمهور اليوم ، دروس القراءة والكتابة والحساب التي تحصر المدارس عنايتها في تعليمها للأولاد .

ولكن الولد يحصّل من اللعب اضعاف ما يحصله من الدرس من الفوائد الجسدية والفكرية والروحية. وقد عبر امرسون عن هذه الحقيقة بقوله ، « ان تلميذ المدرسة يتعلم من الكتاب الذي تحت الطاولة اكثر مما يتعلم من الكتاب الذي على الطاولة . »

يهتم المعلمون بتدريس القراءة والكتابة والحساب للولد الصغير ولكن الولد يترك وشأنه في الفرص المدرسية والأوقات التي قبل المدرسة وبعدها في كل يوم .

ولكن ما اجدر الأساتذة بان يعتبروا الحساب والجغرافية نوعين من اللعب ، فيدربون الولد على اتخاذ العابه منهما تحت مشارفة المعلم وملاحظته .

والولد يجب ان يتعلم اللعب كما يتعلم الدروس المختلفة . ولذلك يجب أن يتولى المعلمون تدريس الأولاد أنواع الألعاب المختلفة كما تفعل المدارس الراقية في مدينة غاري انديانا .

ان تعليم الولد كيف يلعب هو أصعب بما لا يقاس من ملاحظته

وهو يقوم بعمله ، لان الذي يقوم بالواجب الاول يجب أن يكون متضع الفكر وافر الاختبار عطوفاً على الاولاد ، ولكن القيام بالعمل الثاني سهل على كل انسان .

ولذلك نعتقد أن أفضل ميزة ترفع المعلم الصالح عن سواه من المعلمين إنما هي الميزة التي تجعله يتخذ من العمل وسيلة للعب والتسلية.

رأيت في نافذة أحد المخازن الكبرى في مدينة ديترويت مشيغن نوعاً جديداً من اللُعَب المعروضة للبيع ليتلهى بها الاحداث في أوقات الفراغ : وهي عبارة عن سكين صغير صُبغت شفرته بالحمرة بحيث يبدو للناظر اليه أنه مصبوغ بالدم . والاحداث يستطيعون بهذه السكاكين أن يمثلوا أدوار المتحاربين من اللصوص وقطاع الطرق وفي ذلك منتهى الخطر على مستقبلهم .

وهل بين المفكرين اليوم مَن يعتقد بأن الولد يستطيع ان يتعلم ، في ساعة واحدة يقضيها في مدرسة الاحد ، أموراً كثيرة تقف سداً منيعاً في وجه التيار الردىء الذي تقذف به حياته بين السكاكين الدامية اسبوعاً كاملاً ؟

أن السكين الدامية هي وسيلة لالعاب كثيرة يقوم بها الولد وجميعها تحط آدابه وتفسد أخلاقه . لان الالعاب البسيطة التي يقوم بها الاولاد في شوارع المدينة تحفر على صفحات قلوبهم تأثيراً سيئاً يعمل على شقائهم سحابة حياتهم ومحيطهم يشقى بهم .

فكما اننا نقدر أن نُرغّب الاولاد في الالعاب التي تمثل الهدم

والقتل والسرقة والقسوة فنحن أيضاً قادرون أن نُعوّدهم على الالعاب التي تمثل البنيان والرحمة والامانة واللطف .

لان أخلاق الانسان ، صغيراً كان أم كبيراً ، تتأثر بالملاهي والطرائق التي يقضي بها أوقات فراغه أكثر مما بعمله الذي يعيش منه . فالنوع الذي يحبه الانسان من الضحك والفكاهة إنما يظهر اخلاقه أكثر من نوع العمل الذي يقوم به .

ولسوء الحظ أن الحكومات لم تقدر حتى اليوم الاهمية البالغة التي في وسائل اللعب والتسلية .

أفلم تحن الساعة بعد لنسأل ذواتنا كيف نقضي نحن وأولادنا أوقات فراغنا ؟ أفلم تحن الساعة والسكاكين الدامية تعرض للبيع في أسواقنا ؟

كيف تحتفظ بأصدقائك

سهل جداً أن تصادق الناس ، ولكن الاحتفاظ بالصديق ليس بالأمر البسيط .

حديث لطيف ، عقل حصيف ، كرم وأريحية في موضعهما ، تصرف حسن في مجلس كبير ، شهامة تظهر من رجل او امرأة تكفي في وقتها أن تحملك بعد اول مقابلة على القول : « قد أحببت ذلك الرجل » او « قد أحببت تلك المرأة ! »

الصديق الحقيقي لا يمكن الحصول عليه بهذه الطريقة الفجائية . لأن حبه يجب أن ينمو في القلب شيئاً فشيئاً كما تنمو الوردة من قلب الارض .

تراه لأول مرة فلا تشعر باهتمام زائد فيه . وهو قد ينفر منك ويريد البعد عنك . وكثيراً ما يكون متحفظاً جافاً لا يتفق الكثير من صفاته مع صفاتك . فهو تارة يصمت حتى البلادة ، وطوراً يثور ويبالغ في وصف افكاره الثورية حتى تخال الحرب مشتعلة نيرانها امامك . ثم لا يلبث ان يتسربل وشاح الانانية اوالكفر او التعلق بالخرافات والاوهام والتعصب او غير ذلك مما لا ينطبق على افكارك وآرائك .

ولكن الزمان يظهر لك ما لا تراه لاول مقابلة . فانه يجمعك بهذا الشخص مرة بعد مرة — في عمل او لعب او مجتمع او وليمة او حفلة كبرى . وهكذا يتضح لكما مع الوقت انكما تقدران أن تكونا صديقين حميمين يصعب التفريق بينهما .

وبعد الدرس والفحص تجدان أن حياتكما حقاً جميلة سعيدة . فلا هو يزعجك بتصرفاته وكلماته ولا انت تخاف ان تفتح ابواب قلبك امام عينيه .

ونحن لا نعني بهذا انك يجب ان تعجب به بحكم الضرورة والصداقة . لان أعز اصدقائنا كثيراً ما نجد ان آراءهم الشخصية لا تتفق وآراءنا . فأنت تستطيع ان يكون لك آراؤك المختصة بك

كما تكون لصديقك آراؤه الخصوصية ، ولكن آراء الواحد لا تزعج الآخر ولا تمسه بوجه ما .

فاذا حصلت على صديق فاحذر ان تخسره .

واول ما تخسر به صديقك ان تطلب منه اكثر مما يجب ان يقدمه لك .

قد لا تشعر بأن صديقك مستعد أن يفعل لك كل ما تريد . ولكن كن شديد الحذر ولا تسأل معروفاً من صديقك ، بل كن مكتفياً بالاعتقاد اللذيذ انه يعمل لك كل ما تريد : وهو ولا شك يقدم لك كل ما يقدر عليه من غير سؤال .

لا تنصب الفخاخ لصديقك ، ولا تقل « أسأله ان يفعل لي كذا وكذا لكي أجرب صداقته . » لان كل من يجرب صديقه ليس أهلاً للصداقة .

إياك ان تطلب منه ان يترك عمله لكي يشاركك ويخدمك في عملك . ولا تثقل الاحمال على كاهل محبته وصداقته .

قال حكيم ، » لم يعمل أحد معي معروفا قط . ولاشك اني انتظرت الكثير من اصدقائي في ماضي حياتي ، بيد انني لا انتظر شيئاً الآن . فانني لم اتعلم ان انتظاري للكثير من اصدقائي يخيب آمالي فقط بل تعلمت أيضاً انه لا يحق لي في شرع الصداقة الحقيقية ان انتظر شيئاً من هذا . لأن الاصدقاء أشبه بالبستان الجميل الذي نحب باجمعنا ان نذهب اليه ، وهنالك نتمتع بعطر الزهور التي فيه

ولكن هذا ليس بالدليل على ان لنا حقاً بقطف تلك الزهور وحملها الى منازلنا ! »

انت قادر متى شئت أن تحتفظ باصدقائك اذا امتنعت عن بيعهم شيئاً بالمال أو التعامل معهم بالنقود والسلع ، أو تقديم نصيحة لهم ربما عرضتهم للخسارة . وبعبارة وجيزة يجب ان تمنع دخول الريال بينك وبين صديقك وفي ذلك اكبر حماية للصداقة .

ومن شر الطرائق التي يخسر بها الانسان اصدقاءه السعي المتواصل لاصلاحهم . فأعرض عن تعليم اصدقائك وحول هذه القوة لاعدائك . ولا تتخذ لك صديقاً الا ذلك الذي تستطيع أن تحبه كما هو !

فضيلة المال

لاجدال في أن الغني ليس بأفضل من الفقير في محكمة العدل الصحيح . لان الفقير الصادق لا تقل قيمته عن صاحب الملايين . والمال لا يدل بحكم الضرورة على الفضيلة أو الذكاء أو الأدب ، لأن قيمة الأنسان لا تتوقف على ممتلكاته الخارجية بل على ما في داخل قلبه وفكره من الكنوز الباقية .

غير أن في العالم حقيقة غريبة لا سبيل الى انكارها وهي أن المال في كثير من الحوادث الواقعة هو أقرب الوسائل وأنفذ العوامل على التخلص من القذارة والتقرب من النظافة .

كثيراً ما يكون المال قذراً يستخدمه الانسان في الرشوة والخداع والتضليل والهدم والتدجيل . ولكنه في ظروف كثيرة خير وسيلة للفضيلة والصلاح والنقاوة والفلاح .

وللايضاح الكامل تمثل بما يأتي :

اذا استأجرت منزلا بماية ريال في الشهر ، فانت تحصل على محلة نظيفة ، وتعيش بين جيران أفاضل ، وتكون جدران منزلك نظيفة وحماماته تامة المعدات ومطبخه كثير النوافذ الى غير ذلك من وسائل الراحة التي لا تجد مثلها في البيت الذي تدفع أجرته خمسين ريالا . فما السبب ؟ لا أعرف ! ... الصابون والماء والهواء واشعة الشمس كلها رخيصة ، ولكنك لا تقدر أن تحصل عليها في المنزل الذي تستأجره مالم تدفع ثمنها غالياً .

والفندق يكون نظيفاً جميلا اذا دفعت أجرة غرفتك فيه ثلاثة ريالات فما فوق ، ولا يكون كذلك اذا دفعت ربع ريال في الليلة!

وإذا ذهبت إلى المطعم ودفعت ريالا ونصف ثمن غدائك ، فلماذا تحصل إذ ذاك على صحون نظيفة ، ومائدة نظيفة ، واقداح وملاعق وماكل نظيفة ، وتنال خدمة ممتازة ؟ في حين انك اذا دفعت ثمن غدائك ١٥ نحاسة فقط كان كل ما حواليك على العكس من ذلك ؟

فلماذا كل هذا ؟

لماذا يسود الصراخ ويعلو الضجيج وتزدحم الرعاع في الروايات

التي نراها مجاناً في المراسح العمومية ، أما الروايات التي ندفع ثلاثة أو أربعة ريالات لنراها لا نشاهد فيها سوى الهدوء والترتيب ولا نرى فيها إلا كرام الناس وأفاضلهم ؟

لماذا تسأم نفسك السفر في السيارة الرخيصة، وتمل أذناك سماع صوتها ، وتخجل أن تسير بها في الشوارع الجميلة ،وتستحي أن يراها أصدقاؤك — وخصوصاً اذا كانوا من الجنس اللطيف — في حين انك تعشق أن تسوق السيارة الجديدة الغالية الثمن ، وتهوى سماع صوتها الرخيم ، وتفاخر أن تسير بها في شوارع المدينة واحيائها الاريستوقراطية ليراك القريب والبعيد ؟

لماذا تكون الخادمة ، التي أجرتها ثلاثة ريالات في الاسبوع بطيئة جاهلة ، في حين ان الخادمة التي أجرتها عشرة ريالات في الاسبوع تكون في الغالب ذكية سريعة في جميع أعمالها ؟

لماذا تكتب الكاتبة ، التي تنال من العشرين ريالا فما فوق في الاسبوع ، بملء الدقة والضبط وقلما تخطيء في التهجئة أو الانشاء في حين ان كتابة التي تنال أجرة قليلة محشوة بالأغلاط ؟

لماذا يكون الثوب الذي ثمنه خمسون ريالا جميلا جداً ويكون بشعاً غليظاً اذا كان ثمنه خمسة ريالات ؟

ما معنى كل هذا ؟

أفبعد ان لعنّا المال مدة خمسة آلاف سنة نضطر أخيراً الى الاعتراف بانه يمثل فضيلة عظمى وقوة محبوبة تساعد الانسان

للحصول على أفضل ما يكون من الهواء والفضاء واشعة الشمس والنظافة واللطف والاتقان في كل شيء ؟

ما هي القوة التي تجعل للمال هذه الفضيلة العاملة على الراحة والسعادة ؟

الهدوء

قال اللورد تشسترفيلد ، « الشهم لا يعرف العجلة . »

والكتاب المقدس يعلمنا « ان المؤمن لا يعجل أبداً . »

وفي كتاب الطبيعة نقرأ ان اسمى علامات القوة كائنة في الهدوء وأعظم القوات الجبارة في الوجود صامتة هادئة .

ترفع الشمس ملايين الاطنان من مياه البحار والانهار في كل يوم ، وتمنح جميع الكائنات على هذه الأرض الحرارة الضرورية لحياتها والنور الذي لا تحيا بدونه . بيد أنها تقوم بعملها العظيم باقصى ما يكون من الهدوء والسكينة . وفي الشمس من القوة اضعاف ما في الصواعق والبراكين والمفرقعات على أنواعها ، لأن تلك هادئة وهذه ضاجّة صاخبة .

وفي المعامل الكبرى نرى ان المغازل الصغيرة التي في الطبق الأخير من البناية تخرج أصواتاً غليظة قوية ، مع ان قوتها ضعيفة حتى لتستطيع أن توقفها بأصبعك ، وكلما نزلت من طبق الى آخر خفّت

الأصوات وازدادت القوة أمامك ، حتى اذا بلغت الطبق الأول حيث الآلة الكبرى التي تحرّك الأنوال كلها ، فانك تراها تتحرك أمامك بسرعة ودقة وانت تكاد لا تسمع همسها اللطيف بيد أن فيها من القوة ما يكفي لسحقك كما تسحق انت قشرة البيضة بلحظة واحدة تحت قدميك .

كل ضجيج وكل صراخ هو تبذير في غير موضعه . ولو قدرنا أن نخفف صوت القطار الكهربائي والآلة البخارية لكان ما نوفره يزداد معنا في قوتهما .

لذلك يليق بالناس ويزيد في رفاهية حياتهم أن يستثمروا الهدوء في حركاتهم وأحاديثهم وأعمالهم ، لأن قيمتهم الحقيقية في العالم انما تقاس بالنسبة الى قربهم من الهدوء وبعدهم عن الضجيج

ان الحمل هو اكثر المخلوقات وداعة ولطفاً . بيد ان سفر الرؤيا يخبرنا ان الناس سيهربون الى الجبال في يوم الغضب ويتمنون لو تسقط السماء عليهم وتغطيهم من « غضب الحمل » وفي هذا صورة واضحة للقوة الراعبة التي في الوداعة والهدوء .

والخالق نفسه هو أودع الودعاء واقرب الكل الى الهدوء والصمت . ولذلك نعتقد ان كل عظمة لا تلبس ثوب الهدوء والسكينة هي عظمة باطلة . لان العظماء الحقيقيين انما هم الودعاء بالروح والحق .

العهد الجديد

قامت في نيويورك ، في اثناء الحرب الكبرى ، جمعية اتخذت على نفسها ان تقدم نسخة من كتاب العهد الجديد لكل جندي من جنود الولايات المتحدة .

فلماذا اختارت كتاب العهد الجديد دون سواه ؟

لماذا حصرت تلك الجمعية عنايتها وانفقت أموالها في شأن كتاب قديم لم يعرفه العالم بعد ؟ أفما كان الاجدر بها ان تبذل جهودها ونقودها بشراء المدافع والذخائر الحربية والمآكل والمشارب والتبغ والحلوى وغير ذلك مما يفرح به الجندي ويستفيد منه اضعاف ما يستفيده من العهد الجديد ؟

رويدك ياصاح ! فالجندي انسان ، الجندي ليس بحيوان ! للجندي نفس خالدة كما له جسد فانٍ ، ولذلك فعلت تلك الجمعية ما فعلت .

فالجندي ، لكي يكون محارباً قوياً ، يحتاج الى التربة الروحية كما يحتاج الى التربة الجسدية . وكل ما يقرب به الخبز والماء واللحم من الغذاء لجسده يقرب به العهد الجديد لروحه .

العهد الجديد اساس راسخ للمدنية الحديثة ، والامة الاميريكية لم تدخل الحرب الا للدفاع عن المدنية

ان جنود العالم الجديد لم يتركوا وطنهم العزيز الا لمشاركة

الحلفاء في دفاعهم عن العدالة ، ولذلك حق ان يحمل كل منهم كتاب العهد الجديد الذي يحوي بين دفتيه اسمى مباديء العدالة والحق .

قد شبت نيران الحرب للغلبة على المستبدين الراغبين في السيادة على الرحمة والشرف والمحبة والحق . وليس في العالم كتاب كالعهد الجديد في صراحته وقوته على وضع الاسس التي ترتكز عليها صروح الرحمة والشرف والمحبة والحق .

العهد الجديد هو الكتاب المسيحي الوحيد الذي لا أثر للروح الطائفية المفرّقة فيه . فهو ليس بالكتاب الارثوذكسي او الروماني او البروتستانتي — بل هو كتاب الانسانية المتحدة بالمسيح .

يحتاج صاحب الملايين الى العهد الجديد كما يحتاج اليه اقرب المعوزين . يحتاج اليه العلماء كما يحتاج اليه الجهلاء ، يحتاج اليه العبد في عبوديته كما يحتاج اليه الحر في حريته .

فهو كتاب الكآبة ، والكآبة لا تعرف طبقة ولا رتبة . فهي تسير الى الجندي الفقير كما تأتي الى القائد الغني والنفوس الكئيبة لم تعرف ، منذ وجد الانسان على الارض حتى اليوم ، كتابا جاءها بمثل البشارة المفرّحة التي حملها لها العهد الجديد .

في هذا الكتاب تعزية لجميع الحزانى . فالخاطيء يجد فيه طريقة الى المغفرة . والخاسر يجد بين سطوره فرصة جديدة يعوض بها خسارته . واليائس يجد فيه رجاءه والوحيد رفيقه والمتألم خلاصه من آلامه .

وافضل ما في هذا الكتاب انه شامل عموم الناس لا يعرف التحزب ولا التعصب . فهو لا ينشر دعاية ولا يؤيد جمعية او طائفة معينة . ولا رغبة له في عقيدة دون عقيدة مما طالما حمى وطيس الجدال بسببه بين الناس في مختلف الازمنة والامكنة . وجل غايته أن يسهل السبل ليد الله فتلامس يد الانسان وهكذا يصيران واحداً

كل من يقرأه ويمعن في درس امثاله الخالدات ، ويسعى للعمل بما فيها من التعاليم السماوية — كل من يفعل ذلك فهو بالحقيقة سائر في طريقه الى قنة الصلاح والخلود .

واذا لم يطلب الجندي في الحرب ، والجندي في الحياة ، مثل هذا الكتاب ، فاي كتاب يطلب ؟ جميعنا نستطيع ان نردد في الجواب على هذا السؤال كلمات التلميذ للمعلم :

« الى من نذهب وكلمات الحياة الابدية عندك »

وفي ساعاتنا الاخيرة ، في آلام نزعنا المبرحة ، في ساحة الحرب كنا ام في قصورنا ومنازلنا ، اي كتاب في العالم يجدر بنا ان نقبله القبلة الاخيرة غير هذا الكتاب الذى يخاطبنا بملء القوة قائلاً :

« لا تضطرب قلوبكم ولا تخافوا . سلاما اترك لكم ، سلامي اعطيكم . ليس كما يعطي العالم اعطيكم . »

الرجل السمين

قال لي الرجل السمين فى الامس ، ان الناس يأتونني في كل يوم بالعقاقير المختلفة والادوية المتنوعة والوصفات المختلفة كالادمان على الرياضه والاقتصاد في المأكل والمشرب وغير ذلك من الوسائل لاضعاف جسدي .

« ولماذا اضعف جسدي ؟ فان هذا الشحم واللحم الذي احمله انما يعمل على راحتي وسعادتي . وكلما خسرت القليل من وزني اخسر الكثير من طمأنينة بالي .

« انني لا ادري ما الذى يحمل الناس على السخرية بالسمان ؟ فهم خلاص الجنس البشري ولا مسرة للانسانية الا بوجودهم . والتفاؤل نفسه نتيجة لازمة للانسجة السمينة .

« يحب السمين ان يأكل ويشرب . وهو قلما يستكره طعاماً لذلك نراه يستلذ الفطور والغداء والعشاء ولا يرفض ما يقدم له بين العلفة والاخرى . وهو العضو الوحيد الذي يقدر اتعاب ربة البيت في المطبخ اما بقية افراد العيلة فانهم لا يحسبون لجهود الوالدة في مطبخها حساباً .

« ذو القابلية حي يعرف كيف يتمتع بطيبات الحياة .

« لان الذين يعرفون معنى الحياة يتخذون من ضروريا تها ملذات بالغة لهم . ولما كان الاكل ضروريا ومثله الشرب والعمل والرياضة ، لذلك نراهم يقومون بجميع هذه الواجبات فرحين مطمئنين

لايحفظ الانسانية من صدأ الاحزان سوى الرجال والنساء السمان . فهم يجعلون الوجود قصيدة فتانة ويتمتعون بافراح العمر وملذاته .

« وفي السمان ميل غريزي الى المجون . ومع انه وجد في التاريخ بعض المجونيين النحاف الأجسام ، فأية قيمة كانت لهم لو لم يوجد السمان الذين يضحكون لمجونهم ؟

« اكثر النحاف يعتصمون بالرزانة ، وقلما يضحكون لملحة . فهم المصلحون ، والثائرون ، والمنتقدون على كل نظام . وشريعتهم واحدة لا تتغير : وهي « كل ما كان أو يكون باطل . ولا يعرف الحقيقة بشر غيرنا . »

« ولماذا يعجب الرجال بالنساء النحيلات الاجسام ؟

ذلك أمر فوق طاقتي ادراكه ! فالنساء النحيفات نظيفات مرتبات يضعن الاشياء في مواضعها ، ويعتنين ببيوتهن كل العناية حتى تصير صالحة لاستقبال جميع الناس ما عدا أزواجهن وأولادهن !

ولماذا تعجب النساء بالرجال النحاف الأجسام ! تلك أيضاً احجية لم اهتد الى حلها ! فان امثال هؤلاء الرجال انما يصلحون للخيانة والحيلة والسلب والنهب . فهم يضربون زوجاتهم ، اذا كانوا اجلافاً ، ويضطهدونهن بالمكر والغدر اذا كانوا متعلمين .

« اليك هذه النصيحة الخالصة أيتها الفتاة : عندما ترغبين في الزواج ولي النحاف من الرجال ظهرك ، واختاري لك رجلا سمينا

ممتلىء الجسم يحب الأكل والشرب والضحك واللعب، وفي اعماقه ضمير حساس وروح لطيفة عفيفة اتخذيه بعلاً لك وانت السعيدة بقربه والظافرة بحبه .

« ما كل سمين من الناس بالاخرق القليل الدربة والدراية . كان نبوليون قصيرا سمينا . وكان صموئيل جنسون كثير الشحم كبير الجسم ، ومثله كان بوسوال الذي كتب ترجمته .

« وقد قيل ان العالم والثوب الخارجي لم يستطيعا ان يحتويا على مجد فكتور هيغو ، فقد كان اكولا مبطانا . واليك بقائمة مما كان يتناوله في كل اكلة :

« شريحة لحم كبيرة — فصوليا مطبوخة — زيت زيتون — روستو من لحم البقر مع المرق — عجة بيضات — حليب وخل — خردل وجبن — وكان يأكل كل هذا بسرعة عظيمة ويشرب معه كميات كبيرة من القهوة

« وقد اطلق المؤرخون على « روسيني » لقب « حصان بحر بجسم انسان !» وظل قبل موته بست سنوات من غير ان يستطيع رؤية قدميه .

« وكان اسكندر دوماس ، كبير روائيي فرنسا ، يأكل ثلاث شريحات من اللحم كلما أكل أكبر الرجال جثة شريحة واحدة . وكان « بلزاك » الشهير أشبه بالبرميل منه بالانسان . »

وبعد أن بلغ الرجل السمين هذا الحد في كلامه زاد قائلا :

« واذا كان كل رجل في العالم سميناً انقطعت الحروب في الحال . لان الحرب لا يثيرها ويقوم باعبائها إلا الرجال الضعفاء . »

فترات اليقظة

رأيتك في الأمس جالساً في مقعدك مرتخي العضلات صامتاً تتأمل في اللاشيء وراء الشفق البعيد . وعند ما خاطبتك رجعت روحك الى الارض بجهد شديد . وعندما سألتك عما كنت تفكر فيه لم تستطع الى الجواب سبيلا. لانك إنما كنت تفكر في «لا شيء»

بيد انني أعرف هذه الفترات في حياتك : فهي تلك اللحظات النادرة الوجود في حياة الانسان تجد فيها النفس باب قفصها مفتوحاً فتهرب للحال من سجنها المحدود الى عالم الحقيقة الغير المحدود . وكل ما نراه او نسمعه او نشعر به في هذه السياحات القصيرة النادرة لا نستطيع ان نعبر عنه بالالفاظ عند ما نرجع الى الحالة العادية الطبيعية. لانه يختلف عما نعرفه في هذه الحياة اختلافاً عظيماً، وقوامه الرؤى والاحلام الروحية ، ولذلك لا تستطيع الالفاظ ان تحيط بوصفه .

والغريب العجيب ان اختباراتنا الحقيقية لا تنضج الا في هذه الفترات الصغيرة . هنالك يزول سلطان الارادة البشرية فنطلق لحصان النفس عنانه فيسير بنا الى حيث تشاء أعمق غرائزنا .

في مثل هذه الحالة يجدر بالانسان أن يصور نفسه بصورتها الحقيقية . وقد قيل : « أن عبقرية جورجيون الكبير كانت تنحصر في ادراكه ـ في تصويره ـ للفترات الموسيقية في الوجود ، وتصوره الحياة نفسها اصغاء أبدياً للموسيقى الفتانة . »

وقد اسهب وليم باتر في ايضاح « انذهال الانسان لدى البركة غير المنتظرة لما يبدو لنا جزءاً تافها من عمرنا ، لانه في هذه الفترات تقلع رغباتنا الدنيئة عن الضغط على نفوسنا فتفسح الفرصة للقوات السعيدة التي خارج حياتنا ، فتدخل فينا وتعمل على سعادتنا من حيث ندري ولا ندري »

نحن لا نعرف الحوادث التي تجري امامنا في هـذه الفترات السعيدة ، لاننا في اثنائها نكون نفوساً مجردة عن عالم الاجساد . وعلى كل ما كتبه الفلاسفة والعلماء في النفس نرانا اليوم اعجز من ان نوضح اسرارها الا بوضع الاصبع على الشفتين والاعتصام بما في الصمت من البـلاغة ، أو كما قال تنيسون في إحدى قصائده الرائعة :

« وددت لو يستطيع لساني ان يعبر عما يختلج في رأسي من الافـكار العميقة ! »

وكأنه أراد ان يقول ان الـكلمة الوحيدة التي تستطيع ان تعبر عن كنه النفس وجوهرها انما هي :

« الـكلمة التي لا ينطق بها »

ما من رجل على وجه هذه الارض يستسلم بكليته لحوادث يومه العادية . فنحن نصعد بين الفترة والفترة من عالم المحدود الى عالم الروح العليا كما تقفز الاسماك بين الهنيهة والهنيهة فوق سطح الماء ثم تعود الى قلبه .

وكما ان السمكة لا تستطيع ان تعيش خارج حدودها المائية ، بل ترجع في الحال الى المياه لكي تقدر أن تتنشق الهواء الضروري لحياتها ، كذلك حياتنا فانها لا تستطيع ان تمكث طويلا في عالم الروح البعيد .

ويلوح لي ان هذه الفترات أشبه بالبرق تبعثه الوهيتنا المعصومة بهذه الانفعالات الداخلية ، كما وبعجائب الطبيعة الخارجية ، نتذكر على الدوام ان هنالك عالماً آخر غير هذا العالم نسير اليه بأجمعنا واننا على هذه الأرض غرباء مسافرون ننشد مقرنا الحقيقي في مكان غير هذا المكان .

وكلما تقدمنا في العمر ازداد فينا هذا الشعور بغرابة كل ما يحيط بنا ، وزالت عن ذاكرتنا صور كثيرة لأشياء وحوادث واشخاص طالما تردد ذكرها في مخيلاتنا . لأن قوة لا نعرفها ، قوة خيالية بيد انها حقيقية في حياتنا تبدو قريبة منا كما تبدو لنا الجبال وقد جللتها ستائر الظلمة ونحن ننظر اليها من ظهر الباخرة في عرض البحر . أخيراً يصبح الخيالي عملياً ، والحلم يقظة وانشودة ، والاشارة خطاباً مفهوما واللانهاية ، التي لم نرَ منها في ماضي حياتنا سوى نقط صغيرة متساقطة

هنا وهناك ، تنهمر علينا انهاراً فياضة — ونقطة الطل الفضية الصغيرة تسقط أخيراً وتمتزج بالبحر الكبير اللامع . »

ماذا أعمل

تسلمت في هذا الصباح كتابا ممتعاً من أحد الظرفاء ، يقول فيه انه شبع مما يقرأه من كتاباتي في نقد هـذا وذاك وذلك في جميع أعمالهم في المجتمع ، وضجر من انحائي باللائمة الكثيرة على الشرائع والتقاليد والعادات والحكومات ، واوضح لي أنه قد سئمت روحه هذه الغربلة التي لا نفع يرجى من ورائها . ولذلك فهو يرغب الي أن أخرج عن هذه الطريقة وأخاطبه بصراحة بما يجب أن يفعله والعالم أجمع لشفاء داء الظلم الذي يفتك بالانسانية ويقودها الى هاوية الجنون والهلاك .

أناقادر أن ألبي دعوة هذا الفاضل الغيور . وفي منال كل ذي خيال صحيح ان يجيب طلبته فيخبر العالم في ساعة واحدة بكل ما يجب أن يفعلوه . ولا غرو فقد قيل :

« أستطيع أن ادعو الارواح من الهاوية العميقة ،
نعم أستطيع ذلك كله ، ويستطيع غيري مثله ،
ولكن هل تأتي الارواح اذ دعوتها من هاويتها ؟ »

مسئلة فيها نظر .

ان سر القضية كائن في ما يأتي أيها الصديق :

فان الفرد لا يسير الى الكمال ، والمجتمع لا يرتد عن الضلال بمجرد اخبارهما بما يجب ان يفعلوه إخباراً بسيطاً ! !

التعليم وحده لا يأتي بالنتيجة المطلوبة ما لم نسلح المتعلمين بالمباديء الصحيحة والآراء الرجيحة .

فلو نزل ملاك من عند الرب وأخبر العالم بكل ما يجب أن يفعلوه ، ولو آمن كل رجل وكل امرأة باقوال هذا الملاك ، فانهم في هذه الحالة بعينها يأبون أو يعجزون عن القيام بما قاله لهم .

ولهذا العجز سبب نفسي وجيه . وهو ان النتيجة الخالصة لكل حقيقة تقدمها للانسان انما هي ثمرة لامتزاج هذه الحقيقة بما كان في فكر الانسان قبل اقتبالها ، لان الحقائق التي تقدمها لهذا الرجل لا تمتزج بما في رأسه من الحقائق بل تلطفها وتتكيف بها لتكون أخلاقا جديدة .

فالامر كله يتوقف على نوع الفكر ، الذي يقتبل هذه الحقيقة ، وعلى ما فيه من المباديء والاخلاق والعادات وغير ذلك من القوات التي تتمزج بها الحقيقة قبل ظهورها بالالفاظ ، ونزولها الى ميدان الاعمال .

لذلك نرى ان التقدم نتيجة لازمة للنمو ، فهو بطيء ولذلك لا يتحرك الا بامواج الاجيال المنفصلة بعضها عن بعض . فالآراء القديمة والتقاليد الموروثة عن العصور المنصرمة تموت ببطء كثير

وتتحكم في الناس كثيراً بعد موتها .

ولكن قوات الحق والعدل والعقل تغلب قوات الخطأ والظلم والجهل في النهاية .

أجل ، ان العقل البشري تطارده جيوش جرارة من المكر القديم والغدر العقيم . فكم في العالم اليوم من المؤمنين بسلطان ذوي الحقوق الآلهية من الملوك والامراء والزعماء وغيرهم من القائلين بالحق الطبيعي في الحصول على الميراث المتروك عن الاسلاف ، والزاعمين بان الحق للقوة وان الجرائم تستأصل بالعقوبات !

قال فيكتور هوغو : « سيأتي يوم يدهش فيه أولادنا عندما يسمعون ان أوربا كانت محكومة من الملوك . » ونحن نقول انه سيأتي يوم ينظر فيه ابناؤنا بعين الاحتقار الى جيلنا الحاضر الذي تكتفي فيه الامهات بما يتمتعن به مع أولادهن السعداء من غير ان يمددن يداً لمساعدة الملايين من الامهات الشقيات والاولاد البؤساء الذين يئنون في فاقتهم وشظف عيشهم .

كثير هم المفكرون الذين وضعوا النظامات للحياة السعيدة ودوّنوا القوانين للقضاء على الضار وتعزيز النافع من العادات التي تعمل على سعادة الانسانية وطمأنينتها . ولكن هذه الطريقة لن توصلنا الى العصر الذهبي . لان الوصول الى ذلك العصر أشبه بتنمية الاشجار منه ببناء القصور . والعالم يتقدم جيلا فجيلا تقدم امواج البحر قبل بلوغها الى الشاطيء .

الحقيقة أشبه بالخميرة التي تضعها الزوجة في كيس الدقيق حتى تخمر العجنة كلها .

وكل ما يجب علينا القيام به على هذه الارض هو المواظبة على اعلان الحقيقة . أين وجدناها، واضعين الخميرة في الدقيق وتاركين النتيجة للمدبر العظيم . نحن نحفر أرض الحياة ونغرس فيها شجرة الحقيقة متعهدينها بالعناية الكاملة لكي نقطف ثمارها في أوقاتها . نحن لا نصنع الحقيقة ، لان البستاني لا يصنع التفاح .

كن منسيا

كانت الكلمات الأخيرة التي نطقت بها الملكة ماري انطوانت وهي سائرة الى المقصلة كما يأتي : قالت لابنها :

« لا تسعَ الى الانتقام لي من الاعداء ، لا تعمل للحكم على الذئاب الذين افترسوا أباك وأمك ، كن وديعا ، كن صالحاً ، كن شجاعا : وكن ، فوق كل هذا ، منسياً منفرداً عن الناس ! »

انقل هذه الكلمات مما لا يزال عالقاً بذاكرتي من مطالعة ترجمة الملكة الكبيرة ، ولا أدري اذا كانت هذه هي نفس كلماتها ، ولكنني واثق بصحة معناها .

للانسان فخر جزيل بأن يكون عظيما يشار اليه بالبنان في جميع فروع الاعمال ، ولكن له فخراً لا يقل قيمة عن هذا وهو بان

يكون منسياً يتمتع بسعادة الوحدة مع روحه .

ليس بالامر السهل ان يكون الانسان ممثلا عبقرياً يتخطر على مسارح الحياة والناس يهتفون له ويصفقون في ساعة التمثيل مما يثلج صدره ويحمله على الاعجاب بنفسه . ولكن لهذه الثورة الموقتة في عواطف الجمهور وفي عواطف الممثل رد فعل شديد المرارة في النفس الحساسة .

فالممثل مقيد بشرائع الشركة التي تستأجره أو الواجب الذي يقوم به . فهو مضطر ان يقفز عند ما يأمره المدير بالقفز وان يضحك أو يبتسم أو يلعب ويضحك ويلطم أو يلبس هذه الحلة الثقيلة وذاك الثوب الغليظ كلما أمره رئيسه ، وكثيراً ما يقضي ساعات كثيرة بلا راحة ولا اكل ولا شرب !

المجد سيد جبار ظلوم . والشهرة قاسية شديدة المرارة . والراغب في الصيت الذائع والاسم الرائع ترقبه الوف العيون الناقدة الحسودة في كل لحظة من حياته .

لذلك نرى أن المتفرج الجالس في مقعده يراقب الممثلين على مراسحهم هو أكثر غبطة واوفر راحة من اشهر الممثلين العظماء . والجلوس وراء الحواجز لمراقبة السائرين في المواكب الفخمة هو ادعى الى الطمأنينة من اتعاب السير في الشمس واحتمال الاعراق والغبار .

المتفرج حر طليق يذهب الى بيته متى أراد . ولكن الممثل

عبد لما يقوم بتمثيله من اخلاق وعادات .

فالرجل الذي لم يبلغ قنة الشهرة التي تاقت اليها نفسه ، أو ذلك الذي لم يشأ أن يصل اليها بطوعه واختياره بل رغب في ان يكون متفرجاً بسيطاً يتأمل في مواكب الحياة المارة امامه يجب الا يعتقد انه خسر ضالته .

ان عظماء المفكرين الذين يؤمنون بان كل ما في الوجود باطل وينظرون الى كل ما يقوم في هذه الارض الزائلة نظرتهم الى الصور المتحركة على لوحة « السينما » لاتمضي لحظة حتى تسير جميعها الى عالم النسيان ، مثل هؤلاء هم السعداء الحقيقيون في عالم الشقاء والتعس .

قال امرسون الحكيم العظيم ، « الوداع الوداع ايها العالم الفخور . انني ماض الى منزلي الحقيقي . انت لست صديقاً لي ولا انا بصديقك ! »

وقد قال الفيلسوف الكبير روبرت لويس ستفنسون ، بهذا المعنى ما يأتي :

« تحت السماء الصافية الوسيعة المرصعة بالنجوم ،
احفروا قبري واضجعوني فيه ،
فها انا سائر اليه بارادتي . »

ان في اعمق أعماق أفكارنا شعوراً فطرياً يحملنا على محبة

الوحدة والانفراد . وفي وسط اكثر النفوس عملا وجهاداً نقطة نحن ابداً الى المنزل الافضل .

المعمل والمدرسة

ان الرأي العام الصحيح يسير بنظم التعليم في الولايات المتحدة الى الامام عاماً فعاماً ، وفي كل يوم لنا برهان جديد على تضاؤل النظم البلهاء في بيوت العلم .

كان الرأي القديم في التهذيب ، كما ورثناه عن الاجيال المتوسطة ، يقضي بايجاد المعلمين ، والوعاظ ، والاطباء ، والمنشئين ، والزعماء الاغنياء الخاملين ، الذين يتخذون اموالهم شباكاً لاصطياد الضعفاء .

ولكن الاكثرية الساحقة في هذه الامة ، وفي كل امة غيرها ، لا شأن لهم بهذه الطبقات المتعلمة . ونظام التعليم العام يجب أن يكون لجميع الناس ، وليس لطبقة دون طبقة .

وقد ظهرت اخيراً ، في دايتن ، واوهايو ، من اعمال الولايات المتحدة ، طلائع تقدم عظيم ، في نظم التعليم .

فالصبي الذي يذهب الى المدرسة يستطيع اليوم ان يقضي اسبوعاً يتعلم فيه في مدرسته ، واسبوعاً ينخرط فيه بدرس المهنة او الصناعة التي يريدها . والعمل ، الذي يقوم به في معمله ، يحسب

له جزءاً من الدروس التي يجب ان يدرسها في المدرسة الاعدادية .

واذا رغب الطالب ، بعد اكمال دروسه الاعدادية ، في متابعة دروسه العليا ، فله ملء الحق بالذهاب الى جامعة سنسناتي حيث يدرس خمس سنوات ، على نفس الطريقة التي درس بها في المدرسة الاعدادية ، يعني انه يقضي قسما من وقته في الجامعة ، والقسم الاخر بالعمل حيث اراد ، في معامل المدينة وفي نهاية السنة الخامسة ، ينال شهادته من الجامعة ، بالفرع الذي تخصص فيه . وهكذا يتمكن الطالب ، في اثناء الدراسة ، على تحصيل المال الكافي للقيام بنفقاته الشخصية ومصارفاته المدرسية .

كثيراً ما يترك الاولاد مدارسهم ، رغبة منهم ، أو من والديهم ، في العمل والسعي وراء المال . وقد جاء هذا النظام الجديد مصلحاً لهذا الخطأ . فالاولاد الذين يتركون المدارس ، في الصفوف الابتدائية ، يبلغ معدل ما يحصلونه من المال ، في سن الثانية والثلاثين ، نحو عشرة ريالات وربع في الاسبوع . أما الاولاد الذين يواظبون على دروسهم حتى ينالوا شهاداتهم العليا فان معدل ما ينالونه من الاجور ، في الثانية والثلاثين ، يبلغ ثلاثة واربعين ريالا في الاسبوع . وهكذا نرى ، ان التهذيب الكامل لا تقتصر فائدته على الادب فقط ، بل يتناول المال ايضاً .

وليس هذا النظام رأياً خياليا ، لم يوضع موضع العمل بعد ، فقد جربوه في فيتسبرغ ماس ، فأتى بالنجاح العجيب ، مدة خمس

عشرة سنة . واكثر الاولاد الذين تبعوه في دراستهم ، منخرطون اليوم في المتاجر المختلفة ، وكل منهم زعيم في عمله ، يريك ، بنجاحه العظيم ، فائدة النظام الموما اليه ، في تربية الاحداث .

وخير ما في هذا النظام انه يجعل التعليم مزدوج الفائدة : فهو يثقف عقلك ، بالعلوم ، والاداب ، ويدرب فكرك ، في الصناعة والفنون .

أجل ، سيأتي يوم ، ولعله قريب ، يصبح فيه تهذيب الاحداث جزءاً لا ينفصل عن جميع الاعمال ، في ذلك اليوم ، يصير صاحب المعمل ، والتاجر ، والفلاح ، في عداد اساتذة المدارس والكليات ، ويدرك الكبير والصغير ، في كل أمة ، ان واجبه الكبير ينحصر في كل ما يعد الشبان للخدمة النافعة ، في جميع اعمال الحياة . واذا ادرك جميع القائمين باعمال التهذيب ، ان واجبهم لا ينحصر بتعليم الاحداث قواعد الصرف ، والنحو ، والشعر والسياسة ، بل يتناول اعمال الامة : من الحقل الى القصر ، حينئذ نثق بان تلك الامة حية سائرة ، في رقيها ، الى الفلاح والعمران .

لان خريجي المدارس العليا ، والكليات ، والجامعات ، كثيراً ما تكون علومهم ومعارفهم وبالا عليهم ، وعلى بلادهم ، لانها تقتصر على النظريات الخيالية ، دون الاعمال النافعة .

اما المتخرجون من مدارس العلم ، والعمل بالعلم ، التي اوجدت

نموذجها مدينة دايتن اوهايو ، فانهم سيكونون رجالا حقاً ، يعملون ابداً على السير الى الامام في مراقي العلم الصحيح والعمل الصحيح .

الحاجة الى التغيير في الحكومة

واجب الحكومة ان تغير نظمها ، وتبدل احكامها ، بتغير الزمان والمكان . اما الحكومة التي لا تتغير نظمها ، ولا تتبدل احكامها ، فلم توجد في العالم ولن يكون لها فيه مقام ابداً .

قد يخيل الى بعض المصلحين اننا ، لو استطعنا ان نوجد حكومة كاملة ، لكانت تعمل ، في الحال ، على شفاء الامة من جميع اوجاعها.

ولكن هذا الخيال حلم بعيد التحقيق ، تعشقه الانسانية ، ولكنها لن تراه في عالم الاعمال ، وخلاصته : اننا ، نحن انفسنا ، نستطيع ان نكون كاملين ، اذا عشنا في بيئة كاملة وحكومة كاملة .

وليس شك ان الحكومة ظرف من الظروف التي نعيش فيها ، او جزء واحد من المحيط الذي يكتنفنا من كل جهة . فهي مظهر من المظاهر التي نتقيد بها على الارض ، وربما كان هذا المظهر من اهم مظاهر حياتنا .

وما اشبه هذه الرغبة بطموحنا لان يكون لنا عيلة كاملة ، او بيت كامل ، او مدينة ، او مدرسة ، او كنيسة كاملة . لان كل هذه يجب ان تتألف من جماعة الانسان الكامل ، الذي نفتش عنه على غير طائل .

جميعنا نرى الرجل الكامل ، والمرأة المعصومة عن الخطأ ، ولكن بعيني فكرنا . بيد اننا لن نجد مثل هذا الرجل ، او هذه المرأة ، بعيني جسدنا . وافضل ما يجب علينا ان نعمله في هذه الحالة — ان نواظب على سعينا الحثيث نحو الضالة التى ننشد الكمال بواسطتها .

فما هي الحكومة الكاملة اذن ؟

الجواب بسيط جداً : فهي التى تحتوى على اعظم ما يصل اليه النظام واقل ما ينتجه التشديد والتضييق .

ولاقترابنا من هذه الحكومة طريقة واحدة ، وهي أن يتقدم الافراد في اعمالهم ، بما يؤيد النظام ، بملء اختيارهم ، وبدون اقل تأثير من الحكومة عليهم .

لان تقدم الفرد في السيادة على نفسه انما يعمل على تقدم الحكومة في تأييد الامن في الامة من غير سيادة أو سلطان .

أما الاستبداد ، والاستعباد ، فهما من نتاج الجهل والعبودية .

لان العدالة والمساواة هما ، دون سواهما ، الثمرتان الناضجتان لشجرة الديموقراطيه الحقيقية بين الناس .

الرأي العام

الرأي العام هو العاطفة ، أو الحكمة ، التي يقتبسها العقل من جميع الحوادث العامة في الحياة . وفي طوقك ان تعتمد عليه ، اكثر

مما على أية حكمة مستمدة من الاختبارات الشخصية أو الحوادث الفردية . لان مايجري في كل يوم ، بغير انقطاع ، هو اقرب الى وجدان الوجود من الحادث ، الذي لايحدث الا مرة واحدة في كل عام أو جيل .

ان اكثر الاشياء البسيطة التي نحتاج اليها في حياتنا ، ونعرفها كل المعرفة ، انما هي تلك التي بلغنا الى معرفتها بالاختبار المتواصل ، والدرس الدائم ، في كل يوم ، لان التكرار والد الثقة ، والحقيقة بنت البحث .

الحادث السري ، أو الاعجوبة الخارقة ، نراها مرة واحدة في العمر . ولو كان في جوار بيتك بركان يثور في الساعة السادسة قبل الظهر ، كل يوم ، لما كنت تعبأ به على ممر الايام اكثر مما تهتم بشروق الشمس الآن .

الرأي العام نافذ التأثير ، وسلطانه لا يغلب ، بيد انه لا يدري بذلك .

ان درس الكتب ، وكل انواع المعرفة التي تمكن الانسان من الاختصاص في اتقان المواضيع والمهن المختلفة ، كل هذا بسيط جداً . لان أصحابه يفهمون علومهم ويعرفون قوتهم .

ولذلك فان العلماء وأرباب الحرف الممتازة يدركون . في غالب الوقت ، الحدود التي تنتهي اليها علومهم ومعارفهم .

ولكن الطالب في مدرسة الحياة ، الذي تنحصر قوته ، كما

انحصرت قوة ابرهيم لينكن . بما جمعه في شخصيته من الرأي العام فهو، على العكس من ذلك ، يشك أبداً في معرفته . ويحسب نفسه أجهل الذين يعيش بينهم .

ولهذا نرى ان هذه القوة التي تحرك الجماهير الى الخير والصواب، القوة التي نطلق عليها اسم « الرأي العام » ستصبح على ممر الاجيال سيدة لكل ضمير . وكل عقيدة . وكل حكومة . ولن يظل في العالم نظام . أو حكومة . أو عقيـدة مالم يكن ذلك منطبقا على الشرائع البطيئة . الصامتة . القاسية . التي يعلم بها الرأي العام في الوجود

العادات الرديئة

ان لعاداتك الخارجية تأثيراً عظيما في نجاحك ، لانها صفحة واضحة يقرأ الناس عليها كل ما في داخلك .

فماذا يجديك اذا كنت عظيما ونبيلا . وكانت حركاتك الخارجية تظهر ما هو على العكس من ذلك ؟

الناس شديدو التمسك بعاداتهم ، مهما كانت اشكالها ، ولا شيء في الحياة يؤلمهم مثل ان تطلب منهم تغيير عاداتهم الخارجية . ولذلك يعترضون بكل قواهم اذا طلبت منهم ان يتكلموا ، أو يجلسوا ، أو يمشوا ، او يقفوا بطريقة افضل من التي يمارسونها .

كثيراً ما تنصح صديقا لك ان يغير شيئاً من عاداته الرديئة

في كلامه كان ذلك . أو في جلوسه أو مشيه أو غيره . فينبري في الحال قائلا لك . « انا كما انا . فاذا كان الناس لا يحبون طرائقي . وعاداتي . فليس في ذلك من ذنب علي . لان الله هكذا خلقني »

ولكن الله لم يخلق عاداتك الرديئة ياصاح ! لان بيئتك . وظروف حياتك . وجهلك أو صلتك الى حيث أنت من الضلال في عاداتك واطوارك .

فاذا كان لك صديق ، ـ والعدو أفضل من الصديق في مثل هذه الظروف ، ـ يجرؤ على مصارحتك بالحقيقة ، فاذهب اليه واسأله رأيه فيك ، واصغ الى كل كلمة يقولها .

واذا انتقدك أحد الناس ، أو سمعت ما لا يرضيك في عاداتك واطوارك ، فلا تقابله بالغضب والاعتراض ، بل ادرسه جيداً ، وفتش عن الحقيقة التي وراءه واصلح الخطأ الذي فيك . لا تكثر من الدفاع عن نفسك ، بل أعمد ابداً الى اصلاحها .

لماذا تتسلط عليك العادات الرديئة فتقوم جبانتك ، وكسلك ، وخمولك ، عقبات كأداء في سبيل الخلاص منها ؟

هل تتعرج في مشيك ؟ هل تجلس متلويا الى الجنبين ؟ هل عودت نفسك على تقطيب الحاجبين ؟ هل في صوتك غلاظة ، أو ارتفاع ، أو غير ذلك من العيوب التي ينفر السامعون منها ؟ هل تلفظ كلماتك ناقصة مبتورة ؟

جميع هذه عادات رديئة تستطيع ان تتخلص منها وتستبدلها

بما هو افضل واجمل منها بالطرق الآتية :

١ : اذا كنت تعترف بضعفك وتراه .

٢ : اذا كنت تمرن ذاتك بصورة دائمة للقضاء عليه

٣ : لا تكن مغروراً مجنوناً . لاتكثر من الاعتراضات على غيرك ، بل احصر كل اعتراضاتك بنفسك .

أول طريق للنجاح أن تتعود عادة النجاح . فتش عن شخص تعجب به ، وتكرم أخلاقه ، وآراءه، وتود أن تكون مثله. أدرسه جيداً . اقتفِ مثاله . اعمل بطرقه وتخلق بأخلاقه .

ان هذه الاشياء الصغيرة بذاتها انما هي بالغة الاهمية بتأثيراتها في الحياة . فان لكلماتك نفوذاً عظيماً الى ذهن من تخاطبه . فاعن كيف تتلفظ بها وكيف تتضعها بعضها وراء بعض باتقان وترتيب.

كن شجاعاً في محاربة عادتك الرديئة . وتعلم كيف تجلس بانتظام ، وتأكل بحشمة ، وتضحك بتأدب كانسان وليس كالحصان، وادرس جيداً كيف تقلع عن سؤال مضيفك عن ثمن الصحون التي على مائدته، وعن النفخ بمنخريك كأنهما آلات طرب ، وغير ذلك من رديء العادات التي توضح جهلك للناس فيحتقرونك ويبتعدون عنك . واعظم من كل هذا ، لا تكن قليل الاهتمام بهذه المسائل الصغيرة ، لان عدم الاكتراث ، اكثر من الجهل ، يقود الى جميع العادات الرديئة .

مخلوق ام خالق

هل انت مخلوق او خالق ؟

قال ارنست كروسبي : Crosby

« اين الجبناء الذين يركعون امام المحيط ؟

اين الذين يعتقدون انهم صُنعوا من المواد التي يأكلونها ؟

الا فليعلموا انني لست طيناً ، بل انا قوة !

« ان لي آرائي فاستثمرها ، والوجود باسره أعطي لي لهذه الغاية .

انا ذرة هائمة في السديم انشد شكلاً أظهر به . »

القضية كلها متوقف حلها على طريقة نظرك الى الموضوع . فانت قادر ان تكون طيناً ، او خزافاً ، شارباً ، او ابريقا ، مخلوقاً ، اوخالقاً !

فلماذا تقول انك ضحية الظروف ؟ اف منك ايها الجبان ! ان في استطاعتك ان تكون سيد جميع الظروف لو أردت .

انا لست العوبة في يد القدر الجبار ، بل انا شريكه السري في جميع اعماله .

الله روح قبل كل شيء ، وانا روح ايضاً .

ليس الله صورة من المجاورة ، وانا لست باللحم والعظم الذي ألبسه .

يسيّر الله النجوم في الفضاء ، ويفتح اكمام الزهرة على الارض ، ويدير مجاري الانهار ، ويسكب نقط الامطار ، وينبت الاعشاب والازهار ، ويقود المجرات والشموس والاقمار .

وانا ، صنع يديه الطاهرتين ، لست بالتراب فقط . فانني اجد ، في كل يوم ، طريقا جديداً لحياتي ، وأوجد فرصاً جديدة لاعمالي ، واقيد الريح في خدمة مراكبي ، والبخار في تسيير بواخري .

اخاطب القرميد الجامد بعزيمتي ، فينقاد صاغراً اليّ ، فاعمل منه جدران مساكني .

واشير الى الكهربائية ، اشارة سرية ، فتنير بيتي ، وتجر قطراتي السريعة ، وتحمل كلماتي ، برمشة عين ، الى ما وراء الجبال والبحار البعيدة .

وفي طوقي ان اصنع الدموع والابتسامات متى اردت . واقدر ، متى شئت ، ان أظلم القلوب بالالام وانيرها بالافراح .

اثبط همة الفتى النشيط بكلمة واحدة ، وأنجس طهارة نفس العذراء بنظرة واحدة ، وازرع بذار الشكوك في قلوب المؤمنين ، وابذر بذار الشقاق والتذمر بين المستريحين والشاكرين ، لان في منالي ان أنجح في طرق الشر كالشيطان نفسه .

وليس لي في العالم من عذر على شروري . فاذا سكرت فانا الذي شرب الخمرة ، ولذلك يجب ان ادفع ثمن جنوني من عواطف قلبي .

واذا اصابني فشل في حياتي ، فانا ، دون سواي ، السبب في

ذلك . لانه ليس في العالم من فشل يؤثر فيك كالفشل الداخلي الذي ينشأ في اعماق نفسك .

ليس في العالم من قوة خارج نفسي تستطيع ان تعرقل مسالكي، فانا وحدي عدو نفسي .

واذا نجحت في العالم ، فالفضل يرجع الي انا ايضاً وليس للحظ، او الظروف او المحيط! لان النجاح روحي بذاته ، ولا يصيبه سوى القوي بروحه ، الصادق بعزيمته النفسية .

انا أنال اجرتي ، وانا احتمل قصاصي ، وكلاهما لي وحدي ، ولا شأن لاحد بهما .

انا لست حصاناً يركبه الناس ، بل انا خيال ماهر اركب حصان ذاتي الفضلى .

استطيع ان اذهب الى الجحيم اذا اردت ، وان لم أُرد ذلك فانا قادر ان اذهب الى السماء متى شئت .

انا روح حرة ، والروح الكلي يفيض بكل ما في داخلي ، ويشرق بكل ما في الوجود الخارج عني . وهذا الروح الكلي خالق قدير ، وانا خالق مثله ، ونحن نعمل معاً كل في دائرته .

فاذا كنت سعيداً ، راضيا ، مستريحاً في حياتي ، فالفضل في ذلك انما هو للعمل المشترك الذي يقوم به هذا الروح الكلي مع روحي .

اذن ، فانا لست مخلوقاً ، بل معاون للخالق في خلقه .

نحن اقرباء في الضعف

نقرأ بين البرهة والاخرى عن رجل عظيم ، اوتقي فاضل ، لايستسلم لاهوائه، ولا يتطوح فى وهادالجموح والنشوز، ولايعرف الغضب ، ولا يميل الى الخصام مهما كلفه الامر.

كل هذا جميل بذاته. ولكن هل من قيمة للحياة البشرية مع امثال هؤلاء العظماء ، والاتقياء ، المتسامين عن الطبيعة البشرية ؟ وهم نفوسهم ، ألا يخسرون ، بتصرفهم هذا ، قوة فعالة في حياتهم، تحملهم ابداً على السير الى الامام ، واصلاح سقطات اليوم في الايام التالية ؟

الغضب في موضعه جميل ، ومثله التذمر ، والعناد ، والثورة والخصام ، والقتال — ولكن في الوقت الملائم . فهي تثير ما كمن من همة الانسان ، وتظهر ما خفي من قواه المستترة . ولاشك ان الكثير منها يقود صاحبه الى حتفه . ولكن الكثير من الابتعاد عنها يجعل الحياة نغما واحداً لا فن فيه ولا جمال .

جميع هذه الانفعالات النفسية الحارة نرثها عن اسلافنا القدماء، الذين عاشوا في الاعصر الهمجية الغابرة ، وهي تقطن في طبيعيتنا الدنيا .

ولكن أليست القرابة ، التي تربطنا بعضنا ببعض ، نتيجة لما في كل منا من النسب الذي يرجع به الى الحيوان القديم ؟

نحن حيوانات على كل حال. فلماذا نتبرّم من هذه الحقيقة ؟ والروحانية السامية ، التي في كل منا ، أليست ، في الغالب ، عرضة لتأثيرات الغرائز والرغبات الجسدية ؟

ان مسحة واحدة من الجسد توجد صلة القربى بين جميع الناس ولذلك فهم متساوون أمام الضعف .

ان جورج واشنطون لم يكن قط في حياته أقرب الى قلوب ابناء بلاده منه في حادثته الشهيرة عندما قطع شجرة أبيه

والكلمات القاسية التي نطق بها يسوع ضد الفريسيين، وطرده الباعة والصيارفة من الهيكل ، وثورته على الزعماء والاغنياء ، كل ذلك يقربه من انسانيتنا اكثر من أي عمل آخر من أعماله .

ان الابطال التي خلقها هوميروس واريسطو في كتاباتهما ، الابطال الذين عاشوا في اعصر غير عصرنا ، واستسلموا لاهوائهم وعواطف قلوبهم ، انما كانوا أقرب الى الحياة الحقيقية من عظمائنا الجامدين ، الذين يجلسون الى مكاتبهم الثمينة متظاهرين بالهدوء والصبر وهم بالحقيقة يسحقون ضحاياهم باموالهم .

ان أقرب الناس الى الفضيلة والقداسة انما هو أقربهم الى الكمال ، وهو يحتاج في حياته الى النار كما يحتاج الى الماء .

بضعة أسطر

نقل الينا المؤرخون ان الملكة اليصابات كان عندها عشرون ساعة ثمينة ، مزينة بالحجارة الكريمة ، ولكن لم يكن بينها ساعة واحدة تحفظ الوقت بدقة .

والعامل البسيط اليوم يحمل ساعة ، ثمنها ريال واحد ، وهي غاية في البساطة بشكلها الخارجي وآلاتها الداخلية ، ولكنها تحفظ الوقت بملء الدقة .

قال آدم سمث في مقالته المعنونة « المبادىء التي تقود الى المباحث الفلسفية ، » :

«ان الآلات التي يخترعها المفكرون ، للقيام بأية حركة عملية ، تكون في أول ظهورها ضخمة ، كثيرة المفاصل ، ولكن الفنانين النابهين يتعلمون ، بالدرس ، والامتحان ، انهم بتقليل الدواليب والمحركات التي وضعها المخترع الاول ، لأية آلة كانت ، انما يحصلون على النتيجة المطلوبة باوفر سهولة ، وأقل عناء ونفقة . »

كلما قرب الشيء من الكمال قرب من البساطة . وكلما دنا الفكر من النضج ابتعد عن المباحث العقيمة . فهو يهمل كل شيء ما عدا النتيجة المطلوبة والضالة المنشودة .

قال نابليون : « كثيراً ما وجدت نفسي في المجالس الكبرى امام من هم أبلغ مني بياناً ، وافصح لساناً ، ولكنني كنت أفوز

عليهم أبداً بالدليل البسيط والحجة الساذجة ان « اثنين واثنين اربعة » لا اكثر ولا أقل . »

اذا فرغت من الكلام ووجدت ان فكرك لا يزال غامضاً ، فاعلم ان ذلك ليس ناتجاً عن ان فكرك مضطرب غامض بطبيعته بل هو دليل على انك لم تتقن السيادة عليه ، وعلى كلماتك ، لتجعلها بسيطة ، ساذجة نقية .

ان أعظم فنون الكتابة والخطابة هو فن الصراحة المتسربلة حلة البساطة .

فالصلاة الربانية ، والعظة على الجبل ، وخطبة ابرهيم لينكن في غتسبرغ ، انما تحسب من أعظم فصول الآداب في العالم لان في كل منها من البساطة ما يقرب حل الكمال .

قال أحد المشتغلين بالتصوير المجوني ، « تبدو الصورة المجونية لمن ينظر اليها كأن الذي صورها وضعها بدقيقة أو دقيقتين . ولكن هذه الرسوم البسيطة ، بخطوطها القليلة ، تخدع في الغالب كل من يحكم فيها من غير تأمل وتدقيق في جوهرها . فان وراءها من العمل اضعاف ماوراء الصور الكثيرة الخطوط والألوان . لان الاسطر كلما قلت ، كثر العمل الذي اظهرها الى الوجود . »

ان بضعة اسطر ، في كل فصل من فصول الكتاب الانساني ، تحتوي بالحقيقة على مفاتيح بوابات الكمال .

كيف تقرأ الكتاب المقدس

ليست لديّ عقيدة خصوصية فأود ان اقدمها اليك لتعتنقها . ولا بدعة جديدة فابشرك لتتجند في معسكرها ، كلا ! ولا رغبة لي في ردك عن ايمانك الى ايماني ، ولا أنا طامع في اظهار تفوقي عليك بنصحك وتعليمك .

ولكن أريد أن أقدم لك ملاحظة بسيطة ، من صديق الى صديق ، موضوعها : « كيف تقرأ الكتاب المقدس . »

انت تقرأ الكتاب لغاية من اثنتين : اما لما فيه من الأدب أو لما فيه من الفن والجمال . ففي الأولى يمكن ان تجده كتابا كثير الاحاجي والالغاز ، وفي الثانية تراه قديماً جداً ما لم تضع نصب عينيك أمراً واحداً لا بد منه في مطالعة هذا الكتاب .

وانما أعني بهذا الامر الواحد ان الكتاب المقدس شرقي بلغته وافكاره وامثاله جميعاً .

فاذا لم تحفظ هذه الحقيقة في ذهنك وانت تقرأه ضاعت عليك جميع الفوائد الخالدة ، المترقبة ذهناً ثاقباً تحل فيه ، لان اغلاطا فاضحة قامت في العالم بسبب نسيان هذه الحقيقة أو اهمالها واعتبار الكتاب المقدس كتابا غربيا .

يختلف الفكر الشرقي عن الفكر الغربي بأمور كثيرة ، اهمها ان الاول شعري بطبيعته . فقد فكر ابناء الشرق على ممر العصور وخطبوا ، وكتبوا ، والشعر في جميع ذلك رائدهم ودليلهم ، ولذلك

فهم لا يستطيعون ان يكتبوا النثر ولو نثروا .

والشعر لا يعبر عن فكر صاحبه بوضوح وبساطة ، بل يلجأ في الغالب الى المجاز والاستعارة والرموز الكثيرة ، ويفضل لمس الحقيقة باطراف أصابعه على القبض عليها بيديه ، ويحب الامثال ، والالغاز ، والاقوال البعيدة المرامي ، والاحاجي المتناقضة بظواهرها المتفقة بجواهرها .

أما الفكر الغربي فهو ، عند التحقيق ، بعيد عن الشعر بعد الشرق عن الغرب ، فهو عملي يحب الحفر والبناء ، والبحث والاستقراء .

يعمل الغربي في تسلق الجبال الى حفر درجات في الصخور يرتفع بواسطتها الى القنة العالية شيئاً فشيئاً ، أما الشرقي فانه يطير الى القنة دفعة واحدة .

ولذلك كان الفكر الشرقي ينبوعا انقى من ينبوع الفكر الغربي لاستقاء مياه الدين والادب والفضيلة ، لان المواضيع الدينية ، والادبية ، والروحية ، يسمو اليها الخيال والوحي افضل من المنطق والجدل .

لاجل هذا ترى انه يندر ان تقرأ في الكتاب المقدس سطراً واحداً لا يلبس حلة الشرق الشعرية ، واقرب ما فيه الى الكتابة النثرية هو الرسائل التي كتبها بولس الرسول . بيد انها ممتلئة بالآيات الشعرية والتصورات الشرقية . واعظم شعراء الكتاب المقدس هو الشاعر الاعظم يسوع .

فامثاله شعر بعيد الخيال. وحكمه وآياته الغاز رمزية عميقة القرار.

ولشدة تعس الغربيين ، نرى ان تعلقهم بالمنطق العملي والحقائق العارية قد قادهم الى استخدام الصور المنيرة ، التي رسمها المعلم الاعظم كحجارة مربعة لبناء صروح نظم الحق . لان الحقيقة في رأي نخبة عقلاء المفكرين ليست نظاماً بل هي رؤيا وخيال . ولاجل التمثيل على ذلك نقول :

عندما أراد يسوع ان يعلم تلاميذه فضيلة التواضع ، لم يحلها لهم ولم يشرح غوامض قضاياها ، مؤيداً اياها بالادلة والبراهين المنطقية كما يفعل اساتذة هذا الزمان ، بل خلع رداءه ، واتزر بمنشفة ، وشرع يغسل ارجل تلاميذه واحداً واحداً ، وعند فراغه من عمله قال لهم « اذا كنت ، وانا المعلم ، اغسل ارجلكم يجب عليكم انتم ايضا ان يغسل بعضكم أرجل بعض . »

مثل هذا التعليم يفعل في النفس ، ويضرب على اوتار القلب ، وينحفر على صفحات الذاكرة .

وان ابسط التلاميذ لم يكن ليأخذ عمل المعلم بظاهره بل نظر الى الفضيلة التي رمى اليها . لان الظاهر ليس بالحقيقة ، بل هو في الغالب عدو للحقيقة . « الحرف يقتل ، اما الروح فيحيي . » ولذلك لا تستطيع ان تتبع حروف الشاعر ، بل يجب ان تطيع روحه ، بتقدير الفكرة التي يعبر عنها شعره والتمسك بها . والا فثق بانك في واد وهو في واد .

قصري

أود لو ترى قصري . فهو قصر عجيب !

قصر قديم العهد، لا يعرف المؤرخون زمان بنيانه . ولا يكون المنزل بيتاً حقيقياً مالم يكن قديماً ، لان من يسكن في البيت الجديد هو كمن يقطن في الفندق العام .

اقول ان قصري نما نمواً من لا شيء ، لان هذا القول يعبر عن وجوده با كثر دقة مما لو قلت انه بني بناء .

وكل جيل من ابناء الانسان ، اضاف اليه ، او اخذ منه ، او غيّر فيه وفقاً للحاجة والضرورة.

يقوم قصري على حافة نهر ، ومن بابه الكبير تستطيع ان تدخل المركب الراسي امامه . والتلال الخضراء من الجهة الاخرى تنحدر الى بحيرة جميلة ، والبحر الكبير قائم وراء كل ذلك .

والى الشمال من قصري جبل عال ، لا تفارقه الثلوج التي تجعل من قنته ابرة بيضاء ، يخيل اليك انها مصنوعة من الفضة والبلور والذهب ، وهي تلمع في اشعة شمس المساء . وفي بستان قصري احراج لا يعرف اعمار اشجارها غير خالقها .

واذا دخلت قصري وجدت نفسك في مدخل وسيع يؤدي بك الى دار قائمة في وسطه ، مزينة باشجار البلح والنوافير البديعة ، والورود العطرة .

القاعة الكبرى عظيمة الاتساع تخالها ميدان للسباق ، وفي الجهة الواحدة منها موقد كبير تستطيع ان تحرق فيه جذع اكبر شجرة في البستان ، والى جانبيه مقاعد من الجلد الناعم ، والسقف مصنوع من اخشاب السنديان المتينة وفي زواياه الاربع نوافذ كبيرة مفتوحة الى ارض الغرفة .

وفي جميع انحاء القصر ترى رفوف الكتب قائمة على كل حائط . فالبيت كله مكتبة عظيمة ، غنية بتحفها النادرة ، لان كل الكتب العظيمة في العالم موجودة هناك . وقد عنيت بتجليدها بالجلد الاحمر البديع ، وحفرت اسمي على كل كتاب ، فجاءت متناسقة متشابهة

وعندي في قصري كاتبة تتقن عشر لغات ، وتنقل كلماتي باقصى ما استطيع التلفظ بها من السرعة ، وقد مضى لها في خدمتي زمن طويل ، بيد انها لم تغلط غلطة واحدة قط !

وفي غرفة درسي انوار مشرقة ، ومواقد جميلة ، استلذ الاصغاء الى صوت نيرانها وانا مكب على مطالعتي . وفي كل صباح ارى الزهور المقطوفة حديثا تزين مكتبي ، وتنعشني بروائحها العطرية .

وفي قصري عشرون منزلا للضيوف ، وقلما يفرغ منها منزل واحد . لان العلماء ، والادباء ، والشعراء والمؤرخين ، والعظماء يأتون من اقاصي الارض لزيارتي في قصري .

وعندي اجواق من الفتيان ، والفتيات ، الذين لا يعرفون

غير الرقص والبهجة من أسرار الحياة . وهم يعيشون معي أبداً . لانني لا أقدر ان أحيا بدونهم : يقضون أيامهم ذاهبين ، آيبين . بعشرات السيارات التي اقفها على خدمتهم .

تأتي المراكب في كل يوم ، من المشارق البعيدة الى باب قصري حاملة عجائب العام ، من التحف ، والعطور ، والاخشاب النادرة

الربيع دائم في قصري ، وروائح البرتقال ، والليمون ، والتمر الهندي ، والزهور على أنواعها تملأ ارجاءه .

وفي قصري صراف يقدم لي كل ما احتاج اليه من الاموال ، وفيه كتاب يقومون بجميع مراسلاتي ، وحائكا يعني بترتيب جميع ملابسي ، ومدير يهتم بادارة أشغال القصر الداخلية ، وطاه حاذق في جميع أنواع الطبخ ، وطبيب يعتني بصحة الجميع ، وكاهن متضلع من أسرار البوذية ، واليهودية ، والنصرانية ، والاسلام ، ولذلك يجعل مجادلاتنا ومحاوراتنا قائمة على قدم وساق ، وفيه أيضاً مجوني حاذق ونديم حكيم يسلينا في أوقات ضجرنا ومللنا !

ولكنني آسف جداً انك لا تستطيع ان تزورني في قصري العظيم .

فان الاهتداء اليه مستحيل عليك !

فهو قصر حقيقي ! ولكنه في الهواء .

(انتهى)

DATE DUE

J. LAU
6 SEP 1987
JAFET LIB.
17 JUL 1992

بشير ،انطونيوس (الارشمندريت)
اقرأ وفكر
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01038260